

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية الدعوة والإعلام - قسم الدعوة والاحتساب
الدراسات العليا

الدعوة الإسلامية في شمال شرق القوقاز

في الفترة من عام ١٤١٢ إلى ١٤٢٠ هـ
دراسة وصفية تقويمية للدعوة في جمهوريات

الداغستان والشيشان والأنغوش

بحث مقدم لتل درجة الدكتوراه في الدعوة والاحتساب

إعداد الطالب : وليد بن إبراهيم العنجري

إشراف فضيلة الدكتور : إبراهيم بن صالح الحميدان

١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

(الجزء الأول)



المقدمة

الحمد لله ذي العزة والملكوت والقدره والجبروت . . لا إله إلا هو مالك الملك عالم الغيب والشهادة يحكم بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون، أحمده سبحانه وأشكره، يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء، ويعز من يشاء ويذل من يشاء، بيده الخير وهو على كل شيء قدير . .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، قائد الغر المحجلين وإمام المجاهدين صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . . وبعد ، فليس هناك من قول أفضل ولا أحسن من الدعوة إلى الله، قال تعالى: "ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين"^(١) ، وليس هناك أعظم من رجال يحملون رسالات الله ليبلغوها للناس: "الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله وكفى بالله حسيباً"^(٢) وجاء شرف القول لشرف المقولة والدعوة ؛ تلك الدعوة التي نالت شرف الانتساب إلى الله سبحانه .

وقد اختار الله محمداً صلى الله عليه وسلم لحمل أعظم دعوة، وأجمع رسالة ، وأدوم تنزيل ، وأبقى شرعة . واختار أمته لتبليغ أقدس كتاب، وتوضيح أهدى سبيل ،

(١) سورة فصلت ، آية ٣٣ .

(٢) سورة الأحزاب ، آية ٣٩ .

وتعليم أنبل غاية وأسمى هدف. قال سبحانه: "قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين" ^(١).

ولما كانت الدعوة كذلك فلعل الإسهام فيها بالبحث والدراسة، والنظر لقضية من قضاياها أو مشكلة من مشكلاتها ومحاولة التوصل إلى حلول نافعة؛ لعل ذلك يكون قرباً إلى الله تعالى، داخلاً في مرضاته مشمولاً بالفضل الوارد في آياته الكريمة.

وهذا البحث الذي بين أيدينا يأتي استجابة لهدى الله تعالى وأمره بالدعوة إلى دينه الحق؛ كما أنه يأتي انطلاقاً من روح الشعور بالأخوة الإيمانية والحب والمودة لبلاد المسلمين في شمال شرق القوقاز. تلك الأرض الطيبة التي طالما قذفت بفلذات أكبادها، ونخبة علمائها ودعاتها في وجه الباغي المعتدي قديماً وحديثاً دفاعاً عن حوزة الدين، ورداً للطغيان، ورفعاً لراية الإسلام.

إنه لا بد لنا - نحن المسلمون - من الاعتراف بالتخلف المخجل في مجال الدراسات المتعلقة بجاضر العالم الإسلامي، وحسبنا في ذلك أن تكون دراسات غير المسلمين من المستشرقين هي التي تغطي الجانب الكبير من مصادر المعلومات عن أحوال من تربطنا بهم وشائج الإيمان والمحبة والأخوة في العالم الإسلامي الكبير ^(٢).

لقد آن الأوان في أن تأخذ وسائلنا في الدعوة الإسلامية شكلاً مدروساً، يأتي استجابة لرؤية صحيحة وموضوعية عن الواقع الذي نتعامل معه، وأن يرتبط ذلك

^(١) سورة يوسف، آية ١٠٨.

^(٢) مثال ذلك أن جل ما كتبه الباحثون المسلمون عن الواقع الإسلامي في الاتحاد السوفيتي - السابق - اعتمد في جوهره على كتابات المستشرقين أمثال: شاتال لوميرييه، والكسندر بينيغسن في كتابهما "المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي"، وكذلك ما كتبه روبرت كونكوست في كتابه "قتلة الأمم".

ارتباطاً وثيقاً بالتأصيل والتوثيق العلمي المبني على ثوابت الكتاب العزيز والسنة المطهرة. كما أنّ الأوان في أن تأخذ تلك الدراسات والبحوث الموثقة نصيبها في وضع الخطط والبرامج الناجعة ، وأن تأخذ طريقها في النشر والتداول ، فلا تحفظ في الأدراج ، فيلغها الإهمال والنسيان.

واليوم تزداد حاجة إخواننا في أرض القوقاز إلى التواصل والتواد والمؤازرة بشتى أشكالها وصنوفها؛ فإن لهم علينا حق النصرة ، ولعل هذا الجهد المتواضع أن يكون في هذا السياق ، ذلك أن الناظر والمتأمل للمكتبة الإسلامية لن يجد دراسة علمية شاملة استوفت جوانب الدعوة الإسلامية المعاصرة في المنطقة رغم الأهمية البالغة للقيام بالعديد من الدراسات العلمية الميدانية التي تعنى بواقع المسلمين في شتى الجوانب، وصفا وتحليلاً وتقويماً بهدف تحديد معالم النهوض بذلك الواقع .

ويشتمل هذا البحث على خمسة فصول وخاتمة ، تناول الباحث في فصله التمهيدي التعريف بجمهوريات شمال شرق القوقاز، ثم تاريخ دخول الإسلام واستقراره في المنطقة ، وكشف اللثام عن واقع الدعوة الإسلامية خلال العهدين القيصري والشيوعي البلشفي ، ثم ألقى الضوء على تفكك الاتحاد السوفيتي، وجهاد الشعب الشيشاني من أجل الاستقلال .

وفي الفصل الأول عرض الباحث أحوال المسلمين الدينية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية ، إذ أنها مدخل هام لفهم واقع الدعوة الإسلامية في المنطقة . ثم في الفصل الثاني بين جهود القائمين بالدعوة، ومضمون ووسائل وأساليب الدعوة في المنطقة . أما الفصل الثالث فخصص لبيان المعوقات الداخلية والخارجية للدعوة وسبل اجتيازها . وكان الفصل الأخير لتقويم واقع الدعوة في الجمهوريات الثلاث وبيان سبل النهوض بها .

المقدمة

ثم ختم البحث بأهم النتائج والتوصيات التي تم التوصل إليها بعد دراسة علمية نظرية ، وميدانية عملية قاربت ثلاث سنوات، بذل الباحث فيها قصارى جهده وأفرغ عصاره عقله في جميع مراحل البحث ، وطاف بالعديد من الدول والبلدان لجمع المادة العلمية حيث أخذ ذلك جل الوقت والجهد ولم يكن سهلاً ميسوراً .

فبالإضافة إلى الزيارة الميدانية للمنطقة صيف عام ١٤١٩هـ (١٩٩٨م) ، طاف الباحث ببلاد الشام والتقى ببعض الباحثين والمهتمين وزار دور النشر والمراكز العلمية المعنية ، كما التقى بمججاج المنطقة في مكة المكرمة خلال موسم الحج لعام ١٤٢٠هـ (٢٠٠٠م)، وزار القاهرة والاسكندرية صيف عام ١٤٢١هـ (٢٠٠٠م) للقاء بعض المعلمين العرب الذين كانت لهم جهود دعوية طيبة في المنطقة . بالإضافة إلى لقاء الباحثين والمهتمين والطلاب في كل من موسكو والشارقة والرياض والكويت.

هذا وقد تطلبت جهود البحث القيام بترجمة أجزاء من كتب ووثائق عن اللغتين الانجليزية والروسية. ولئن فات الباحث شيء من المعلومات التي لم يستطع تحصيلها، فإن من المعتقد أنها لا تشكل عائقاً دون استيفاء المطلوب من الدراسة.

هذا وقد راعى الباحث أثناء إعداد هذه الدراسة الأمور التالية :

(١) كان المرجع الأساسي للبحث كتاب الله تعالى وسنة نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم .

(٢) نقل الباحث الأحاديث النبوية الشريفة من مراجعها الأصلية ، لا سيما الصحيحين .

(٣) سعى الباحث أثناء التأصيل الشرعي والاستدلال بالآيات الكريمة والأحاديث الشريفة إلى الاستفادة من كتب التفسير وشرح الحديث في كثير من المواضع.

المقدمة

(٤) حرص الباحث على الاستفادة من جميع مصادر المعلومات من كتب ومخطوطات ووثائق ومجلات وصحف ولقاءات شخصية وغيرها ، كما استفاد من شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) .

(٥) حرص الباحث على التحقق من المعلومة من خلال المقارنة والتمحيص والتوثيق من أكثر من مصدر .

(٦) تحرى الباحث الرجوع إلى المصادر الأصلية للمعلومات قدر الإمكان .

(٧) لم يورد الباحث أسماء الأشخاص في كثير من المعلومات السماعية رفعا للخرج .

هذا وإن الباحث لا يدعي العصمة فيما سطره قلمه في هذا البحث، وحسبه أنه تحرى الحق وسعى إليه ما استطاع إلى ذلك سبيلا ، فإن أصاب فمن توفيق الله، وإن أخطأ فمن نفسه ومن الشيطان .

وأسأل الله السميع الجيب أن يجعل عملي هذا خالصا لوجهه الكريم ، وأسأله سبحانه أن يقبله مني، وأن يجعله ذخرا لي ولأبوي الكريمين يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

وصلّى الله تعالى على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين .

وليد بن إبراهيم العنجري

الرياض - ٢٥ محرم ١٤٢٢ هـ

شكر وتقدير

إنني لأرى حقاً علي أن أزجي الشكر الوافر، والثناء العاطر إلى كل من أعانني في عملي هذا بأي شكل من أشكال العون.

وأول الشكر وآخره، ومبدأ الحمد ومنتهاه لولي الحمد، وأهل الثناء والمجد، ذي المنن الجزيلة - سبحانه - ، خالقي ورازقي ومولاي .

ثم الشكر أيضاً لوالدي الكريمين - حفظهما الله - ولأهلي وأولادي على صبرهم الجميل لانشغالي بالبحث والأسفار .

ثم أقدم الشكر لحكومة المملكة العربية السعودية على جهودها الكبيرة في مجال الدعوة الإسلامية وخدمة العلم الشرعي، ونصرة المسلمين وقضاياهم .

كما أقدم شكري إلى أستاذي وشيخي فضيلة الدكتور إبراهيم بن صالح الحميدان رئيس قسم الدعوة والاحتساب في كلية الدعوة والإعلام بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية على حسن عنايته وإشرافه على هذه الرسالة ، حيث كان رحب الصدر ، وكان لملاحظاته وتوجيهاته أكبر الأثر في تقويم هذا البحث وتسديده .
وأخص بالشكر أيضاً كلاً من :

أ.د/ زيد بن عبد الكريم الزيد د/ حمد بن ناصر العمار

د/ عادل الفلاح د/ سالم الشمري

د/ عبد الحميد داغستاني القاضي / عبد الحكيم الفزيع

أ/ سليمان المقوشي أ/ هانيء محمد المهدي

الشيخ / عبد اللطيف الهاجري الشيخ / عبد العزيز بن فتحي عيد ندا

والشكر موصول أيضاً للأستاذين الكريمين المناقشين الذين تفضلاً بقبول قراءة الرسالة وتقييمها ومناقشة الباحث .

ولا أنسى أن أشكر كل من أفادني بمعلومة أو ملاحظة أو نصيحة من الأساتذة والزملاء، فجزاهم الله تعالى جميعاً خير الجزاء .

أهمية الموضوع وسبب اختياره :-

إن أهمية دراسة واقع الدعوة الإسلامية في شمال شرق القوقاز، وأسباب اختيار الموضوع تبدو أن فيما يلي :-

(١) تأكيد القرآن الكريم والسنة النبوية على ضرورة الاهتمام بأمر المسلمين، ومحبتهم والتواصل معهم والتفريج عن كربهم في مواضع كثيرة من الكتاب العزيز والسنة المطهرة ، إذ يقول الله تعالى: "إنما المؤمنون إخوة"^(١) ، ويقول المصطفى صلى الله عليه وسلم : "تري المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضواً تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى"^(٢).

(٢) الأهمية التاريخية للجمهوريات الثلاث موضوع الدراسة ، فقد طرقتها الدعوة الإسلامية في عهد مبكر عندما دخلها كوكبة من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معهم فاتحين منتصرين عام ٢٢ هـ .

(٣) تتضح معالم الأهمية المعاصرة للمنطقة في عودتها الحثيثة إلى دينها وتمسكها الفريد بهويتها وإيمانها، وفي ذلك الجهاد المبارك الذي خاضه شعب الشيشان، والذي تكفل بالنصر والتمكين عام ١٤١٦ هـ .

(١) سورة الحجرات، الآية ١٠ .

(٢) رواه البخاري. انظر : صحيح البخاري المطبوع مع فتح الباري للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (١٣/ ٥٣٧ ط (٣) دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٢١ هـ (٢٠٠٠ م) ، كتاب الأدب ، باب رحمة الناس والبهائم، من حديث النعمان بن بشير - رضي الله عنه - ، رقم الحديث ٦٠١١ .

- (٤) ندرة الدراسات الجادة التي تبحث واقع الدعوة المعاصر في شمال شرق القوقاز تجعل من هذه الدراسة إضافة علمية جديرة بالاهتمام .
- (٥) إن تقديم دراسة وافية موضوعية عن حاضر الدعوة الإسلامية في تلك الأقطار يوفر على المؤسسات الإسلامية والدعاة المعنيين كثيراً من الجهد والوقت والمال ، وربما يعصمهم من الوقوع في بعض الأخطاء والعثرات .

الدراسات السابقة :

فيما يتعلق بالدراسات السابقة والتراكمات العلمية فإن الباحث لم يطلع على رسالة جامعية تناولت موضوع الدعوة الإسلامية في شمال شرق القوقاز أو أحد جوانبها رغم البحث في ذلك من مظاهره . أما التراكمات العلمية للكتب المنشورة التي طرقت بعض جوانب هذا الموضوع فهي مرتبة حسب التسلسل التاريخي لصدورها كما يلي :

(١) "بلاد الداغستان" تأليف محمد بن ناصر العبودي الأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي ، صدرت طبعته الأولى عام ١٤١٣هـ (١٩٩٣م) ، ويروي المؤلف يوميات زيارة قام بها إلى داغستان ولغاتهم وموجز تاريخ المنطقة . ويمكن الاستفادة منه في الجوانب السابقة، غير أنه موجز جداً .

(٢) "مستقبل الإسلام في القوقاز وبلاد ما وراء النهر" تأليف مصطفى محمد الطحان، وقد صدرت طبعته الأولى عام ١٤١٥هـ (١٩٩٥م) . يتناول المؤلف في الفصل التاسع من كتابه جمهوريات شمال القوقاز ، ويعطي صورة جيدة عن الموقع والسكان لكل جمهورية ، والواقع الإسلامي بعد تفكك الاتحاد السوفيتي وكذلك الواقع السياسي .

والكتاب يمكن الاستفادة منه في التعرف على بعض جوانب الدعوة الإسلامية المعاصرة في المنطقة . غير أنه قد أوجز العرض حيث لم يتجاوز تناول الجمهوريات الثلاث سبع عشرة صفحة ، كما أنه لم يتعرض لمعوقات الدعوة الإسلامية، وسبل النهوض بها .

(٣) "مأساة إخواننا المسلمين في الشيشان" تأليف الدكتور فهد العصيمي . وقد جمع المؤلف الكثير من المعلومات المتعلقة بمأساة الشيشان، فبعد ذكره لبعض المعلومات الأساسية كبيان الموقع ونوعية السكان والاقتصاد والتاريخ، أطنب الحديث عن استقلال الشيشان، وسر إصرار روسيا على ضمها .

ثم عرض بعض ما كتب في الصحافة عن الوضع المتأزم في الشيشان أثناء الحرب عام ١٤١٥هـ - ١٤١٦م (٩٤-١٩٩٦م) . وتحت عنوان "تقارير أوضاع اللاجئين" تطرق المؤلف للتقارير التي أرسلها بعض مراسلي الصحافة الإسلامية . ولا ريب أن لهذا الكتاب صلة وثيقة بميدان البحث ، حيث إن المأساة التي حلت بإخواننا الشيشان تقع ضمن الفترة الزمنية المعنية في الدراسة والبحث ، من هنا فإن الاستفادة منه سيغطي بعض الجوانب المهمة . غير أن البحث أشمل من حيث الفترة الزمنية ومن حيث المساحة الجغرافية ومن حيث الموضوع أيضاً .

(٤) "الشيشان صقور الجبال البيضاء" تأليف جمال بن فضل محمد الحوشي، وقد صدرت طبعته الأولى عام ١٤١٧م (١٩٩٦م) .

وهذا الكتاب كسابقة وثيق وثيق الصلة بموضوع البحث، لاسيما الفصل الثاني منه الذي حمل عنوان "الخيار العسكري" حيث تناول بعض دوافع روسيا للغزو ، وعرض بعض المتابعات الإخبارية المتعلقة بمأساة المسلمين هناك . غير أن خطة البحث أشمل وأكثر تفصيلاً في الجوانب الدعوية التي لم يتطرق لها الكتاب .

(٥) "الشيشان والاستعمار الروسي ١٨٥٩ - ١٩٩١م" تأليف المهندس سعيد بينو، ويمتاز هذا الكتاب بأن مؤلف من أصل شيشاني ويحمل الجنسية الأردنية ، فهو على علم ودراية ومتابعة لأحوال الشعب الشيشاني وصلة هذا الكتاب بميدان

البحث وثيقة فقد تناول المؤلف في الفصل الأول والثاني والثالث جغرافيا القوقاز وشعوبها، وفي الفصل الخامس تناول جمهورية الشيشان والأنغوش ذات الحكم الذاتي بعد إعادة تشكيلها عام ١٣٧٦ هـ (١٩٥٧م). وفي الفصل السادس والسابع عرض المؤلف مبادئ الحكم ومؤسسات الدولة في الاتحاد السوفيتي، كما بين جوانب مهمة من تسلط النظام السوفيتي، وتمييزه العنصري، واضطهاده الديني للشعوب والأمم، وغير ذلك من سمات الامبراطورية الروسية السوفيتية.

أما الفصل الثامن فقد تناول فيه المؤلف ممارسة الحكم في الشيشان خلال الحكم العنصري، وخلال فترة الحرب والثورة الشيوعية، ثم خلال الحكم الشيوعي. وفي الفصول الثامن والتاسع والعاشر تناول جمهورية الشيشان في مرحلة الاستقلال، ونبذة عن شعبها ومستقبلها.

ومجالات استفادة الباحث من هذا الكتاب كثيرة، لاسيما مرحلة الحكم الشيوعي التي فصل الحديث فيها تفصيلاً دقيقاً. غير أن ميدان البحث يشمل هذه الفترة والفترة التي تليها وهي التي أعقبت سقوط الشيوعية من حيث بيان واقع الدعوة الإسلامية ومعوقات مسيرتها وسبل النهوض بها.

(٦) كتاب "تاريخ القوقاز. نسور الشيشان في مواجهة الدب الروسي" تأليف محمود عبد الرحمن، وقد صدرت طبعته الأولى عام ١٤٢٠ هـ (١٩٩٩م).

يتميز الكتاب بعرضه الذي يجمع بين التفصيل والتحليل في بيان وقائع الثورة الشيشانية التي قادها الرئيس جوهر دودايف ثم سليم خان ثم أصلان مسخادوف. كما يعرض موقف الرأي العام الروسي والعالمي من حرب الإبادة في

الشيشان. وهذه محاور مهمة في الدراسة التي نحن بصددتها ، والتي تشمل -
بالإضافة إلى الشيشان - داغستان والأنغوش .

مشكلة البحث وأهدافه :

يعيش في شمال شرق القوقاز ما يقرب من أربعة ملايين مسلم قد عانوا صنوف الظلم والاضطهاد والتجهيل زمن الشيوعية والإلحاد ؛ وهم اليوم أمام مفترق طرق حيث يطمح الكثير منهم في العودة إلى هويته والانتماء إلى أمته والتماس طريق نهضته .

وفي ذات الوقت يجهل المسلمون في العالم الإسلامي الكثير عن أحوال إخوانهم في شمال شرق القوقاز ، لاسيما تلك الأحوال المتعلقة بواقع الدعوة الإسلامية بعد تفكك الاتحاد السوفيتي الذي أعلن عن تفككه رسمياً في يوم الأربعاء ١٩ جمادي الآخرة ١٤١٢هـ (١٩٩١/١٢/٢٥م) . والبحث الذي بين أيدينا قد يرفع جانباً مهماً من هذه المشكلة .

أما عن أهداف دراسة واقع الدعوة الإسلامية في شمال شرق القوقاز ، فمن أهمها ما يلي :

- (١) التعرف بواقع المسلمين وتأريخهم في المنطقة من خلال دراسة علمية نظرية وعملية ميدانية بهدف تعزيز التواصل الحضاري بين أبناء الأمة .
- (٢) التعرف على أحوال المسلمين الدينية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية إذ أن ذلك مدخل هام لفهم الواقع الدعوي .
- (٣) توثيق أهم الجهود الدعوية ، والوقوف على نقاط القوة والضعف في العمل الدعوي بهدف الترشيد والتسديد .

- (٤) التعرف على مضامين الدعوة الإسلامية في المنطقة ، ووسائل الدعوة وأساليبها ، من أجل رفع كفاءة العمل الدعوي .
- (٥) الوقوف على أهم المعوقات الداخلية والخارجية التي تعترض طريق الدعوة، ورصد الحركات والملل الهدامة التي تستهدف المجتمع المسلم، وبيان سبل اجتياز تلك المعوقات .
- (٦) تقييم الواقع الدعوي في المنطقة ، وبيان أنجع السبل للنهوض بذلك الواقع .

تساؤلات الدراسة :

إن التساؤلات الرئيسة التي تدور حولها دراسة واقع الدعوة الإسلامية في شمال شرق القوقاز هي ما يلي:

- ما تاريخ المنطقة منذ دخول الإسلام إلى حين تفكك الاتحاد السوفيتي السابق؟
- ما أحوال المسلمين الدينية والاقتصادية والاجتماعية بعد تفكك الاتحاد السوفيتي؟
- ما أهم الجهود الدعوية؟ وما مضمون الدعوة؟ وما هي أهم وسائلها وأساليبها؟
- ما أهم المعوقات الدعوية؟ وما سبل اجتياز تلك المعوقات؟
- ما تقويم الدعوة في المنطقة؟ وما سبل النهوض بها؟

منهج البحث :

إن الطريقة التي سيتبعها الباحث في دراسته لا ستكشف الحقيقة
ستسير وفق المناهج التالية:

(أ) المنهج التاريخي :

لا ريب أن الحياة المعاصرة في كل مجتمع قائمة على الحياة السابقة وامتداد لها، من
هنا فإن السبيل لفهم الواقع الدعوي في مجتمع شمال شرق القوقاز يتطلب بالضرورة
استخدام المنهج التاريخي للحصول على المعرفة عن طريق دراسة الماضي للوصول إلى
فهم وتحليل الواقع الدعوي الحاضر ^(١) .

فالمنهج التاريخي هو الطريق الذي سيبتهه الباحث في جمع الوثائق والكتب
والمخطوطات التي تشتمل على معلومات عن الأحداث والحقائق الماضية، ثم فحصها
وتقدها وتحليلها والتأكد من صحتها، ثم عرضها وترتيبها وتنظيمها وتفسيرها،
واستخلاص التعميمات والنتائج العامة منها والتي لا تقف فائدتها على فهم أحداث
الماضي بل تعداه إلى المساعدة في تفسير الأحداث والقضايا والمشكلات الدعوية
الحاضرة في مجتمع شمال شرق القوقاز، وفي توجيه التخطيط بالنسبة للمستقبل .

^(١) انظر : د/ صالح بن حمد العساف "المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية" ص ٢٨١ وما بعدها ، ط (١) مكتبة

البيكان - الرياض ، ١٤١٦ هـ (١٩٩٥ م) .

(ب) المنهج الوصفي :

إن استخدام المنهج الوصفي يهدف إلى الوصول إلى المعرفة التفصيلية لواقع الظاهرة المراد دراستها وهي ظاهرة الدعوة الإسلامية في شمال شرق القوقاز ثم العمل على تحليل تلك الظاهرة بعد وصفها بهدف الإجابة على تساؤلات الدراسة وحل مشكلتها^(١).

كما سيعتمد الباحث باستخدامه المنهج الوصفي إلى نقد وتقويم الظاهرة المراد بحثها من خلال صريح القرآن الكريم وصحيح السنة النبوية ، وذلك بعد الرجوع إلى أمهات كتب التفسير وشرح الحديث وأقوال الأئمة .

(١) انظر : د/ صالح بن حمد العساف "المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية" ص ٢٣٥ وما بعدها .

أدوات البحث :

من أجل الوصول إلى الحقيقة العلمية المتعلقة بواقع الدعوة الإسلامية في شمال شرق القوقاز، لا بد من اتخاذ وسائل وأدوات عدة يمكننا من خلالها دراسة السلوك الإنساني الدال على حقيقة الواقع الدعوي ، من هنا فإن الباحث سيعتمد إلى دراسة أنماط السلوك الإنساني من خلال ما يلي:-

- المقابلة الشخصية (المواجهة المباشرة) .

- الملاحظة (رصد السلوك) .

وسأفصل الحديث عن ذلك يلي :-

(١) المقابلة الشخصية :-

المقابلة الشخصية أداة من أدوات البحث، يتم بموجبها جمع المعلومات التي تمكن الباحث من إجابة تساؤلات البحث ، وتعتمد على مقابلة الباحث للمبحوث وجها لوجه بغرض طرح عدد من الأسئلة من قبل الباحث ، والإجابة عليها من قبل المبحوث .

وتعد المقابلة الشخصية العلمية من أهم روافد جمع المادة العلمية لدراسة السلوك الإنساني المتعلق بواقع الدعوة الإسلامية في شمال شرق القوقاز، وذلك لاعتبارات عدة منها ما يلي:-

(أ) أن مجال البحث جديد ، وما ألف فيه نادر ، من هنا يتعين تطبيق المقابلة الشخصية للوصول إلى فروض جديدة ومعلومات ذات ارتباط بموضوع البحث .

(ب) أن هناك حاجة للتعمق في المعلومات لا يمكن الوصول إليها من خلال أداة أخرى سوى المقابلة الشخصية .

(ج) أن طبيعة البحث ذات صفة خاصة وقد يصعب على أفراد العينة أو بعضهم الإدلاء بالمعلومات كتابة ، مما يحتم مقابلتهم وجهاً لوجه ومحاولة اكتشاف الحقيقة ولو بطريقة غير مباشرة .

(٢) الملاحظة (رصد السلوك) :

الملاحظة أداة من أدوات البحث العلمي ، وهي تعني الانتباه المقصود والموجه نحو سلوك فردي أو جماعي معين بقصد متابعته ورصد تغيراته ليتمكن الباحث بذلك من : وصف السلوك فقط ، أو وصفه وتحليله أو وصفه وتقويمه .

وتتعدد أنواع الملاحظة في مجال البحث العلمي ، فهناك الملاحظة المباشرة وغير المباشرة ، والملاحظة المحدودة وغير المحدودة ، وملاحظة بمشاركة وبغير مشاركة ... الخ^(١).

(١) انظر : د / صالح العساف "المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية" ص ٤٠٦ .

والباحث سيعمد إلى الملاحظة المباشرة في زيارته الميدانية للمنطقة ، وذلك بملاحظة سلوك العلماء والدعاة وطلبة العلم وعامة الناس من خلال اتصاله مباشرة بهم أو ببعض نتاجهم العلمي أو العملي، والانتباه المقصود نحو سلوكهم ورصد تغيراته، ومن ثم وصفه وتحليله وتقويمه.

تقسيم البحث :

تم تقسيم البحث إلى مقدمة وخمسة فصول وخاتمة على النحو التالي :-

* المقدمة : وتتضمن ما يلي:

- أهمية الموضوع وسبب اختياره .
- الدراسات السابقة .
- مشكلة البحث وأهدافه .
- تساؤلات الدراسة .
- منهج البحث .
- أدوات البحث .
- تقسيم البحث .

* الفصل التمهيدي :-

- المبحث الأول : التعريف بجمهوريات شمال شرق القوقاز .
- المبحث الثاني: دخول الإسلام واستقراره في جمهوريات شمال شرق القوقاز .

- المبحث الثالث : الدعوة الإسلامية خلال العهدين : القيصري ،
والبلشفي في شمال شرق القوقاز .

- المبحث الرابع: تفكك الاتحاد السوفيتي ، وجهاد الشعب الشيشاني
من أجل الاستقلال .

* الفصل الأول :- أحوال المسلمين في شمال شرق القوقاز بعد
تفكك الاتحاد السوفيتي .

- المبحث الأول: أحوالهم الدينية .

- المبحث الثاني: أحوالهم الاقتصادية .

- المبحث الثالث: أحوالهم الاجتماعية والعلمية .

* الفصل الثاني: الجهود الدعوية في شمال شرق القوقاز.

- المبحث الأول : القائمون بالدعوة.

- المبحث الثاني: مضمون الدعوة .

- المبحث الثالث : الوسائل والأساليب .

* الفصل الثالث :- معوقات الدعوة في شمال شرق القوقاز
وسبل اجتيازها .

- المبحث الأول : المعوقات الداخلية .

- المبحث الثاني: المعوقات الخارجية .

- المبحث الثالث : سبل اجتياز المعوقات .

* الفصل الرابع :- تقويم الدعوة وسبل النهوض بها في
الجمهوريات الثلاث :

- المبحث الأول : معايير التقويم .

- المبحث الثاني: تقويم الدعوة في الجمهوريات الثلاث .

- المبحث الثالث: سبل النهوض بها في الجمهوريات الثلاث .

* الخاتمة : وتتضمن ما يلي :

- ملخص البحث .

- نتائج البحث .

- التوصيات .

- الملاحق .

- الفهارس .

الفصل التمهيدي :

ويشتمل على المباحث التالية :

- المبحث الأول :

التعريف بجمهوريات شمال شرق القوقاز .

- المبحث الثاني:

دخول الإسلام واستقراره في جمهوريات شمال شرق القوقاز.

- المبحث الثالث:

الدعوة الإسلامية خلال العهدين القيصري والبلشفي في شمال شرق القوقاز .

- المبحث الرابع :

تفكك الاتحاد السوفيتي وجهاد الشعب الشيشاني من أجل الاستقلال .

المبحث الأول :

التعريف بجمهوريات شمال شرق القوقاز .

ويشتمل على العناوين التالية :-

أولاً : التعريف بإقليم القوقاز .

ثانياً : التعريف بجمهورية داغستان .

ثالثاً : التعريف بجمهورية الشيشان .

رابعاً : التعريف بجمهورية الأنغوش .

أولاً : التعريف بإقليم القوقاز :

إن التعريف بجمهوريات شمال شرق القوقاز - موضوع البحث - يقتضي التعريف أولاً بالإقليم الذي يضم تلك الجمهوريات. وهذا ما سيتم تناوله في هذا المدخل على النحو التالي :

- أصل التسمية :

القوقاز تسمية لاتينية مشتقة من قوقازوس "Kaukasus" التي وردت في كتابات المؤرخين والجغرافيين الإغريق القدماء، وتعود التسمية الروسية قفقاس "Kavkas" إلى الأصل نفسه. ويعتقد أن أصل التسمية "قازقاز" وهي التسمية التي كان الحيثيون^(١) يطلقونها على سكان الساحل الجنوبي من البحر الأسود^(٢).

وفي المصادر العربية - لاسيما معجم البلدان - يطلق "ياقوت الحموي"^(٣)

(١) انظر : محمود عبد الرحمن "تاريخ القوقاز . نسور الشيشان في مواجهة الدب الروسي" ص ٧٠ ، ط (١) دار النفائس - بيروت ، ١٤٢٠ هـ (١٩٩٩ م) .

(٢) الحيثيون : هم أول من عرف من سكان ما يسمى الآن تركيا . وقد بدأوا في السيطرة على المنطقة حوالي عام ١٩٠٠ ق.م ، ثم غزوا أجزاء من بلاد ما بين النهرين وسوريا . وبحلول عام ١٥٠٠ ق.م أصبح الحيثيون قوة رائدة ، إلا أن العلماء لا يعرفون من أين أتى الحيثيون ، من أوروبا أو من آسيا الوسطى . انظر : "الموسوعة العربية العالمية" الصادرة عن مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع ٦١٣/٩ ، ط (٢) - الرياض ، ١٤١٩ هـ (١٩٩٩ م) . وانظر : محمد شفيق غربال "الموسوعة العربية الميسرة ٧٤٦/١ ، ط دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ١٩٦٥ م .

(٣) ياقوت الحموي : هو ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي ، أبو عبد الله شهاب الدين . مؤرخ أديب شاعر لغوي عالم بتقويم البلدان . ولو ببلاد الروم عام ٥٧٤ هـ ، واعتقه مولاة عسكر الحموي . سافر وطاف بالبلدان وكتب عنها الكثير في كتابه الشهير "معجم البلدان" . توفي بمدينة حلب في رمضان من عام ٦٢٦ هـ . انظر : عمر رضا كحالة "معجم المؤلفين" ٨٣/٤ ، ط (١) مؤسسة الرسالة - بيروت ، ١٤١٤ هـ (١٩٩٣ م) . وانظر : خير الدين الزركلي "الأعلام" ٨/ ١٣١ ، ط (١) دار العلم للملايين - بيروت ، ١٩٩٢ م .

اسم "القبق" على تلك الجبال ^(١). أما المصادر العربية الحديثة فهي تطلق مسمى "القوقاز" أو "القفقاس" على ذلك الإقليم ^(٢).

- الموقع والتضاريس :

يقع إقليم القوقاز في المنطقة الواقعة بين البحر الأسود وبحر أزوف من الغرب، وبحر قزوين من الشرق، وتمتد شمالاً حتى حوض ما ينش ونهر القوما، وجنوباً حتى السفوح الشمالية لهضبة أرمينيا بين دائرتي عرض ٤٠-٤٥ درجة شمالاً، وبين خطي طول ٣٧-٤٩ درجة شرق خط غرينتش. وتبلغ مساحة إقليم القوقاز ٤٠٠ ألف كم^٢ ^(٣).

وتنقسم منطقة القوقاز من الناحية التضاريسية إلى ثلاثة أقسام كما يلي:

(١) سلسلة جبال القوقاز: وتمتد من الجنوب الشرقي إلى الشمال الغربي بطول ١٢٠٠ كم مكونة حاجزاً عظيماً يفصل البحر الأسود عن بحر قزوين، وتقسم هذه

(١) انظر: ياقوت الحموي "معجم البلدان" ٣٤٧/٤ برقم (٩٤١٨).

(٢) انظر على سبيل المثال: "الموسوعة العربية العالمية" ١٨ / ٤٢٤، محمد جمال صادق "موسوعة تاريخ القفقاس والجركنس" ط دار علاء الدين - دمشق، ١٩٩٦ م.

(٣) تختلف المصادر في تحديد مساحة الإقليم. انظر على سبيل المثال:

- المصدر السابق، ص ١٧

- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية "الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي" ١٤ / ٣١٨، ط (١) جامعة

الإمام - الرياض، ١٤١٩ هـ (١٩٩٩ م).

السلسلة منطقة القوقاز إلى شطرين : أحدهما يسمى شمالي القوقاز ، والآخر جنوبي القوقاز (ويطلق عليه الروس أحياناً: ما وراء القفقاس)^(١) .

وتتصف سلسلة جبال القوقاز بأنها مرتفعة في الشمال ويقل انحدارها كلما اتجهنا جنوباً ، ويتخلل هذه السلسلة ممر "دريال" في وسطها ، وفي هذا الممر يمر الطريق العسكري الذي شقه الروس ليصل ما بين جنوبي منطقة القوقاز وشمالها . وجبال القوقاز خالية من البحيرات ، ولكن تكسوها الأحراج الكثيفة والغابات^(٢) .

(٢) شمال القوقاز : ويتألف من سهول تتصل بسهول نهر الدون ، وتكثر فيه المستنقعات والصحاري وفيه مساحات واسعة من المراعي .

(٣) جنوبي القوقاز : ويتألف من سهول قليلة الاتساع أهمها سهل "ريون" الغربي ، وهو من أخصب السهول ومزدحم بالسكان ، وسهل "كور أراس" الشرقي . البركاني الذي يبلغ ارتفاعه ٥١٦٠م ، وهو النقطة الرئيسة لتخوم ثلاث دول كبرى هي روسيا وتركيا وإيران . وتنتشر في سهول القوقاز الجنوبية البساتين والمراعي الواسعة^(٣) .

(١) انظر : خريطة إقليم القوقاز : التضاريس الطبيعية ص ٢٩ .

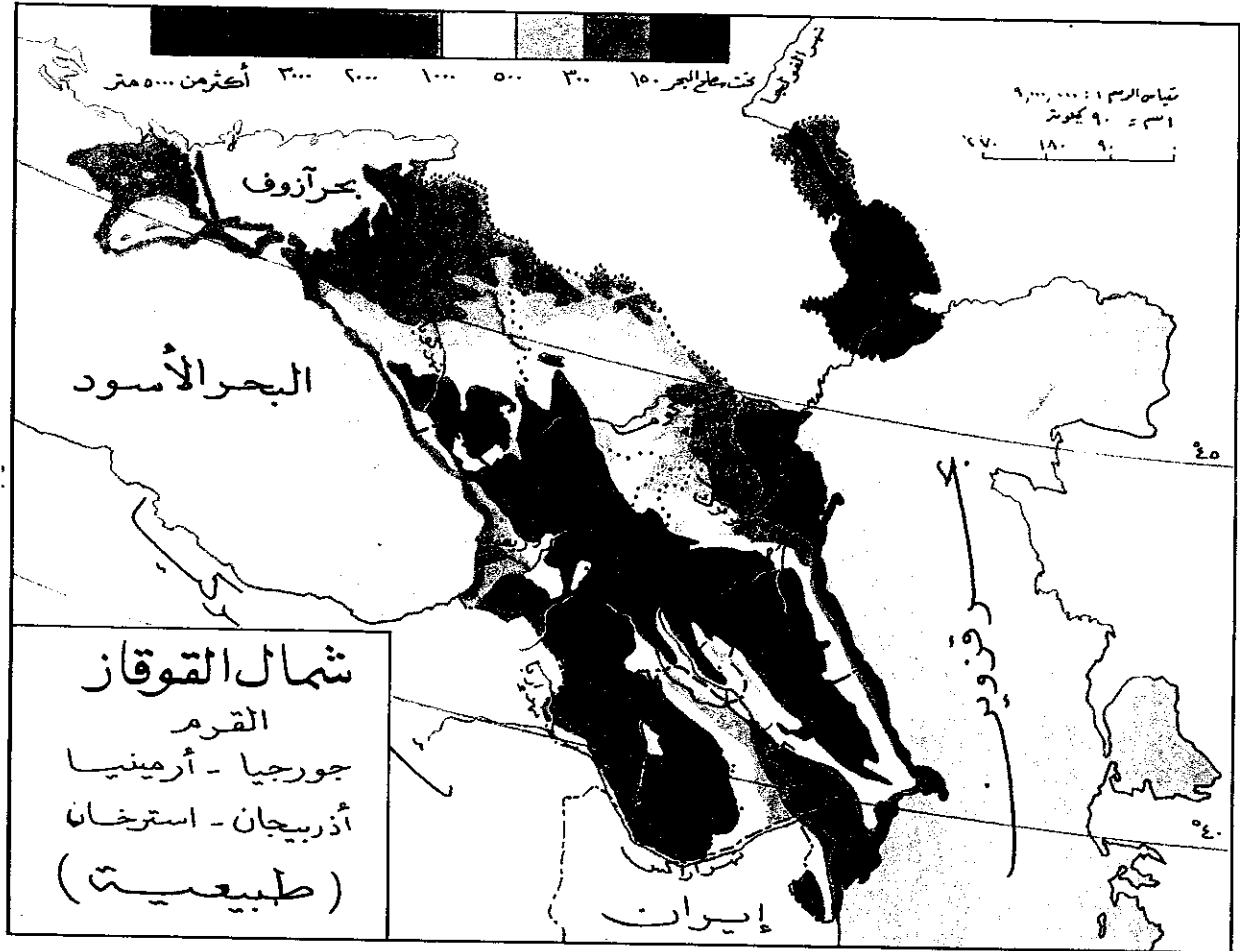
(٢) انظر : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية "الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي" ٣١٨/١٤ وما بعدها .

وانظر: محمود عبد الرحمن "تاريخ القوقاز" ص ٧، ٨ .

(٣) انظر : المرجع السابق .

خريطة رقم (١)

إقليم القوقاز . تضاريس طبيعية (*) .



(*) المصدر : "د/دولت صادق" أطلس العالم الإسلامى "ص٧٤، بإشراف د/دولت صادق، ط دار البيان العربى

— جدة ، ١٤١٩هـ (١٩٩٩م) — بنصرف .

تحت تأثير مناخ سهول آسيا الوسطى الشديد الحرارة . والقوقاز الجنوبي مناخه أقرب إلى الاعتدال من باقي أجزاء القوقاز ، وذلك لأن جبال القوقاز العالية تحول دون وصول الرياح الشمالية الباردة إليه ^(١) .

– أهمية موقع إقليم القوقاز :

اكتسب إقليم القوقاز أهمية تاريخية كبيرة جعلته محطة للأطماع الخارجية . وتبدو أهمية موقع القوقاز من خلال ما يلي:

(أ) الأهمية الجغرافية: إن موقع إقليم القوقاز بين البحر الأسود وبحر قزوين جعله حلقة اتصال بين شعوب أوروبا وآسيا .

وتحتل سواحل البحر الأسود مكانة استراتيجية كبيرة في تطوير الروابط الاقتصادية والسياسية والثقافية بين أوروبا والشرق الأوسط ^(٢) .

(ب) الأهمية التاريخية : لقد كان للقوقاز أثره التاريخي الفاعل في نقل الحضارات بين الشرق والغرب ، وقد عد المؤرخون القوقاز من أهم مراكز التحركات السياسية والاقتصادية، والهجرات البشرية منذ ظهور الإنسان على الأرض ^(٣) . يضاف إلى ذلك أن منطقة القوقاز كانت طريقاً تجارياً بين الهند والصين من جهة وأوروبا من جهة ثانية .

^(١) انظر : محمود عبد الرحمن "تاريخ القوقاز .." ص ٩-١٠ . وانظر : محمد جمال صادق "موسوعة تاريخ القفقاس والجركس" ص ١٨ .

^(٢) انظر تفصيل ذلك في: محمد جمال صادق "موسوعة تاريخ القفقاس والجركس" ص ١٩ .

^(٣) انظر: "الموسوعة العربية العالمية" ١٨:٤٢٤ . وانظر: محمود عبد الرحمن "تاريخ القوقاز .." ص ١١ .

(ج) الأهمية الاقتصادية : إن غنى القوقاز بثرواته وإنتاجها الزراعي، بالإضافة إلى موقعها الاقتصادي والتجاري المميز جعل السلطة الروسية تولى أهمية بالغة لها، وإن من الصعب تقدير أهمية القوقاز في حياة الدولة الروسية في هذا العرض الموجز، فقد أدى وجود الثروة الهائلة في باطن الأرض وظاهرها إلى جعل القوقاز مصدراً هائلاً لمواد الخام الصناعية الاستراتيجية وقاعدة اقتصادية هامة لروسيا^(١).

كما أن للقوقاز أهمية اقتصادية كبيرة كونه مصدراً للمنتجات الزراعية في الدولة الروسية، فشمال القوقاز تعتبر من أغنى مناطق روسيا في إنتاج القمح والذرة والشوندر السكري، وفي جنوب القوقاز نمت زراعة القطن والتبغ والعنب والشاي والحمضيات والزيتون وغيرها. وتزداد أهمية القوقاز الاقتصادية لوجود المراعي الواسعة والمعادن الثمينة^(٢).

^(١) انظر تفصيل ذلك في : محمد جمال صادق " موسوعة تاريخ القوقاس والجركس " ص ١٩ وما بعدها . وكذلك:

محمود عبد الرحمن " تاريخ القوقاز . " ص ١١ .

^(٢) انظر : المرجع السابق .

ثانياً: التعريف بجمهورية داغستان:

- الموقع والمساحة وأهم المدن :

داغستان هي إحدى جمهوريات شمال القوقاز ذات الحكم الذاتي التابعة للاتحاد الروسي. تقع على الساحل الغربي لبحر قزوين ، وتبلغ مساحتها ٥٠,٣٠٠ كم^٢. يحدها من الشرق بحر قزوين، ومن الغرب جمهورية الشيشان وإقليم ستافروبل الروسي، ومن الشمال جمهورية الميكيا الروسية ، ومن الجنوب جمهوريتي أذربيجان وجورجيا . وكلمة داغستان تعني بلاد الجبال ^(١) ^(٢).

فالجبال تشكل ما مجموعه ٧٥% من مساحة البلاد ، حيث تنحدر تلك الجبال بشكل حاد باتجاه ساحل بحر قزوين شرقاً تاركة سهلاً خصباً ، وتنحدر من هذه الجبال أنهار وروافد أهمها نهر الترك ونهر صولاق ونهر سومار، ونظراً لشدة انحدار هذه الأنهار فإنها تُستغل في توليد الطاقة الكهربائية ^(٣). أهم مدن داغستان العاصمة محاج قلعة، وهي ميناء هام على بحر قزوين ، ثم تأتي من حيث الأهمية مدينة در بند، وتعني باب

^(١) انظر : د/ محمد محمود السراني "الوجيز في جغرافيا العالم الإسلامي" ص ٣٣٩، ط (١) دار عالم الكتب -

الرياض، ٤١٧ هـ (١٩٩٧م). وانظر : "الموسوعة العربية العالمية" ٢٢٩/١٠.

^(٢) انظر : خريطة رقم (٢) : جمهورية داغستان . الحدود والتضاريس وأهم المدن ص ٣٤ .

خريطة رقم (٣) : جمهورية داغستان . الموقع الجغرافي ص ٣٥ .

خريطة رقم (٤) : جمهورية داغستان . الموقع في روسيا الاتحادية ص ٣٥ .

^(٣) انظر : مصطفى محمد الطحان "مستقبل الإسلام في القوقاز وبلاد ما وراء النهر" ص ١٦٣ ، ط (١) المركز العالمي

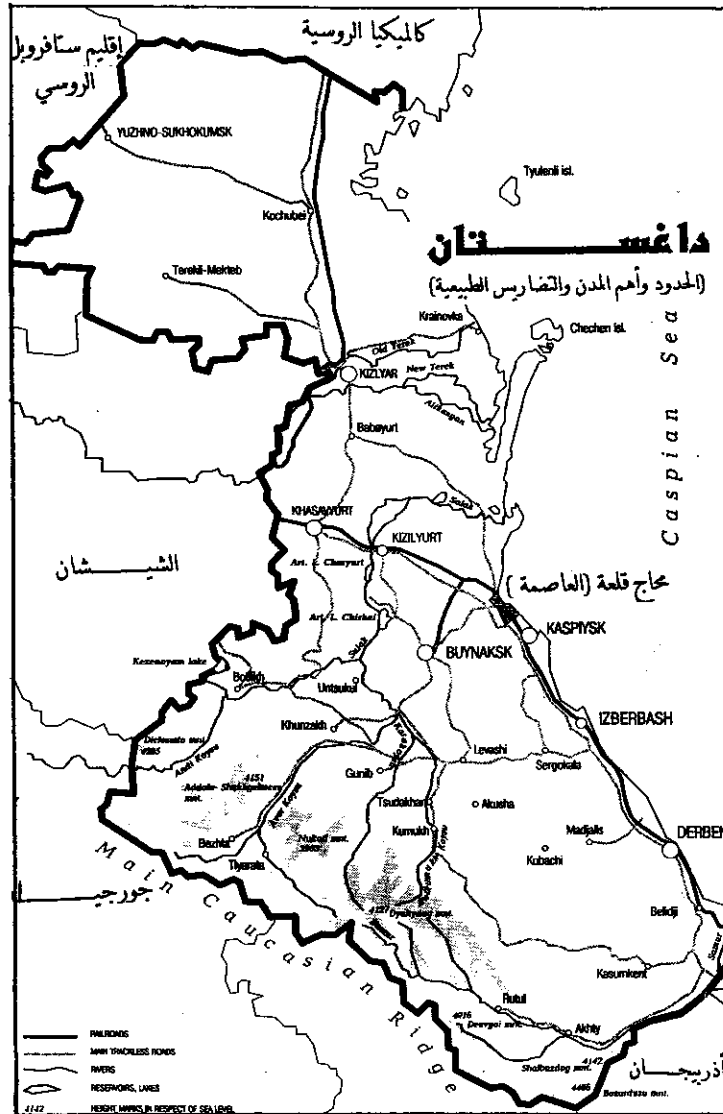
للكتاب الإسلامي - الكويت ، ١٩٩٥م.

الأبواب ، وأهلها يتحدثون اللغة الأذرية، وتقع على الساحل الجنوبي حيث تبعد ١٧٠ كم عن العاصمة وهي ذات موقع استراتيجي ومركز تجاري وصناعي . وتأتي ثالثاً مدينة قزوين التي تقع في منتصف المسافة بين العاصمة ودر بند^(١) .

(١) انظر : مصطفى الطحان "مستقبل الإسلام في القوقاز وبلاد ما وراء النهر" ص ١٦٣ .

خريطة رقم (٢) :

جمهورية داغستان. الحدود وأهم المدن والتضاريس الطبيعية^(١).



^(١) المصدر : وزارة الاقتصاد بجمهورية داغستان "Daghestan" صفحة الغلاف الخلفي - بتصرف - مترجم عن

خريطة رقم (٣) : الموقع الجغرافي لجمهورية داغستان ^(١).



خريطة رقم (٤) : موقع جمهورية داغستان في روسيا الاتحادية ^(٢).



موقع جمهورية داغستان

^(١) المصدر : وزارة الاقتصاد بجمهورية داغستان "Daghestan" ص ٩ - بتصرف .

^(٢) المصدر : الإنترنت - بتصرف - موقع Gif . WWW Caspian net / - dg - map .

- عدد السكان وأهم القوميات :

قدر عدد سكان داغستان بحوالي ٢,٣ مليون نسمة^(١). في حين كان عدد السكان عام ١٤٠٩ هـ (١٩٨٩م) يبلغ ١٨٨ و ١٨٠٢ نسمة طبقاً لإحصاء سكان الاتحاد السوفيتي الرسمي^(٢).

ويعيش على أرض داغستان كثير من القوميات العرقية حيث يزيد عددها عن ثلاثين قومية ، من أهمها الأوار حيث تشكل ما يقرب من ربع السكان، ثم الدارغين ١٤,٥ % ، ثم القوموق ثم الروس وبعدهم الملاك والطبسران وغيرهم^(٣).

إن كل عرق من تلك الأعراق يتحدث لغته الخاصة وله ثقافته وتراثه وموقعه الجغرافي، لهذا كانت إذاعة وتلفاز جمهورية داغستان تبث إذاعتها بلغات محلية عدة، كما أن الصحافة المحلية تصدر بلغات محلية عدة^(٤). ولم يجمع تلك القوميات جميعاً سوى الإسلام الذي وحد وألف بين قلوبهم ، صفوفهم في مواجهة الغزاة.

(١) انظر : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية "الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي" ٣١٩/١٤.

(٢) انظر : الإنترنت ، موقع: WWW . Caspian netldaginto. Htm بتاريخ شهر صفر ١٤٢١ هـ (٢٠٠٠/٥م).

(٣) انظر : د/ محمود أبو العلا "المسلمون في الاتحاد السوفيتي - سابقاً - دراسة اجتماعية . اقتصادية . سياسية"

ط (١) مكتبة الانجلو - القاهرة، ١٩٩٣م. ص ١٠٢ . وانظر : الإنترنت ، موقع : WWW . Caspian netldaginto. htm

(٤) سيأتي تفصيل ذلك لاحقاً في : الفصل الأول : أحوال المسلمين في شمال شرق القوقاز بعد تفكك الاتحاد السوفيتي.

بلغ عدد الداغستانيين في الشتات (خارج الوطن) ٦٢٨,٠٠٠ عام ١٤٠٩ هـ (١٩٨٩م)^(١) ولك نتيجة الظروف القاهرة التي مرت بها المنطقة، لاسيما في العهد القيصري .

ثم العهد الشيوعي حيث نفي ستالين^(٢) شعباً كاملاً إلى سيبيريا وغيرها فمات كثير منهم في الطريق^(٣) . وقد عاد كثير من الداغستانيين إلى وطنهم في السنوات العشر الأخيرة^(٤) .

(١) انظر : الانترنت ، موقع : [WWW . Caspian net/daginto. htm](http://WWW.Caspian.net/daginto.htm)

(٢) ستالين: جوزيف ستالين زعيم شيوعي ودكتا تور روسي، كان رئيس اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية من عام ١٩٢٩ م إلى ١٩٥٣ م. اسمه الحقيقي إيوسيف فيساريو نوفيتش ، ولد عام ١٨٧٩م في قرية جوربي في جورجيا بالقوقاز ، واشتق اسم ستالين عام ١٩١٣م (أي الرجل الفولاذي) حكم ستالين حكماً دكتورياً ، وأعدم أو سجن معظم الذين ساعدوه .

انظر : "الموسوعة العربية العالمية" ١٢/١٥٢ . وانظر : "الموسوعة العربية الميسرة" ١/٩٦٢ .

(٣) انظر تفصيل ذلك في : روبرت كونكوس "قتلة الأمم . النفي السوفياتي للأمم أثناء الحرب العالمية الثانية" ص ٣١ وما بعدها . ترجمة: صادق إبراهيم عودة ، ط (١) الشركة الدولية ، عمان - الأردن ، ١٤٠٨ هـ (١٩٨٨م) .

(٤) ذكره بعض من التقاهم الباحث من الداغستانيين .

ثالثاً : التعريف بجمهورية الشيشان:

- الموقع والحدود والتضاريس :

تقع جمهورية الشيشان على السفح الشمالي لسلسلة جبال القوقاز يحدها من الشرق جمهورية داغستان ومن الغرب جمهورية أنغوشيا ، ويحدها من الشمال جمهورية داغستان وإقليم ستافروبول الروسي ، ومن الجنوب جورجيا ، وتبلغ مساحتها ١٣ ألف كم^٢ . ولهذا الموقع أهمية كبيرة ، فهي تقع في النقطة المركزية من شمال القوقاز^(١) ، والسيطرة عليها تعني التحكم في شمال القوقاز بأكمله، كما أن بعض أنابيب النفط الأذربيجاني تمر عبر الشيشان^(٢) . ويعود أصل التسمية "الشيشان" إلى اسم قرية صغيرة تقع على نهر أرغون، وقد حصلت فيها المعركة الأولى بين سكان القوقاز الشمالي والروس عام ١٧٢٢م^(٣) .

وبلاد الشيشان جبلية جنوباً تتألف من السلاسل الوسطى لجبال القوقاز، وهي مغطاة بالغابات الكثيفة. أما في الشمال فتنتشر السهول التي تتجاوز نهر الترك لتتصل بالسهول الروسية ، وهي سهول عشبية زراعية كثيرة الأنهار دائمة الخضرة .

ومناخ جمهورية الشيشان بارد جداً شتاءً حتى إن مياه الأنهار قد تتجمد فيه، وهو معتدل في بقية الفصول . والأمطار في الشيشان غزيرة وهي ربيعية صيفية^(٤) .

(١) انظر : مصطفى الطمان "مستقبل الإسلام في القوقاز .." ص ١٧١ ، وانظر : "الموسوعة العربية العالمية" ص ٣٠ ،

وانظر الخريطة رقم (٥) ص ٣٩ .

(٢) انظر : محمود عبد الرحمن "تاريخ القوقاز .." ص ١٣٣ .

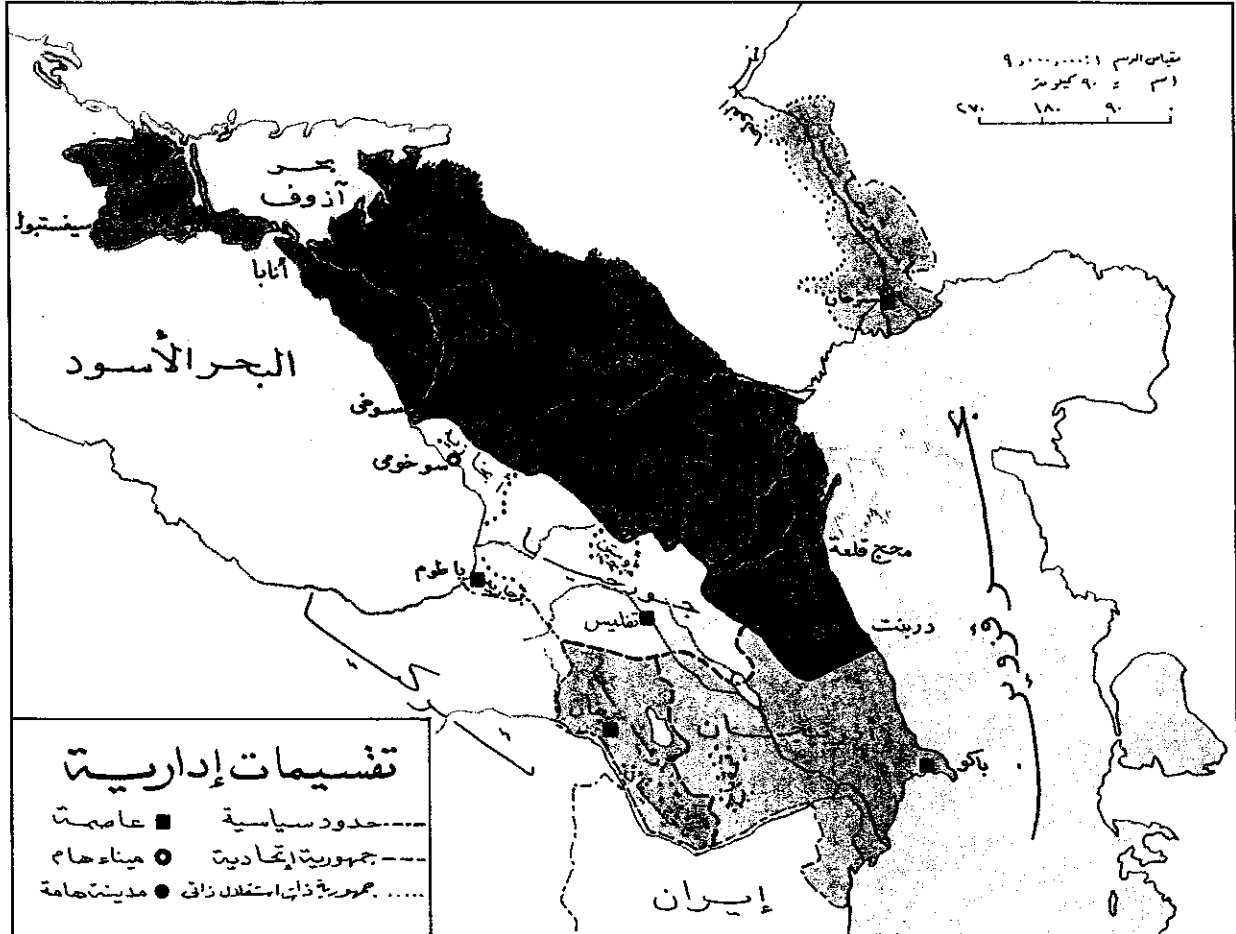
(٣) المرجع السابق .

(٤) انظر : مصطفى زنداقي "أضواء على جمهورية الشيشان" بحث صغير مطبوع غير منشور . وقد التقى الباحث

بالأستاذ مصطفى في دمشق بتاريخ ٧/٢٨ / ١٤١٨ هـ (٢٧/١١/١٩٩٧م) .

خريطة رقم (٥) :

جمهورية الشيشان وجمهورية الأنغوش : الموقع والحدود (*) .



(*) المصدر : د/ دولت صادق " أطلس العالم الإسلامي " ص ٧٤ - بتصرف - .

- أهم المدن وعدد السكان :

أهم المدن في الشيشان ثلاث هي مدينة غروزني العاصمة، (وتعني باللغة الروسية "المرعب")^(١)، ومدينة غودرمس ومدينة آرغون . أما بقية التجمعات السكانية فلم تمنح وضع المدن في العهد السوفيتي مهما كبرت ، وذلك لكي تبقى الشيشان في الإحصاءات جمهورية زراعية^(٢) .

أما عن عدد السكان فإن المصادر تختلف في تحديد عدد سكان الشيشان ، غير أن جمهورية الشيشان احتفلت قبل بضع سنين لبلوغ عدد سكانها مليون نسمة^(٣) . ومن المعلوم أن شعب الشيشان قد تعرض لحملات إبادة في تاريخ صراعه الطويل مع الروس أدى إلى تناقص حاد في عدد السكان .

(١) سميت بذلك نسبة إلى القيصر الروسي "إيفان" الذي سُمى بـ "إيفان المرعب" لدمويته . وإيفان هو أحد القياصرة الأوائل الذين توسعوا شرقاً وجنوباً على حساب المسلمين، وهو الذي دمر مدينة قازان . والذي بني مدينة غروزني هو القائد "يرملوف" عام ١٨١٨م بعد أن اتبع سياسة الأرض المحروقة لسحق المقاومة فبني مدينة غروزني وجعلها قلعة يحتمي بها الروس . انظر : جون باديلي "احتلال الروس للقفقاس" ص ١٤١ ، تعريب : صادق إبراهيم عودة ، ط (١) مطبعة الأمان - عمان، ١٩٨٧م .

(٢) انظر: سليمان المقوشي "المسلمون في روسيا . معالم ورجال" ص ٨ . دراسة مطبوعة غير منشورة . والأستاذ سليمان هو مدير مكتب الدعوة الإسلامية في سفارة المملكة العربية السعودية في العاصمة الروسية موسكو، وقد التقاه الباحث في صيف عام ١٤٢٠هـ (١٩٩٩م) .

(٣) قيل للباحث ذلك عند زيارته الميدانية للعاصمة غروزني صيف عام ١٤١٩هـ (١٩٩٨م) .

وقد كان يعيش في الجمهورية ما يقرب من ٢٥٠ ألف من القوميات غير الشيشانية مثل الروس والأوكران^(١) والبيلاروس^(٢) وغيرهم، وقد غادر غالبية هؤلاء عندما اندلعت الأحداث الدامية عام ١٤١٥ (١٩٩٤م)^(٣).

(١) الأوكران : نسبة إلى أوكرانيا، وأوكرانيا قطر زراعي صناعي تعديني غني يقع في جنوب شرق أوروبا، كان تابعاً للاتحاد السوفيتي السابق منذ عام ١٩٣٠ إلى ١٩٩١م حيث أعلنت أوكرانيا استقلالها . تبلغ مساحتها ٦٠٣,٧٠٠ كم^٢، وسكانها نحو ٥٢,٤٩٨,٠٠٠ نسمة، وعاصمتها كييف . انظر : "الموسوعة العربية العالمية" ٤١٩/٣ . وانظر : "الموسوعة العربية الموسوعة" ٢٦٨/١ .

(٢) البيلاروس : نسبة إلى بيلاروسيا وهي روسيا البيضاء . وروسيا البيضاء هي دولة تقع شرقي أوروبا ، كانت منذ عام ١٩٢٢ وحتى ١٩٩١م جزءاً من الاتحاد السوفيتي السابق . كانت تعرف باسم . روسيا البيضاء الاشتراكية السوفيتية . عاصمتها مينسك ، ويبلغ عدد سكانها ١٠,٣٢٠,٠٠٠ نسمة . انظر : "الموسوعة العربية العالمية" ١١/٣٧٨ ، وانظر : "الموسوعة العربية الميسرة" ٤٧٢/١ .

(٣) ذكره بعض من التقاهم الباحث . وانظر أيضاً : سليمان المقوشي "المسلمون في روسيا . معالم ورجال" ص ١٠ .

رابعاً : التعريف بجمهورية الأنغوش :

- الموقع والحدود والتضاريس :

تقع جمهورية أنغوشيا على السفح الشمالي لسلسلة جبال القوقاز، وسط شمال القوقاز تقريباً. يحدها من الشرق جمهورية الشيشان، ومن الشمال والغرب جمهورية أوسيتيا الشمالية، ومن الجنوب جمهورية جورجيا. وتعد جمهورية الأنغوش أصغر التقسيمات الإدارية التابعة لروسيا الاتحادية والتي تبلغ ٨٩ تقسيماً إدارياً. ونظراً للنزاع الحدودي القائم بينها وبين أوسيتيا الشمالية، فإن حدود الجمهورية غير محددة من جهة الغرب، ومساحتها تنحصر بين ٢٦٨٢ كم^٢ و ٣٥٠٠ كم^٢ (١) (٢).

مناخ الجمهورية معتدل صيفاً وبارد جداً شتاءً. يصل متوسط درجة حرارته في شهر يوليو من ٢٠ إلى ٣٠ درجة مئوية، وأما في يناير فتتراوح درجات الحرارة من ٤ إلى ٨ تحت الصفر. وفي شمال الجمهورية تصل درجة الحرارة في فصل الشتاء إلى ٢٥ تحت الصفر. وتتماز هذه المنطقة بكثرة الأمطار حيث يصل معدل سقوط الأمطار ما بين ٧٠٠ - ٩٠٠ ملم (٣).

(١) انظر : سليمان المقوشي "المسلمون في روسيا . معالم ورجال " ص ٢٨ ، وانظر : اسكندياروف "أنغوشيتيا" ص ٣ دراسة موجزة صادرة عن مؤسسة تنمية الشعوب المسلمة - موسكو بتاريخ ١٨/١١/١٤١٥ هـ (١٨/٤/١٩٩٥ م) - مترجم عن الروسية.

(٢) انظر الخريطة رقم (٥) ص ٣٩ .

(٣) انظر : سليمان المقوشي "المسلمون في روسيا . معالم ورجال " ص ٢٨ .

يوجد في جنوب أنغوشيا شعاب "جيراخ" المحاطة بسلسلة جبال القوقاز الكبرى .
والجزء الأوسط للجمهورية عبارة عن تلال فسيحة ، يرتفع أعلاها إلى ٥٠٠ متر . أما
الشمال فهو سهل يقع بين سلسلتين جبليتين محدودتي الارتفاع .

ويجري في أنغوشيا أنهر سونجا وأسا وأرما في ، وكلها روافد من نهر ترك الذي
يجري في الشيشان ، وليس هناك مخرج لهذا النهر إلا في مكان واحد في شعب جيراخ
الجبلي .

كما يوجد في أنغوشيا مصادر طبيعية عدة ، منها ما يزيد عن ١٠٠ بحيرة و ٢٨
غابة ^(١) .

– عدد السكان وأهم المدن :

بلغ عدد سكان الجمهورية عام ١٤١٧هـ (١٩٩٦م) – دون حساب اللاجئين
الشيشان – ما مجموعه ٣٠١,٩ ألف نسمة . منها ١٢٤,٨ ألف نسمة من سكان المدن –
أي ما نسبته ٤١,٣% – ومنها ١٧٧,١ ألف نسمة من سكان الأرياف . ويبلغ متوسط
الكثافة السكانية في الجمهورية ١٠٤ نسمة لكل كم ٢ ، وهو أعلى المعدلات في روسيا
عموماً التي يبلغ فيها متوسط هذا المعدل ٨,٦ نسمة لكل كم ٢ .

إن أعداد المسلمين الأنغوش في ازدياد مطرد ، فقد ازداد عددهم خلال عشر
سنوات (من ١٤٠٩ إلى ١٤١٩هـ) ما يقرب من ١٠٠ ألف نسمة ، وذلك بسبب نسبة
الولادة العالية وعودة السكان المهجرين ^(٢) .

^(١) انظر : سليمان المقوشي "المسلمون في روسيا . معالم ورجال" ص ٢٨ ، ٢٩ .

^(٢) المرجع السابق ص ٣٠ .

العاصمة المؤقتة لجمهورية أنغوشيا مدينة نزران ، وقد اتخذ قرار بإنشاء عاصمة جديدة تسمى "مغاس" على بعد خمسة كيلومترات من العاصمة المؤقتة. وطبقاً للمرسوم الصادر عن الحكومة المحلية بتاريخ ٢٨/٨/١٤١٤ هـ (١٩٩٤/٢/٨ م) فإن في الجمهورية أربع مناطق ذات نواحي مأهولة تابعة لها ترأسها إدارات إقليمية ومحلية وهي مناطق : نزران، ومركزها: مدينة نزران، وتضم في كيانها ١١ وحدة إدارية .

مالغوبيك، ومركزها: مدينة مالغوبيك، وتضم ١١ وحدة إدارية .

سونجان ، ومركزها: بلدة أرجونكيدزه ، وتضم ١٢ وحدة إدارية .

جيراخ ومركزها: قرية جيراخ ، وتضم ٤ وحدات إدارية ^(١) .

^(١) انظر: اسكندياروف " أنغوشيتا " ص ٦ .

المبحث الثاني :

دخول الإسلام واستقراره في جمهوريات

شمال شرق القوقاز .

ويشتمل على العناوين التالية :-

- * واقع القوقاز قبل الفتح الإسلامي .
- * عهد مبكر للإسلام في القوقاز .
- * العهد الأموي واستقرار الإسلام في المنطقة .
- * ضعف الحكم الإسلامي بعد العهد الأموي .
- * المغول يعيثون الفساد في القوقاز .
- * دولة الجيش الذهبي المغولية تنشر الإسلام .

* واقع القوقاز قبل الفتح الإسلامي :

نستطيع القول إن بلاد القوقاز كانت تخضع في مجملها لتنفيذ ثلاث دول إبان الفتح الإسلامي ففي جنوب الإقليم كان نفوذ الدولة الساسانية الفارسية^(١)، وفي شماله دولة الخزر^(٢)، وتسيطر دولة الروم البيزنطية^(٣) على جزء من شمال غرب الإقليم^(٤). والخريطة التالية تبين إقليم القوقاز والدول المسيطرة عليه قبل الفتح الإسلامي .

(١) الدولة الساسانية الفارسية : آخر دولة وطنية حكمت فارس . يمتد حكمها من سقوط مملكة البارثيين ٢٢٦ م إلى فتح العرب فارس ٦٤٠ م . يرجع الاسم إلى ساسان أحد أسلاف أردشير الأول مؤسس الأسرة . حفل تاريخ الساسانيين منذ البداية بالحروب مع دولة الروم . كان آخر ملوك الدولة يزيدجرد الثالث ، وفي عهده فتح العرب المسلمون فارس . انظر : "الموسوعة العربية العالمية" ٤٧١/٣ . وانظر : "الموسوعة العربية الميسرة" ٩٤٣/١ .

(٢) دولة الخزر: نسبة إلى شعب الخزر، والخزر الذين سمي العرب بحر قزوين باسمهم تقع دولتهم بين نهري الفولغا والدون، وقد كانت قائمة في القرن السابع للميلاد، وإن كان منشوهم وهويتهم القومية غير واضح بشكل قاطع لأن هذه الدولة لم تختلف آثاراً ثابتة تشير إلى حضارتها، إلا أن ملكهم ياسف (ق٧م) كان يهودياً كانوا مجوساً ثم اعتنق كثير منهم اليهودية، كما كانت الحرية الدينية سمة تمتاز بها دولة الخزر ارتبطت دولة الخزر بعلاقات جيدة مع البيزنطيين إلا أن الحال لم يكن كذلك مع الفرس أو الروس السلاف فقد كانوا في صراع ومناوشات مستمرة . انظر : "موسوعة تاريخ الفققاس والجركس" ٢٣٩/١ - ٢٤٢ .

(٣) الدولة البيزنطية : نسبة إلى بيزنطة وهي مدينة قديمة تقوم استنبول اليوم على موقعها . أسسها الإغريق عام ٦٥٨ قبل الميلاد ، وغدت سريعاً مركزاً تجارياً هاماً بسبب موقعها على البسفور . استولى الرومان عليها عام ١٩٦م واختارها قسطنطين الأول عام ٣٣٠م مقعاً للقسطنطينية التي أصبحت فيما بعد عاصمة الامبراطورية البيزنطية . انظر : "الموسوعة العربية العالمية" ٦٨٤/٢ . وانظر : "الموسوعة العربية الميسرة" ٤٦٦/١ .

(٤) انظر : د/ حسين مؤنس "أطلس تاريخ الإسلام" ط(١) الزهراء للإعلام العربي - القاهرة ، ١٤٠٧ هـ (١٩٨٧م) .

خريطة رقم (٦):

إقليم القوقاز والدول المسيطرة عليه قبل الفتح الإسلامى (*).



(*) المصدر : د/ حسين مؤنس "أطلس تاريخ الإسلام" ص ٤٧ - بتصرف - .

* عهد مبكر للإسلام في القوقاز :

وصل المسلمون إلى بلاد القوقاز في عهد مبكر ، وذلك في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله ^(١) عنه عام ٢٢هـ ، فبعد أن فتح سراقه بن عمرو ^(٢) رضي الله عنه أذربيجان ^(٣) تابع فتوحاته لنشر الإسلام حيث توجه إلى باب الأبواب ^(٤) فكانت المواجهه الأولى مع دولة الخزر .

(١) عمر بن الخطاب رضي الله عنه: هو الخليفة الراشد والإمام العادل عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي ، أمير المؤمنين أبو حفص ، ولد بعد عام الفيل بثلاث عشرة سنة . أسلم بعد ٤٠ رجلاً و ١١ امرأة ، فكان إسلامه عزاً ظهر به الإسلام . حدثت في عهده الفتوحات . قتله أبو لؤلؤة المجوسي عام ٢٣هـ . انظر : يوسف بن عبد الله القرطبي "الاستيعاب في معرفة الأصحاب" ٢٣٥/٣ ، ط (١) دار الكتب العلمية - بيروت ، ١٤١٥ هـ (١٩٩٥م) . وانظر : "الأعلام" ٤٥/٥ .

(٢) سراقه بن عمرو رضي الله عنه : ذكروه في الصحابة ولم ينسبوه وسراقه بن عمرو هو الذي صالح أهل أرمينية والأرمن على الباب ، وكتب إلى عمر بذلك ، ومات سراقه هناك واستخلف عبد الرحمن بن ربيعة ، فأقره عمر على عمله . وكان سراقه يدعى ذا التورين . انظر : "الاستيعاب في معرفة الأصحاب" ١٤٧/٢ . وانظر : "الأعلام" ٨٠/٣ .

(٣) أذربيجان : دولة إسلامية تقع في منطقة جبال القوقاز على الشاطئ الغربي لبحر قزوين ، وقد حصلت على الاستقلال عام ١٤١٢هـ (١٩٩١م) بعد أن استمرت ما يقرب من سبعين عاماً جزءاً من الاتحاد السوفيتي السابق . تبلغ مساحتها نحو ٨٦,٦٠٠ كم^٢ ، وسكانها نحو ٧,٥٠٧,٠٠٠ نسمة (١٩٩٦م) . انظر : "الموسوعة العربية العالمية" ١ / ٤٣٠ . وانظر : "الموسوعة العربية الميسرة" ١٠٧/١ .

(٤) باب الأبواب : هي مدينة دربند حالياً ، وتقع جنوب داغستان على شاطئ بحر قزوين .

وكان على باب الأبواب "شهر براز" ملك أرمينية ، الذي طلب من سراقه الأمان فأمنه . يقول الحافظ ابن كثير^(١) رحمه الله تعالى - : " ثم بعث سراقه بكيراً وحبیب بن مسلمة^(٢) ، وحذيفة بن أسيد^(٣) ، وسلمان بن ربيعة^(٤) إلى أهل تلك الجبال المحيطة

(١) ابن كثير - رحمه الله - هو الحافظ الحداث إسماعيل بن عمر بن كثير البصري الدمشقي الشافعي، بدر الدين أبو الفداء . ولد عام ٧٥٩هـ ، وأخذ العلم في دمشق ثم رحل إلى القاهرة فأخذ عن علمائها . توفي بدمشق عام ٨٠٣هـ ، وله مؤلفات نافعة . انظر : "معجم المؤلفين" ١٣٤/٣ ، وانظر : "الأعلام" ٣٢٠/١ .

(٢) حبیب بن مسلمة رضي الله عنه: ويقال له حبیب بن سلمة بن مالك الأكبر القرشي ، يكنى أبا عبد الرحمن، وحبیب الروم، لكثرة دخوله إليهم ونيله منهم . قال الزبير بن بكار: وحبیب بن مسلمة كان شرفاً وكان قد سمع من النبي صلى الله عليه وسلم قال: ولاء عمر بن الخطاب أعمال الجزيرة ، ثم ضم إليه أرمينية وأذربيجان ثم عزله . وسيره معاوية إلى أرمينية والياً عليها، فمات بها سنة اثنين وأربعين .

انظر : القرطبي "الاستيعاب في معرفة الأصحاب" ٣٨١/١ . وانظر : ابن الأثير "أسد الغابة في معرفة الصحابة" ١/٦٨١ .

(٣) حذيفة بن أسيد رضي الله عنه : حذيفة بن أسيد بن خالد أبو سريحة الغفاري . باع تحت الشجرة ، ونزل الكوفة وتوفي بها ، روي عنه أبو الطفيل ، والشعبي ، والربيع بن عميلة ، وحبیب بن حماز ، وهو بكنيته أشهر . انظر : ابن الأثير "أسد الغابة في معرفة الصحابة" ٧٠٣/١ .

(٤) سلمان بن ربيعة رضي الله عنه: هو سلمان بن ربيعة بن يزيد بن أبو عبد الله الباهلي . أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ، وليس له صحبة ، وهو أول من قضى بالكوفة ، ثم قضى بالمدائن ، وشهد فتوح الشام مع أبي أمامة الباهلي ، واستقضاء عمر على الكوفة ، وكان يلي خيلاً كثيرة معدة للجهاد ، فكان سلمان يتولى تلك الخيل بالكوفة . وغزا سلمان أذربيجان ثم بلنجر في أقاصي أران والحزر، وقتل بلنجر سنة ٢٨ هـ في خلافة عثمان . انظر : ابن الأثير "أسد الغابة في معرفة الصحابة" ٥٠٨/٢ . وانظر : القرطبي "الاستيعاب في معرفة الأصحاب" ١٩٣/٢ .

بأرمينية جبال اللان وتغليس^(١) وموقان ، فافتح بكير موقان، وكتب لهم كتاب أمان.. فلما بلغ عمر ذلك أقره على ذلك^(٢).

ثم دخل في الإسلام جميع بلاد شروان وجزء من الداغستان. وتعد قومية القوموق في بلاد الداغستان أول من قبل الإسلام، وبذلوا الكثير في سبيل نشره، وقد تأسست في بلادهم إمارة طارقي الشامية (وتسمى اليوم بنزوفسك) . ثم امتد الإسلام إلى غرب القوقاز، ثم إلى نهر كوبا الأعلى وكان أمراء الأرمن قد دخلوا في الإسلام ، وتبعهم الشعب، ولكنهم عادوا فارتدوا عندما ضعفت الحكومة الإسلامية هناك^(٣).

سَير معاوية بن أبي سفيان^(٤) أمير الشام - رضي الله عنه - بأمر الخليفة عثمان

^(١) تغليس : وتسمى أيضاً تبليس ، وهي عاصمة جمهورية جورجيا حالياً الواقعة وسط القوقاز. انظر : "الموسوعة العربية الميسرة" ٥٣٧/١.

^(٢) الحافظ إسماعيل بن كثير "البدایة والنهایة" ١٠/١٥٥-١٥٦ من : د/ عبد الله التركي ، ط (١) دار هجر - مصر ، ١٤١٨هـ (١٩٩٨م).

^(٣) انظر : الحافظ محمد بن جرير الطبري "تاريخ الأمم والملوك" ١٤٤/٥ وما بعدها ط (١) دار الفكر - بيروت ، ١٤٠٧هـ (١٩٨٧م) . وانظر : مصطفى الطحان "مستقبل الإسلام في القوقاز" . ص ١٩ .

^(٤) معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه اسم أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، وأمه هند بنت عتبة بن ربيعة ، يكنى أبا عبد الرحمن، كان هو وأبوه وأخوه من مسلمة الفتح . وهو أحد الذين كتبوا لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - وولاه عمر على الشام عند موت أخيه يزيد . قال أبو عمر: كان معاوية أميراً بالشام نحو عشرين سنة، وخليفة مثل ذلك ، توفي في النصف من رجب سنة ستين بدمشق، ودفن بها، وهو ابن ثمان وسبعين . انظر : القرطبي "الاستيعاب في معرفة الأصحاب" ٣/٤٧٠ ، وانظر : "ابن الأثير أسد الغابة في معرفة الصحابة" ٥/٢٠١ .

بن عفان^(١) - رضي الله عنه - حبيب بن مسلمة حيث استمر حبيب في فتوحه حتى وصل إلى تفلّيس من جهة الغرب، ثم توقفت الفتوح وتقلص انتشار الإسلام بسبب الخلافات الداخلية التي وقعت في بلاد المسلمين والتي حركها عبد الله بن سبأ اليهودي^{(٢)(٣)}.

^(١) عثمان بن عفان - رضي الله عنه - : هو الخليفة الراشد عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية القرشي الأموي، أبا عبد الله وأبا عمرو . ولد في السنة السادسة بعد الفيل . زوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنته رقية ثم أم كلثوم . وهو أحد العشرة المبشرون بالجنة ، وأحد الستة الذين جعل عمر فيهم الشورى . قُتل بالمدينة يوم الجمعة ١٨ من ذي الحجة عام ٣٥ هـ . انظر : القرطبي "الاستيعاب في معرفة الأصحاب" ٣ / ١٥٥ ، وانظر "أسد الغابة في معرفة الصحابة" ٣ / ٥٧٨ .

^(٢) عبد الله بن سبأ: رأس الطائفة السبئية . وكانت تقول بالوهمية علي . أصله من اليمن، قيل : كان يهودياً وأظهر الإسلام . جهر ببدعته في مصر . وقتل ابن عساكر عن الصادق: لما بوجع علي قام إليه ابن سبأ فقال له : أنت خلقت الأرض وبسطت الرزق ! فنفاه إلى ساباط المدائن، حيث القرامطة وغلاة الشيعة . هلك عام ٤٠ هـ (٦٦٠م) . انظر : "الأعلام" ٤ / ٨٨ .

^(٣) انظر : ابن جرير الطبري "تاريخ الأمم والملوك" ٣٠٨/٥ - ٣١١ . وانظر : عوني جدوع العبيدي "بطولات من أرض القفقاس" ص ١٦، ١٧ . ط (١) دار النفائس ، عمان ١٤١٤ هـ (١٩٩٤م) .

* العهد الأموي واستقرار الإسلام في المنطقة :

تميزت سنوات الفتح الأولى بعدم الاستقرار في القوقاز فقد انتفض سكان تلك الأصقاع مرات عدة يساعدهم في ذلك أوضاع المسلمين غير المستقرة وخلافاتهم، وطبيعة البلاد الجبلية، وعدم رسوخ الإيمان في نفوسهم لحداثة عهدهم بالإسلام .

فبعد الفتن التي حلت بالمسلمين بعد مقتل عثمان - رضي الله عنه - لم تسر الجيوش للفتح ثانية في القوقاز إلا أثناء الفتوحات الكبرى أيام الوليد بن عبد الملك^(١) حيث دخل جيش المسلمين بلاد الخزر عن طريق أرمينية بامرة ثبيت النهراني ، فاجتمعت عليه الخزر وساعدهم عليه القفجاق والترك فانهزم المسلمون شر هزيمة . فعزل يزيد بن عبد الملك^(٢) ثبيت النهراني، وولى بدلاً عنه الجراح بن عبد الله الحكمي^(٣) ، وأمدّه بجيش

(١) الوليد بن عبد الملك : الخليفة ، أبو العباس الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي، الدمشقي الذي أنشأ جامع بني أمية . كان قليل العلم، نهته في البناء ، فتح بوابة الأندلس، وبلاد الترك، وغزا الروم مرات في دولة أبيه وحج . مات في جمادي الآخرة سنة سنة وتسعين، وله إحدى وخمسون سنة، وكان في الخلافة عشر سنين سوى أربعة أشهر . انظر : الذهبي "سير أعلام النبلاء" ٣٤٧/٤ . وانظر : الزركلي "الأعلام" ١٢١/٨ .

(٢) يزيد بن عبد الملك : الخليفة أبو خالد القرشي الأموي الدمشقي، استخلف بعهد عهده له أخوه سليمان بعد عمر بن عبد العزيز . ولد سنة إحدى وسبعين ، وكان لا يصلح للإمامة، مصروف الهمة إلى اللهو والغواني . مات بسواد الأردن عام ١٠٥هـ ، وكانت دولته أربعة أعوام وشهراً . انظر : الذهبي "سير أعلام النبلاء" ١٥٠/٥ . وانظر : الزركلي "الأعلام" ١٨٥/٨ .

(٣) الجراح بن عبد الله الحكمي : مقدم الجيوش ، فارس الكاتب، أبو عقبة الجراح بن عبد الله الحكمي ، ولي البصرة من جهة الحجاج ، ثم ولي خراسان وسجستان لعمر بن عبد العزيز، وكان بطلاً شجاعاً ، كبير القدر، روي عن ابن سيرين، وعنه صفوان بن عمرو، ويحيى بن عطيّة، وربيع بن فضالة . وقال أبو سفيان الحميري : كان الجراح على أرمينيا وكان رجلاً صالحاً قتلته الخزر، ففرغ الناس لقتله في البلدان . انظر : الذهبي "سير أعلام النبلاء" ١٨٩/٥ . وانظر : الزركلي "الأعلام" ١١٥/٢ .

كثيف ، وأمره بغزو بلاد الخزر ، الذين حشدوا له الحشود ، ودخل مدينة باب الأبواب بغير قتال، وصالح الترك على ما يؤدونه، وكان الجراح من أعظم الولاة فتحاً وأثراً في تلك البلاد، ودخل الناس في الإسلام أفواجا في عهد ولايته .

وفي عام ١١٤هـ ولي هشام بن محمد على هذه الولاية، فانتصر على الخزر وصالحهم، ودانت له جميع البلاد . وهكذا لم تنته الدولة الأموية إلا وقد استقر الحكم الإسلامى في القوقاز بعد أن انتفض سكانها مرات ومرات يساعدهم في ذلك أوضاع المسلمين وخلافاتهم وطبيعة البلاد الجبلية ، وعدم رسوخ الإيمان الصحيح في نفوسهم إذ كانوا حديثي عهد بالإسلام^(١) .

(١) انظر : عبد الرحمن بن علي بن الجوزي "المنتظم في تاريخ الملوك والأمم" ١٣٥/٧ وما بعدها (حوادث سنة ١١٠)ق:

محمد عبد القادر عطا ، مصطفى عبد القادر عطا . ط دار الكتب العلمية ، بيروت، لم تذكر سنة الطبع .

* ضعف الحكم الإسلامي بعد العهد الأموي :

سار العباسيون على النهج الأموي في سياستهم نحو إقليم الرحاب حيث الثغور

الشمالية، ففي عهد أبي جعفر المنصور^(١)، تولى منطقة الثغور الشمالية يزيد بن أسيد السلمي، فكانت له جهود في اتساع حدود رقعة الإسلام نحو الشمال وطبق سياسة توطين المسلمين بهذه البلاد .

وفي عهد الخليفة المأمون^(٢)، وطد محمد بن عتاب سلطان الدولة في أرمينيا . غير أن ضعف الدولة العباسية بعد عصر الخلفاء الأقوياء أدى إلى طمع الولاة ، فاقتطع إسحاق بن إسماعيل ولاية له في بلاد الكرج (جورجيا) وظلت تحت حكمه من سنة

(١) أبو جعفر المنصور : الخليفة ، أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي الهاشمي العباسي المنصور ، ولد في سنة خمس وتسعين أو نحوها . كان فحل بني العباس هيبه وشجاعة، ورأياً وحزماً وكان جماعاً للمال، حريصاً ، تاركاً للهو واللعب، كامل العقل، حسن المشاركة في الفقه والأدب والعلم ، أباد جماعة كباراً حتى توطد له الملك ، ودانت له الأمم على ظلم فيه وقوة نفس ولكنه يرجع إلى صحة إسلام وتدين في الجملة، وتصون وصلاة وخير، مع فصاحة وبلاغة وجلالة . وكان حاكماً على مما لك الإسلام بأسرها ، سوى جزيرة الأندلس ، عاش ٦٤ سنة وتوفي عام ١٥٨ هـ بمكة المكرمة . انظر : الذهبي "سير أعلام النبلاء" ٨٣/٧ .

(٢) المأمون: هو الخليفة أبو العباس ، عبد الله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي ابن أبي جعفر المنصور العباسي، ولد سنة سبعين و قرأ العلم والأدب والأخبار والعقليات وعلوم الأوائل وأمر بتعريب كتبهم، وبالغ . وعمل الرصد - أي الفلك - فوق جبل دمشق ودعا إلى القول بخلق القرآن وبالغ ، نسأل الله السلامة . مات في رجب ، سنة ثمان عشرة ومئتين، وله ثمان وأربعون سنة . انظر : الذهبي "سير أعلام النبلاء" ٢٧٢/١٠ ، وانظر : محمد بن خلكان "وفيات الأعيان . أنباء أبناء الزمان" ١٤٧/٦ ، ق . د/إحسان عباس ، ط دار صادر - بيروت ، ١٣٩٧ هـ (١٩٧٧م) .

٢١٥ إلى ٢٣٨ هـ. وفي عهد الخليفة المتوكل العباسي^(١)، أرسل قائده بغا الكبير إلى أرمينيا وهزم إسحاق بن إسماعيل في معركة تفليس سنة ٢٣٨ هـ، وخرب المدينة، وكان تخريبها غلطة من بغا الكبير^(٢).

بعد الأحداث السابقة انتشرت الفوضى في الثغور الشمالية -أي في بلاد القوقاز- ففي أذربيجان ظهرت أول أسرة حاكمة وهي الأسرة "الساجية" قبضت على الأمور مع خضوعها لبغداد اسماً في الفترة من ٢٧٩ إلى ٣٢٠ هـ، وحكمت أسر محلية نصرانية بلاد الكرج عندما اشتدت الحروب الصليبية، واتجه المسلمون لمحاربة الصليبيين.

ثم ظهر السلاجقة^(٣) وأخذ نفوذهم يتجه نحو الكرج، فأغاروا عليها واستعادوا الحكم الإسلامي على الكرج وما حولها عام ٤٧٢ هـ، ولكن النصاري المحليين عادوا إلى حكم البلاد. وظل الحال هكذا في صراع بين نصاري الكرج والمسلمين حتى الغزو المغولي^(٤).

(١) المتوكل العباسي: الخليفة، أبو الفضل، جعفر بن المعتمد، بالله محمد بن الرشيد، القرشي العباسي البغدادي، ولد سنة خمس ومئتين، وبيع عند موت أخيه، الواصل في ذي الحجة، سنة اثنين وثلاثين، قال خليفة بن خياط: استخلف المتوكل، فأظهر السنة، وتكلم بها في مجلسه، وكتب إلى الآفاق برفع الحنة، وبسط السنة، ونصر أهلها. مات مقتولاً سنة ٢٤٧ هـ. انظر: الذهبي "سير أعلام النبلاء" ٣٠/١٢. وانظر: الزركلي "الأعلام" ١٢٧/٢.

(٢) انظر: الحافظ ابن كثير "البداية والنهاية" ١٤/٣٥٣ وما بعدها. وانظر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية "الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي" ٢٨٩/١٤ - ٢٩٠.

(٣) السلاجقة: تنسب إلى سلجوق أميرهم الأول. ظهر السلاجقة في إيران في القرن ١٠م، واعتنقوا الإسلام على المذهب السني، ولم يلبثوا أن سيطروا على خوارزم وإيران، واتخذوا أصفهان عاصمة لهم. تمكن السلاجقة بزعامة ألب أرسلان من فتح بلاد الكرج وأرمينيا وغيرها، واكسحوا الشام وهزموا البيزنطيين في معركة ملاذكرد عام ١٠٧١ م. اكسح جنكيزخان دول السلاجقة بعد أن تفرقت في القرن ١٣م. انظر: "الموسوعة العربية الميسرة" ٩٩٣/١.

(٤) انظر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية "الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي" ٢٩٠/١٤.

* المغول يعيثون الفساد في القوقاز :

ظهرت حركة المغول في أقصى الشرق بآسيا في أوائل القرن السابع الهجري بزعامة جنكيز خان^(١) وخلفائه، فاجتاحت جموعهم الصين وآسيا الوسطى، وأملاك الامبراطورية الخوارزمية، ودولة السلاجقة بآسيا الصغرى، ونفذوا إلى القوقاز وأوروبا الشرقية، وروسيا وغيرها .

وحدث في الشرق الإسلامي وقتئذ من أسباب التشاحن والتخاصم والتصادم بين القوى الإسلامية، ما جعل بعض القوى تسعى إلى الحصول على تأييد المغول ومساندتهم، فاستطاع العدو بذلك أن ينفذ إلى الأراضي الإسلامية ويقهر القوى الإسلامية الواحد بعد الأخرى^(٢).

تعرضت بلاد القوقاز لما تعرض له العالم الإسلامي من أسباب الدمار على يد المغول، ففي عام ٦١٨هـ أرسل جنكيز خان حملة قوامها عشرون ألف من خيرة محاربيه،

(١) جنكيز خان: ملك التار وسلطانهم الأول الذي خرب البلاد وأفنى العباد، واستولى على الممالك، وليس للتار ذكر قبله، إنما كانت طوائف المغول بادية بأراضي الصين يقدموه عليهم، فهزم جيوش الخطا، واستولى على ممالكهم، ثم على تركستان وإقليم ما وراء النهر ثم إقليم خراسان وبلاد الجبل (أي القوقاز) وغير ذلك، وأذعنت بطاعته جميع التار، ولم يكن يقيّد بدين الإسلام ولا بغيره، وقتل المسلم أهون عنده من قتل البرغوث، وله شجاعة مفرطة وعقل وافر ودهاء ومكر . وأول ظهوره كان في سنة تسع وتسعين وخمس مئة . ومات في رمضان سنة أربع وعشرين وست مئة . انظر: "الموسوعة العربية الميسرة" ٦٥٠/١ . وانظر: "الموسوعة العربية العالمية" ٥٠٣/٨ .

(٢) د/ السيد الباز العريبي "المغول" التصدير : ب ، ط دار النهضة العربية، بيروت ١٤٠٦هـ (١٩٨٦م) ، وانظر : محمد جمال صادق "موسوعة تاريخ القفقاس والحركس" ٢٥٢/١ وما بعدها .

قدمت إلى القوقاز عن طريق تبريز العجم ، وبعد احتلال جورجيا وأرمينيا وأذربيجان ونهبها دون مقاومة تذكر، توجهت الحملة إلى الداغستان والشركس ودارت رحى معركة طاحنة أكثر المغول فيها القتل والأسر - لا سيما في الشراكسة - ففارقوا أيدي سبأ في الأقطار والأمصار ، ثم ارتد المغول إلى بلادهم في الشرق الأقصى حيث كانت تلك جولة استطلاعية لاستكشاف المواقع وثروات البلاد والمقاومة التي يمكن أن تقابلهم فيها .

وقبل أن يموت جنكيز خان في عام ٦٢٣هـ ويخلفه ابنه أرسل إلى روسيا عام ٦٢٢هـ حملة بقيادة ابن أخيه ، وكانت عدة جيشه نصف مليون من الفرسان الهمج الأشداء؛ جاؤوا من شمال بحر الخزر وأعملوا السيف في البلغار القاطنين على ضفتين نهر الفولغا^(١) وخرّبوا عاصمتهم بولغار، ثم سار المغول إلى موسكو وأحرقوها .

وفي عام ٨٤٢هـ دمروا رستوف^(٢) ، ثم دمروا كييف^(٣) وتوغلوا غرباً ؛ ثم عادوا إلى الشرق يخربون ويدمرون وينهبون ويسفكون الدماء حتى وصلوا نهر الفولغا، وعند مصبه أنشأوا بلدة سموها سراي واتخذوها عاصمة، وشكلوا لأنفسهم دولة سموها دولة الجيش الذهبي .

(١) نهر الفولغا: هو أطول نهر في أوربا يجري لمسافة ٣,٥٣٠ كم داخل أراضي روسيا الاتحادية ، حيث يصب في بحر قزوين . انظر : "الموسوعة العربية العالمية" ٦١٥/١٧ ، وانظر : "الموسوعة العربية الميسرة" ١٣٣٧/٢ .

(٢) رستوف : هي مدينة من أهم المدن الروسية وتقع على نهر الدون ، وتعتبر المدينة بمثابة بوابة الدخول إلى سلسلة جبال القوقاز . انظر : "الموسوعة العربية العالمية" ٢٠٥ / ١١ ، وانظر : "الموسوعة العربية الميسرة" ٨٩٣/١ .

(٣) كييف : هي عاصمة أوكرانيا وأكبر مدنها، تقع في شمالي وسط أوكرانيا، وتعتبر واحدة من أكبر مراكز المواصلات والصناعة، وتعد المدينة ميناءً نهرياً وملتقى طرق خطوط السكة الحديدية . انظر : "الموسوعة العربية العالمية" ٢٠ / ٤٠٩ ، وانظر : "الموسوعة العربية الميسرة" ١٥٣٣/٢ .

وكانت هذه الدولة مكونة من ثلاث خانيات :

(١) خانية قازان، وتشمل القسم الشرقي من روسيا .

(٢) خانية إسترخان، وعاصمتها بلدة سراي .

(٣) خانية القرم وهي مكونة من أخلاط من القبائل مع بقايا الخزر في شبه جزيرة القرم .

أما إمارة روسيا فكانت تدفع الجزية للخاقان المغولي الكبير مقابل تمتعهم بحريتهم الدينية وصيانة كنائسهم ، ولا يمكن لأmir أن يتولى الإمارة بدون موافقة الخان، كما لا يحق له إعلان الحرب على أية جهة أخرى إلا بعد موافقة الخان^(١) .

^(١) انظر : محمد جمال صادق "موسوعة تاريخ القفقاس والجركنس" ٢٥٤/١ .

* دولة الجيش الذهبي المغولية تنشر الإسلام :

لما انقسمت دولتهم بعد موت جنكيز خان ، كان القسم الغربي من الامبراطورية من نصيب جوجي خان الذي تزوج من مسلمة هي بنت خوارزم شاه. وأصبح فيما بعد لجوجي خان حفيد كان له شأن بالغ في نشر دعوة الإسلام في تلك الديار وهو الأمير بركة خان^(١) . الذي تولى العرش عام ٦٥٤هـ وقد أسس هذا الأمير المسلم ما سمي بدولة الجيش الذهبي أو دولة مغول القبيلة الذهبية التي امتد سلطانها ليلبلغ مساحة شاسعة^(٢) ، يدين أغلب سكانها بالإسلام بفضل جهود قائدها المسلم بركة خان، حيث بذل جهوداً كبيرة في نشر دعوة الإسلام داخل دولته وخارجها^(٣) .

(١) بركة خان : أمير مغولي مسلم، وزعيم القبيلة الذهبية، حفيد جنكيز خان. درس القرآن الكريم في حداثة سنه، وعندما تولى الأمر أسهم في نشر الإسلام في دولته . حارب هو لأكو ابن عمه وعنقه على قتله الخلفية المستعصم وعلى تخريبه مدن الإسلام. اتصل بركة بالظاهر بيبرس وكانت علاقتهما طيبة . حارب في جبهات كثيرة . توفي عام ٤٦٤ هـ (١٢٦٧م) ولم يكن له عقب. انظر : "الموسوعة العربية الميسرة" ٣٥٠/١ ، وانظر : د/ محمد على البار "المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ" ٣٠٣، ٣٠٢/١ ، ط (١) دار الشروق - جده ، ١٤٠٣هـ (١٩٨٣م) .

(٢) انظر الخريطة رقم (٧) : امبراطورية مغول القطيع الذهبي في القرن السابع الهجري في الصفحة التالية .

(٣) انظر : محمد جمال صادق "موسوعة تاريخ الفققاس والجركس" ٢٥٤/١ ، وانظر ، د/ محمد على البار "المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ" ٣٠٣/١ .

خريطة رقم (٧) :

امبراطورية مغول القطيع الذهبي في القرن السابع الهجري (١٣م) (*) .



تبدو منطقة شمال القوقاز ومدينة موسكو تحت حكم مغول الجيش الذهبي حيث أسهموا في نشر الإسلام .

(*) المصدر: د/ حسين مؤنس "اطلس تاريخ الإسلام" ص ٢٢٨ - بتصرف - .

بعد وفاة بركة خان، تولى الحكم ابن أخيه منكوتر عام ٦٦٥ هـ ، وكانت الدولة في عهده وعهد سلفه بركة خان على علاقة طيبة مع دولة المماليك في مصر، مما كان له أكبر الأثر في انتشار الإسلام ، كما أن الدولتين تحالفتا ضد أبغا بن هولكو .

ثم جاء بعده منكو خان، وكان مسلماً متحمساً لنشر الإسلام ، غير أن الأمر تغير بعد تنازله عن العرش طواعية لابن أخيه تلابغا بسبب الخلافات التي برزت بين أمراء المغول، وخلفه أمراء لم يكونوا متحمسين لنشر الدعوة الإسلامية ، وقد واکب هذا ظهور الأتراك العثمانيين ^{(١)(٢)} .

تولى العرش أوزبك خان سنة ٧١٣ هـ ، حيث كان يحكم نهر الفولغا بأكمله وشبه جزيرة القرم والقوقاز كازاخستان، ويمتد سلطانه إلى مدينة خوارزم حيث يبدأ حكم قريبه السلطان علاء الدين طرمشيرين حفيد جغتاي بن جنكيز خان، وقد اشتهر أوزبك خان بحماسة لنشر الإسلام بل كان من أشد أتباع الإسلام حماسة وصلابة، فثبت أركان الدين في البلاد التي خضعت لحكمه .

(١) العثمانيون: نسبة إلى عثمان الأول بن أرطغرل بن سليمان التركي ، مؤسس الدولة التركية العثمانية . والدولة العثمانية دولة إسلامية (٦٩٩ - ١٣٤٣ هـ ، ١٢٩٩ - ١٩٢٤م) منشؤها بلاد تركستان . أسهم العثمانيون في نشر رسالة الإسلام لاسيما في المناطق التي فتحوها في أوروبا، كما اهتموا ببناء المساجد والمعاهد لتعليم الإسلام والدعوة إليه انظر: "الموسوعة العربية العالمية" ١٢٤/١٦، وانظر "الموسوعة العربية الميسرة" ١١٨٧/٢ .

(٢) انظر : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية "الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي" ٢٩١/١٤ - ٢٩٣ . وانظر : د/ السيد الباز العربي "المغول" ص ١٩٤ وما بعدها، ط دار النهضة العربية - بيروت ، ١٤٠٦ هـ (١٩٨٦م) .

لقد وصلت حركة انتشار الإسلام إلى قمته في عهد أوزبك خان، حيث تم انتشار الإسلام بين كافة شعوب المغول في بلاد القفجاق (القبيلة الذهبية)، ودخلت الدعوة الإسلامية إلى سبيرا وجنوبي روسيا، وسمي عصره بالعصر الذهبي للإسلام في هذه المنطقة، ونسبت إليه قبائل الأوزبك، وصار هذا الاسم علماً على البلاد وعلى الشعب^(١).

واستمر نشاط الدعوة في عهد ابنه جلال الدين محمود الذي تولى العرش عام ٧٤٢ هـ، وصارت البلاد في عهده مأوى للعلماء والفقهاء، وامتألت العاصمة سراي بهم، كما حافظ على سياسة آبائه في ضرورة إخضاع روسيا لدولة الإسلام، فجاء إليه ملك روسيا ومطرانها لتجديد العهد والولاء. ولكن خلفه محمد بردى بك (٧٥٧ هـ) لم يكن على مستواه، فكان ظلوماً مستبداً، فاضطربت البلاد، واتهمز الروس هذه الفرصة حيث تمكنوا لأول مرة من هزيمة جيش مغول القفجاق (القبيلة الذهبية)، أي أن روسيا ظلت خاضعة لنفوذ خانات القبيلة الذهبية قرابة قرن ونصف^(٢).

وبعد التمزق الذي ساد دولة مغول القبيلة الذهبية والمحاولات المتكررة لاغتصاب عرض سراي، ظهر طقتمش (توقتاميش) ابن بردى بك (٧٧٩ هـ) الذي لجأ أثناء الصراع على العرش إلى تيمورلنك^(٣). فساعده ضد الروس والطامعين في العرش، واستطاع

(١) انظر: د/ محمد على البار "المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ" ٣٠٣/١ وما بعدها. وانظر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية "الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي" ٢٩٤/١٤ وما بعدها.

(٢) المرجع السابق.

(٣) انظر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية "الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي" ٢٩٤/١٤ وما بعدها. وكذلك: د/ محمد علي البار "المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ" ٨٢-٨٣.

طقتمش أن يعيد الأمن للبلاد بعد استرجاعه عرش مغول القبيلة الذهبية، فنهضت الدولة مرة أخرى، ثم سار إلى روسيا ودخل موسكو في سنة ٧٨١هـ ، وظهرت أطماع تيمورلنك، فغزا أذربيجان وأرمينيا وبلاد الكرج، فساءت العلاقة بين طقتمش وتيمورلنك ووقعت الحرب وانتهت بهزيمة طقتمش وقته ، وهرب أولاده إلى بلاد الروس . وخرب تيمور سراي عاصمة القبيلة الذهبية سنة ٧٩٤هـ فانتشرت الفتنة وبدأت خانية القبيلة الذهبية تتجه نحو النهاية ^(١) .

(١) انظر : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية "الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامى" ٢٩٤/١٤ وما بعدها .

وكذلك : د/ محمد علي البار "المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ" ١ / ٨٢ - ٨٣ .

* المبحث الثالث :

**الدعوة الإسلامية خلال العهدين القيصري والبلشفي
في شمال شرق القوقاز .**

وينقسم إلى قسمين كما يلي :-

- أولاً: الدعوة الإسلامية خلال العهد القيصري .
- ثانياً: الدعوة الإسلامية خلال العهد البلشفي (الشيوعي) .

أولاً : الدعوة الإسلامية خلال العهد القيصري .

في القرن السابع الهجري (١٣م) كان للأمة الإسلامية قطبان سياسيان هما دولة المماليك ^(١) في مصر والشام، ومملكة المغول والتتار في أواسط آسيا والقوقاز والقوقاز. وكان في ذات الوقت هناك قطبان عالميان جديدان في طور النمو والتكوين ، وقد ساهما - كل من جانبه - في تقويض أركان دولتي المماليك والمغول ليشغلا الفراغ السياسي الناتج عن سقوطهما، ويبدأ صراعاً مريراً بينهما . ولم ينتصف القرن الثامن الهجري (١٤م) إلا وقد تبلور الوضع عن عالم ثنائي الأقطاب العثمانيون والقيصرية، يخوضان صراعاً دولياً، ويصنعان تاريخ المنطقة السياسي لسنوات قادمة طويلة ^(٢) ، لا سيما أن العثمانيين قد نجحوا في إسقاط مقر الكنيسة الأرثوذكسية البيزنطية ، الأمر الذي أدى إلى إعلان

^(١) دولة المماليك : دولة إسلامية حكمت مصر ثم امتد حكمها ليشمل فلسطين وسوريا وجنوبي تركيا، ويرجع أصلهم إلى الأتراك والمغول والشراسة الذين أحضروا إلى مصر أواخر عام ٤٩٤هـ (١١٠٠م) . واقتن اسم المماليك بالمرحلة الشهيرة عين جالوت عام ٦٥٨هـ (١٢٦٠م) حيث ألحقوا هزيمة كبيرة بجيوش التتار. في عام ١٨١١م كانت نهايتهم على يد محمد علي وإلى مصر . انظر : "الموسوعة العربية العالمية" ١٤٠/٢٤ ، وانظر : "الموسوعة العربية الميسرة" ١٧٤٣/٢ .

^(٢) الكنيسة الأرثوذكسية : هي أحد الكنائس الرئيسة الثلاث في النصرانية، وقد انفصلت عن الكنيسة الكاثوليكية الغربية بشكل نهائي عام ١٠٥٤م، وتمثلت في كنائس عدة مستقلة لا تعترف بسيادة بابا روما عليها، ويجمعهم الإيمان بأن الروح القدس منبثقة عن الآب وحده، وعلى خلاف بينهم في طبيعة المسيح . وتدعى أرثوذكسية بمعنى مستقيمة المعقد مقابل الكنائس الأخرى، ويتركز أتباعها في المشرق ولذا يطلق عليها الكنيسة الشرقية . انظر : "الموسوعة الميسرة في الأدب والمذاهب والأحزاب المعاصرة" ٣٩٥/٢ ، ط (٣) دار الندوة العالمية ، ١٤١٨هـ . وانظر : "الموسوعة العربية الميسرة" ١٤٨٧/٢ .

موسكو الانفصال المذهبي عن الكنيسة البيزنطية في اسطنبول ، وإعلان نفسها حامية للأرثوذكسية الجديدة ^(١) .

نستطيع تقسيم مراحل التوسع الروسي القيصري في القوقاز إلى مرحلتين: المرحلة الأولى هي مرحلة التوسع التدريجي إلى الشرق والجنوب وهي تبدأ بعد تفرق دولة الجيش الذهبي إلى خانيات (دويلات) صغيرة، واستقلال موسكوفا (موسكو)، ثم سقوط قازان ثم ضم القرم ^(٢)، وبعدها سقوط إستراخان حيث فتح الطريق لاحتلال القوقاز، وهياً لظهور الإمام منصور ^(٣) أواخر القرن الثاني عشر الهجري (١٨م) ثم هزيمة العثمانيين في حرب القرم، وسيطرة الروس على البحر الأسود لأول مرة . وتنتهي هذه المرحلة بانتصار

(١) انظر : مصطفى الطحان "مستقبل الإسلام في القوقاز وبلاد ما وراء النهر" ص ٢٧-٢٨ .

(٢) القرم: اسم لشبه جزيرة في شكل ثوء من الجزء الجنوبي لأوكرانيا في البحر الأسود وبحر أزوف ، في أقصى شمال غرب القوقاز . عدد سكانها ٢,٣٠٩,٠٠٠ نسمة تقريباً، مساحتها ٢٧,٠٠٠ كم^٢ كانت عاصمة لدولة تترية مسلمة ، ثم هاجمها الروس في معارك متتالية أدت إلى احتلالها عام (١٧٨٣م) وتعرض المسلمون في القرم لأبشع أنواع القهر والقمع والتهجير في العهدين القيصري ثم البلشفي الشيوعي . والمسلمون الآن أقلية في بلادهم . انظر : تعريب د/ إحسان حقي "المسلمون في الاتحاد السوفيتي" ص ١٢٠ وما بعدها . وانظر : "الموسوعة العربية العالمية" ١٨/١٦٧ .

(٣) الإمام منصور : الإمام منصور شيشاني المولد والنشأة (على الأرجح) تلقى علومه الإسلامية في الشيشان ورحل إلى نجارى، بداية ظهوره بمدينة "الدي" الشيشانية عام ١١٩٩هـ (١٧٨٥م)، وكان ظهوره بداية حرب جديدة لم يألفها الروس من قبل، وهي حرب الجهاد التي نادى بها الإمام ، وسرعان ما تجاوب معه شعوب الداغستان والشيشان والقبرطاي والنوغاي وغيرهم، واستطاع أن يلحق هزائم متكررة بالروس في القوقاز . انظر : جون باديلي "احتلال الروس للقفقاس" ص ٨٧ . وانظر: محمود عبد الرحمن "تاريخ القوقاز . ." ص ٥٦ .

روسيا القيصرية على نابليون بونابرت^(١) امبرطور الفرنسيين أوائل القرن الثالث عشر الهجري (١٩م) .

هذه المرحلة تتميز بطولها الزمني - نسبياً - حيث تمتد ثلاثة قرون تقريباً من أوائل القرن العاشر الهجري (١٥م) إلى أوائل القرن الثالث عشر الهجري (١٩م) أما المرحلة الثانية فهي التي أعقبت انتصار روسيا القيصرية على الفرنسيين بزعامة نابليون عام ١٢٣٠هـ (١٨١٤م) وظهورها كأقوى قوة عسكرية في أوروبا، وأعقب ذلك ظهور حركة مقاومة إسلامية صلبة في شمال شرق القوقاز سميت حركة الميردين^(٢) حالت دون تحقيق أحلام القيصرية في التوسع جنوباً لاحتلال اسطنبول .

لكن الروس استطاعوا في نهاية المطاف إخضاع منطقة القوقاز لنفوذهم بعد ضربة باهظة دفعوها لتحقيق ذلك . واستمرت هذه المرحلة في مجملها نحو قرن من الزمن انتهت بقيام الثورة الشيوعية البلشفية وسقوط القيصرية في موسكو .

أولاً : المرحلة الأولى :

نستطيع أن نوجزها في النقاط التالية :

- استطاع أمير موسكو " فاسيلي " الضرب في الأعوام ٨٢٩ - ٨٦٥ هـ (١٤٢٥ -

(١) نابليون بونابرت : (١٧٦٩ - ١٨٢١م) قائد عسكري فرنسي توج نفسه إمبراطوراً لفرنسا، قد مثل أشهر عبقرية عسكرية في زمنه، بل ربما كان أشهر من تقلد رتبة لواء في التاريخ، وقد كون إمبراطورية ضمت معظم غربي أوروبا ووسطها . انظر : "الموسوعة العربية العالمية" ٩/٢٥، وانظر : "الموسوعة العربية الميسرة" ١٨١٢/٢ .

(٢) حركة الميردين: المراد بها الحركة الصوفية بطرقها المتعددة كالنقشبندية والقادرية وغيرها .

١٤٦٢م) أن يوحد المدن السلافية ^(١) المهمة وهي موسكو وكييف وياروسلاف تحت سلطة واحدة ، إلا إنه كان ما يزال خاضعاً للنفوذ السياسى للمملكة الترية المسلمة في قازان .

- في عهد ابنه القيصر إيفان الثالث الذي حكم في الفترة من ٨٦٥ - ٩١٠ هـ (١٤٦٢ - ١٥٠٥م) طور موسكو وضخم جيشها ، فقيوت شوكتها وامتنع عن دفع الجزية . وعندما حاول ملك قازان أحمد شاه إخضاعه فشل ، وعندها سقطت هيبة الخانات المسلمة واحدة تلو الأخرى ^(٢) .

- حكم من بعده أخوه الأصغر إيفان الرابع الملقب "بالرهب" ^(٣) فاستفاد من سياسات أخيه ، وبدأ اجتياحاته الكبرى على المسلمين في آسيا الوسطى والقوقاز حيث

(١) المدن السلافية : نسبة إلى شعوب العرق السلافي . والسلافيون حوالي ٢٧٥ مليون نسمة ، وهم يتكلمون لغات متشابهة . ويصنف المؤرخون السلافيين في ثلاث مجموعات رئيسة هي : (١) الشرقية ، (٢) الغربية ، (٣) الجنوبية . السلافيون الشرقيون يتكونون من البيلوروسيين - أي الروس البيض - والروس والأوكرانيين . ولقد تأثر السلاف الشرقيون بقوة بثقافة الامبراطورية البيزنطية . وفي عام ٩٨٨م دخل فلاديمير الأول - حاكم الروس في النصرانية الأرثوذكسية ونتيجة لهذا تحول معظم شعبه إلى النصرانية . انظر : "الموسوعة العربية العالمية" ٢٨/١٣ ، وانظر : "الموسوعة العربية الميسرة" ١١٢٦/٢ .

(٢) انظر : مصطفى الطحان "مستقبل الإسلام في القوقاز . . ." ص ٢٧-٢٨ .

(٣) إيفان الرهب : ٩٣٧ - ٩٩٢ هـ (١٥٣٠ - ١٥٨٤م) هو إيفان الرابع وهو أول قيصر لروسيا . وأبرز العباقره الروس ، توسعت روسيا في عهده توسعاً كبيراً ، وجعل موسكو عاصمة لروسيا . كان إيفان مأكراً قاسياً ، بل إنه قتل ابنه الأكبر بديه . وعملت شرطته السرية على نشر الرعب في سائر أنحاء بلاده . ودعا الخبءاء من دول أخرى لتحسين نوعية أعمال التقنيات العسكرية ، وشرع في الدخول في علاقات دبلوماسية وتجارية مع الدول الغربية . انظر : "الموسوعة العربية العالمية" ٥٤٤/٣ ، وانظر : "الموسوعة العربية الميسرة" ٢٨٩/١ .

هاجم مدينة قازان - أقوى خانات التار - وأسقطها عام ٩٥٩هـ (١٥٥٢م)، وبسقوط قازان فتحت الطريق أمامهم إلى القوقاز وسيبيريا الإسلاميتين. وكانت الدولة العثمانية مشغولة في حربها مع الدولة الصفوية^(١).

- وفي عام ٩٦٤هـ (١٥٥٦م) سقطت خانات بشكيريا^(٢) وإستراخان، وهي من أهم معاقل المسلمين التار جنوب الفولغا، الأمر الذي فتح الباب على مصراعيه للهجوم على مملكة سير (سيبيريا). ولقد أظهر ملكها شجاعة نادرة واستبسل جنوده فردوا جيش الاحتلال أكثر من مرة غير أن ميزان القوى رجح كفة موسكو في نهاية المطاف^(٣).

(١) الدولة الصفوية : ٩٠٦ - ١١٤٨ هـ (١٥٠٠ - ١٧٣٥م) ظهرت الدولة الصفوية في إيران وكان مؤسسها الشاه إسماعيل من سلالة الشيخ صفى الدين الأربلي ، وكان صفى الدين ومن بعده ابنه صدر الدين سنيين، وكذلك الجماعة الدينية التي أنشأها في أربيل سنية. لكن حفيده إبراهيم الذي تشيع وقاد صراعاً مع أهل السنة في داغستان ثم خلفه ثلاثة أحفاد أصغرهم إسماعيل وهو المؤسس الحقيقي للدولة الصفوية. انظر: "الموسوعة العربية العالمية" ١٥/ ١٠٦، وانظر: "الموسوعة العربية الميسرة" ١١٢٥/٢ .

(٢) بشكيريا : هي جمهورية تتمتع بالحكم الذاتى تتبع روسيا الاتحادية . تقع على السفوح الغربية لجبال الأورال في أعالي الفولغا . يبلغ عدد سكانها حوالي ٤ مليون نسمة . والبشكير مسلمون سنة من أصول تترية. انظر : مصطفى الطحان "مستقبل الإسلام في القوقاز" . ص ١٤٨ ، وانظر : "الموسوعة العربية الميسرة" ٣٧٤/١ .

(٣) انظر : مصطفى الطحان "مستقبل الإسلام في القوقاز" . ص ٢٨ ، وانظر : تعريب د/ إحسان حقي "المسلمون في الاتحاد السوفيتي" ص ٢٧ - ٢٨ .

وبضم هذه الممالك التتية الثلاث أنزل الروس أهلها المسلمين منزلة الرعايا المحرومين من الحقوق، ولم يكن باستطاعة هؤلاء المغلوبين أن يتمتعوا بالمساواة بالروس إلا إذا تركوا دينهم واعتنقوا النصرانية الأرثوذكسية^(١).

- هاجم الروس خانات القرم عام ٩٩٢هـ (١٥٨٤م) إلا أن استبسال المسلمين ودعم العثمانيين أفشل الهجوم، وانتكس الجيش الروسي مهزوماً. ومات إيفان الرابع (الرهيب) في ذلك العام.

- في الفترة الممتدة من عام ٩٩٣هـ (١٥٨٥م) إلى عام ١٠١٣هـ (١٦٠٥م) تركت هجمات الروس للسيطرة على القوقاز، حيث هوجمت داغستان وكباردين^(٢) والقرم من أجل الوصول إلى طرق المواصلات التجارية، غير أن جهاد القوقازيين والشراكسة ودعم العثمانيين أوقف الزحف الجديد، لكنه لم يمنع الروس من إقامة مستوطنات وبناء قلاع عسكرية، ونقل القوزاق (عرق موالي للروس) إليها من مناطق أنهار الغولغا والران، وبهذه الطريقة تكون ما يسمى بخط القوزاق العظيم في أقصى شمال القوقاز من شرقه إلى غربه.

(١) انظر: تعريب د/ إحسان حقى "المسلمون في الاتحاد السوفيتي" ص ٢٧-٢٨، وانظر: مصطفى الطحان "مستقبل

الإسلام في القوقاز". ص ٢٨.

(٢) كباردين: (قبرطاي) نسبة إلى أحد الأعراق في شمال القوقاز. وجمهورية القبرطاي أو الكباردين إحدى الجمهوريات ذاتية الحكم التي تتبع روسيا الاتحادية وتقع وسط القوقاز الشمالي إلى الغرب من أوسيتيا الشمالية. مساحتها نحو ١٢,٥٠٠ كم^٢. أكثر من ٨٥% من أراضيها جبلية. يبلغ عدد سكانها حوالي ٧٥٠ ألف نسمة غالبيتهم مسلمون سنة أحناف أصولهم شركسية، يشكل القبرطاي ٤٥% والروس ٣٧% والبالكار (البغار) المسلمون ١٢% . أهم مدنها العاصمة نالتشيك. انظر: مصطفى الطحان "مستقبل الإسلام في القوقاز" ص ١٨١.

- ومع نهاية القرن العاشر الهجري (١٦م) حقق القياصرة انتصارات كاسحة على حساب ممالك المغول المسلمة ، وانتصارات جزئية في القوقاز في حرب سجال مع أهلها ومع العثمانيين . وشهدت تلك الأعوام تنشيط العثمانيين للدعوة الإسلامية في القوقاز والقرم كنوع من التحصين الديني والسياسي المضاد للروس .

- في عام ١١٢٢ هـ (١٧١١م) حاول بطرس الأكبر الوصول إلى البحر الأسود -المنفذ البحري الهام - باحتلاله القرم إلا أنه هزم هزيمة كبرى . ثم حاول التقدم باتجاه مدينة دربند الداغستانية ومدينة أذربيجان إلا أن السلطان الصفوي الفارسي أجبره على التراجع والانتكفاء^(١) .

شن قياصرة موسكو حملات اضطهاد شديدة الوطأة على المسلمين التتار في القوقاز وسيبيريا خلال الأعوام من ١١٥١ إلى ١١٦٩ هـ (١٧٣٨ - ١٧٥٥م) حيث دمر الروس في مدينة قازان وحدها ٤١٨ مسجداً من أصل ٥٣٦ ، وتنوعت أساليب القهر من قمع وتهجير ، ثم فرضوا التنصير القسري . لقد كان القانون القيصري يحرم اعتناق أي دين غير المسيحية الأرثوذكسية ، واستبدلت بالسلافية كل اللغات العربية والفارسية والتركية التي كانت سائدة .

- في عام ١١٩٧ هـ (١٧٨٣م) دخلت الجيوش الروسية القرم، وبسقوطها انهارت آخر معاقل المقاومة التتارية المسلمة . وأعلنت كاترين الثانية^(٢) بيانها الذي تضم فيه القرم

(١) انظر : مصطفى الطحان "مستقبل الإسلام في القوقاز" . ص ٢٩ - ٣٠ .

(٢) كاترين الثانية : وتسمى كاترين العظمى، امبراطورة وقيصرة روسيا (١٧٦٢ - ١٧٩٦م) بدأت سياستها الداخلية بمشروعات إصلاح كبيرة . وخارجياً كانت تطمح بتخديم الامبراطورية العثمانية ، غير أن أطماعها لم تتحقق إلا جزئياً . في عام ١٧٨٣م ضمت القرم، وخلال فترة حكمها زادت كثيراً في هيبة روسيا، غير أنها كانت على انحلال خلقي كبير . خلفها ابنها بول من بعدها . انظر : "الموسوعة العربية الميسرة" ١٤١٦/٢ .

إلى الامبراطورية الروسية . وبذلك أزيلت العقبة الكبرى أمام موسكو للوصول لمنافذ المياه الدافئة ^(١) .

- انتزع الروس جورجيا - ذات الشعب الأرثوذكسي - من أيدي الصفويين عام (١٨٠١م) . وامتدت حملاتهم العسكرية حيث هاجموا أذربيجان وداغستان وأجزاء كبيرة من أرمينيا وأخضعوها للحكم القيصري وذلك في الفترة من عام ١٢٣٥ إلى ١٢٤٤ هـ (١٨٢٠-١٨٢٩م) . لقد اختارت جورجيا طوعاً للحكم القيصري ولم تبد أية مقاومة، وفضله على حكم الصفويين ، مما سهل مهمة الروس في احتلال أذربيجان وداغستان التي أبدى بعض علمائها مقاومة باسلة . إن اختيار جورجيا الانضمام إلى الامبراطورية الروسية جعل المسلمين في شمال القوقاز وحدهم في مواجهة الروس ^(٢) .

وبهذا تنتهي المرحلة الأولى من مراحل التوسع الروسي في الجنوب وفي الشرق على حساب بلاد المسلمين ، لتبدأ بعد ذلك مرحلة ثانية لم تعدها موسكو من قبل .

^(٢) انظر : د/ محمد علي البار "المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ " ٦٨/١ . وانظر : مصطفى الطمان

"مستقبل الإسلام في القوقاز" . ص ٣١ .

^(١) انظر : جون باديلي "احتلال الروس للقفقاس" ص ١٦٥ وما بعدها . وانظر : مصطفى الطمان "مستقبل الإسلام

في القوقاز" . ص ٣١ .

ثانياً : المرحلة الثانية :

في هذه المرحلة واجه الروس حرباً شرسة لا هوادة فيها لم يكن يعهدوها من قبل ، قادها العلماء والمشايخ في شمال شرق القوقاز بعد أن بسط قياصرة موسكو نفوذهم في إقليم القوقاز كله تقريباً .

وتبدأ هذه المرحلة بدعوة الشيخ غازي محمد^(١) (ويسمى أيضاً ملا غازي) شعوب المنطقة إلى الجهاد في سبيل الله لمقاومة المعتدي المحتل ، وقد ألف كتاباً أقام فيه الدليل على ارتداد حكام الإمارات الداغستانية المواليين للروس أسماء " إقامة البرهان على ارتداد عرفاء داغستان " ، وأخذ الإمام يطوف في المدن والقرى منطلقاً من قريته غمري يحرض المؤمنين على القتال .

أشعل الإمام غازي محمد جذوة الإيمان في النفوس ، وأسس حركة جهادية قوية ، واستطاع تدمير العديد من الوحدات العسكرية الروسية ، كما استطاع اختراق الخط القوزاقي ، وتعرضت مدن المستوطنين القوزاق الواقعة شمال نهر ترك لغارات المجاهدين .

(١) الشيخ غازي محمد : ولد الإمام غازي محمد في قرية غمري حوالي عام ١٢٠٧ هـ (١٧٩٣م) ، ودرس العربية وعلوم القرآن على يد الشيخ سعيد أفندي . فنبغ في العلم وأثقن الخطابة إتقاناً بالغاً . وكانت بينه وبين الإمام شامل صداقة حميمة منذ طفولتهما حيث كان أول معلم للإمام شامل . والشيخ غازي من أوائل من دعا إلى قتال الروس وتحريم ولايتهم وذلك في عام ١٢٣٥ هـ (١٨٢٤م) ، وقد جاهدتهم جهاداً عظيماً حتى لقي ربه بعد أن حاصره الروس في مسقط رأسه غمري . انظر : جون باديلي " احتلال الروس للقفقاس " ص ٢٧٥ وما بعدها . وانظر : محمود عبد الرحمن " تاريخ القوقاز .. " ص ٦٠ وما بعدها .

لم يستطع الروس إخماد نار الحركة الجهادية إلا بعد حملة كبيرة استمرت ثلاث سنوات دفع فيها الروس ثمنًا باهظاً حتى تمكنوا من الاستيلاء على غمري وقتل الإمام.^(١)

لقد كانت حركة الشيخ غازي محمد مقدمة لحركة جهادية كبرى في المنطقة قضت مضاجع الروس لسنين طويلة ، فلم يستقر لهم قرار ولم يهدأ لهم بال . لقد قاد الشيخ شامل^(٢) حركة الجهاد بعد أن وحد الكثير من قوميات المنطقة تحت راية الإسلام ، فقد استجاب لدعوته شعوب الداغستان من الأوار والقوموق والدارغين وشعب الشيشان ، وكذلك شعوب الشركس في شمال غرب القوقاز . وفي عام ١٢٥٣هـ (١٨٣٧م) قام الروس بمحاولة جادة لتدمير المقاومة الإسلامية في شمال غرب القوقاز حيث الشراكسة وفي شمال الشرق حيث الشيشان والداغستان ، غير أن القوات الروسية منيت بخسائر كبيرة على الجبهتين .

(١) انظر : الأمير شكيب أرسلان " حاضر العالم الإسلامي ١٩٠/٢ تأليف : لوثرروب ستودارد ، نقله إلى العربية : عجاج نويهض ، وعلق عليه تعليقات كثيرة شكيب أرسلان ، ط(٤) دار الفكر - بيروت ، ١٣٩٤هـ (١٩٧٣م) ، وانظر : روبرت كونكوس : قتلة الأمم .. " ص ٢٦ .

(٢) الشيخ شامل : هو أكبر قادة الجهاد في شمال القوقاز ضد الروس القيصرية ، ولد في قرية غمري الداغستانية عام (١٧٩٧م) وتلقى تعليمه الشرعي في القوقاز على يد علمائها . شمر عن ساق الجهاد بعد احتلال الروس القيصرية بلاده، والتف الشعب الأبى من حوله ، فذب من حوض ملته نحو ٣٥ سنة ظفر فيها بالروس في وقائع عديدة وألقي الرعب في قلوبهم . أقام حكم الشريعة الإسلامية في شمال القوقاز بعد أن استقر له الأمر . لم يسلم هذا المجاهد للروس إلا بعد أن جرت كل جيوشها إليه عام ١٢٧٦هـ (١٨٥٩م) . انظر : شكيب أرسلان " حاضر العالم الإسلامي ١٩٠/٢ - ١٩١ . وانظر : جون باديلي " احتلال الروس القفقاس " ص ٢٦٨ وما بعدها .

واضطر القيصر إلى إخلاء الشيشان ومواقع عديدة في داغستان بعد أن حررها المجاهدون فنظموها وأقاموا حكم الشريعة فيها . وفي عام ١٢٦١هـ (١٨٤٥م) شن الروس هجومهم الرئيس ضد شامل بعد أن حشدوا ثلاثين ألف جندي لهذه العملية الكبيرة على مدينة دارغو ، لكن الروس هزموا وحلت بهم كارثة كبيرة حيث فقدوا أربعة آلاف رجل ، كما فقدوا معظم معداتهم التي غنهما المجاهدون.^(١)

وظلت الحرب سجالاً بين القوات الروسية المجهزة بأحدث الأسلحة وقتئذ ، وبين الإمام ورجاله في مواقع عدة . وفي سنة ١٢٧٢هـ (١٨٥٦م) عندما انتهت حرب القرم^(٢) ، أصبح في وسع الروس أن يحشدوا كل جيوشهم ضد شامل الذي أمضى في مواجهتهم ربع قرن أو يزيد . يقول أحد الكتاب الروس : " أثناء إخضاع شيشانيا ، تدنى عدد السكان بين سنة ١٨٤٧ و سنة ١٨٥٠م (١٢٦٣ - ١٢٦٦هـ) إلى نصف عددهم السابق ، وبحلول سنة ١٨٦٠م (١٢٧٦هـ) أصبح عددهم ربع ما كان عليه " ^(٣) فاستسلم شامل . وأصبح بالإمكان حشد القوات الروسية ضد الشراكسة ، وبدأ الهجوم سنة ١٢٧٨هـ (١٨٦٢م) واستمرت الحرب سنتين ، حيث تم الاستيلاء بعدها على شمال غرب القوقاز ، وتم طرد

(١) انظر : روبرت كونيكوست " قتلة الأمم .. " ص ٢٨ . وانظر : جون باديلي " احتلال الروس للقفقاس " ص ٤٠٣ وما بعدها .

(٢) حرب القرم : (١٢٦٩ - ١٢٧٢هـ ، ١٨٥٣ - ١٨٥٦م) اندلعت هذه الحرب بين القوات الروسية ، وجيوش التحالف التي ضمت كلاً من فرنسا والدولة العثمانية وسردينيا وبريطانيا . وقد سميت بذلك نسبة إلى شبه جزيرة القرم التي دار فيها معظم القتال . وقد بدأت الحرب بسبب نزاع حول مكانة الكنيسة النصرانية الأرثوذكسية في الدولة العثمانية الإسلامية ، وهناك أسباب أخرى . وقد هُزمت روسيا في النهاية ووافقت على شروط السلم على مضض . انظر : " الموسوعة العربية العالمية " ٢٥٤/٩ . وانظر : " الموسوعة العربية الميسرة " ٧٠٢/٨ .

(٣) انظر : روبرت كونيكوست " قتلة الأمم .. " ص ٢٨ ، وانظر : جون باديلي " احتلال الروس للقفقاس " ص ٤٧٨ وما بعدها .

حوالي ٦٠٠ ألف شركسي مسلم من بلادهم ، حيث استقر كثير منهم تركيا وبلاد الشام ، واستوطن مكانهم رعايا روس في سياسة قيصرية تهدف إلى إخضاع المنطقة إلى الأبد. ^(١)

لقد تم إخضاع شمال القوقاز بعد نصف قرن من قبول جورجيا للحكم الروسي ؛ ورغم وطأة الحكم العسكري على المنطقة إلا أن الشعوب التي خضعت لم يكن خضوعها نهائياً ، فعندما اندلعت الحرب مرة أخرى بين روسيا والدولة العثمانية عام ١٢٩٤هـ (١٨٧٧م) قامت مزيد من الثورات في المنطقة ونودي بإمام جديد في الشيشان، وتطلب الموقف أن ترسل روسيا ست فرق عسكرية لإخضاع شمال القوقاز، ولم يتم قمع تلك الانتفاضات إلا بعد أن انهارت القيصرية في موسكو وقامت الثورة البلشفية. ^(٢)

^(١) انظر : روبرت كونكوس " قتلة الأمم .. " ص ٢٩ ، وانظر : تعريب د/ إحسان حقي " المسلمون في الاتحاد السوفيتي " ص ٣١ وما بعدها .

^(٢) انظر : روبرت كونكوس " قتلة الأمم .. " ص ٣٠ ، وانظر : تعريب د/ إحسان حقي " المسلمون في الاتحاد السوفيتي " ص ١٢٦ .

ثانياً: الدعوة الإسلامية خلال العهد البلشفي^(١) :

سيتناول بحث الدعوة الإسلامية خلال العهد الشيوعي^(٢) البلشفي الموضوعات

التالية:

- مراحل سيطرة الشيوعيين على شمال القوقاز .

- محاولات الملاحدة طمس معالم الإسلام .

وتفصيل ذلك على النحو التالي :

(١) البلشفي : كانت البلشفية تعني في أول أمرها الأغلبية التي تقابل كلمة المنشفيك التي تعني الأقلية بعد انقسام الحزب الاشتراكي الديمقراطي للعمال الروسي على نفسه سنة ١٣٢٠هـ (١٩٠٣م) ، ولكنها تطورت وأصبحت بعد ذلك تعني الكراهية الموجهة ضد المجتمع البرجوازي (الطبقي) ، وبصفة خاصة ضد الغرب الرأسمالي . وقد أصبحت أخيراً مرادفة للشيوعية في استعمالها العام . انظر " الموسوعة الميسرة للأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة " ٢ / ١٠٠٠ .

(٢) الشيوعي : مشتقة من الشيوعية . والشيوعية مذهب فكري يقوم على الإلحاد وأن المادة هي أساس كل شيء ، ويفسر التاريخ بصراع الطبقات وبالعامل الاقتصادي . وقد ظهرت في ألمانيا على يد ماركس وإنجلز ، وتجسدت في الثورة البلشفية عام ١٣٣٥هـ (١٩١٧م) بتخطيط من اليهود ، وتوسعت على حساب غيرها بالحديد والنار . انظر : " الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة " ٢ / ٩٢٩ . وانظر : " الموسوعة العربية العالمية " ١٤ /

* مراحل سيطرة الشيوعيين على شمال شرق القوقاز^(١) :

ظهر الانقلاب في روسيا عام ١٣٣٥هـ (١٩١٧م) ضد القيصر نيقولا الثاني^(٢) بقيادة لينين^(٣) ورفقائه وأتباعهم في روسيا ، ووصلت آثار هذا الانقلاب إلى داغستان ، فأجمع الأهالي على ضرورة مقاومة الانقلابيين ، وعلى ضرورة اختيار إمام لهم فأقاموا الشيخ نجم الدين الحزري^(٤) إماماً ، وكان رجلاً عالماً غنياً .

(١) هذه الأحداث تمّ قلمها بتصريف واختصار من مخطوطة بعنوان " الفتنة الانقلابية الكبرى " بقلم المؤرخ محمد عبد الحميد الأرهاني حيث كتبت سنة ١٣٧٣هـ (١٩٥٤م) ، وكان هذا المؤرخ واحداً من جنود الشيخ نجم الدين الحزري ، وكان شاهداً على هذه الأحداث حيث قال في هذه الرسالة " كتبت فيها ما شاهدته بعيني ، وما سمعته تحققت منه " .

(٢) نيقولا الثاني : هو آخر القيصرية الروس ١٣١٢ - ١٣٣٥هـ (١٨٩٤ - ١٩١٧م) . حدثت في عهده سلسلة من مواسم الحصاد الفاشلة أدت إلى حصول مجاعة ، كما أن تزايد الصناعة أخذ يظهر عدم الرضا بين الطبقة الوسطى والعمال . وشكل الروس الحاققون منظمات سياسية مختلفة معارضة ، منها : الدستوريون الأحرار ، والثوريون الاجتماعيون ، والماركسيون . وأدى فشل سياسة القيصر في الحرب العالمية الأولى إلى زيادة السخط ، وبحلول عام ١٣٣٤هـ (١٩١٦م) كان الروس المتعلمون كافة يعارضون القيصر . وفي شهر جمادى الآخرة ١٣٣٥هـ (مارس ١٩١٧م) ثار سكان روسيا ، وتنازل القيصر عن العرش . وفي عام ١٣٣٦هـ (١٩١٨م) قتل البلاشفة القيصر وجميع أفراد أسرته . انظر : " الموسوعة العربية العالمية " ١١/ ٣٧١ - ٣٧٣ .

(٣) لينين : (١٢٨٧ - ١٣٤٢هـ ، ١٨٧٠ - ١٩٢٤م) هو مؤسس الحزب الشيوعي في روسيا ، منشئاً بذلك أول دكتاتورية للحزب الشيوعي في العالم . قاد ثورة أكتوبر عام ١٣٣٥هـ (١٩١٧) التي مكنت الشيوعيين من السيطرة على مقاليد الأمور في روسيا ، ثم حكم البلاد حتى موته عام ١٣٤٢هـ (١٩٢٤م) . انظر : " الموسوعة العربية العالمية " ٢١/ ٣١٦ .

(٤) الشيخ نجم الدين الحزري : نجم الدين بن محمد بن دنوغونه الحزري الداغستاني الملقب بالإمام الداغستاني الخامس . من ألمع القيادات الإسلامية في القوقاز في مطلع القرن العشرين . ولد نجم الدين عام ١٢٧٥هـ (١٨٥٨م) لعائلة عريقة وغنية في داغستان حقق نجم الدين تبحراً في علوم الشريعة حيث رحل إلى تركيا والحجاز وبلاد الشام وأفاد رسوخاً في العلم ونبوغاً في الأدب العربي . انظر : نجم الدين بن محمد الداغستاني " أشواق داغستان إلى الحرم الشريف " شرح وتحقيق محمد الحبش ، ص ١٥ - ١٧ ط (٢) ، دار النور ، دمشق ١٩٩٥م .

في نفس ذلك الوقت ظهرت مجموعة من الضباط الداغستانيين الذين ساهموا مع لينين وزملائه في تدمير مملكة الإمبراطور نيقولا الثاني ، ومن أبرز هؤلاء الضباط ضابط يدعى " محاج وحدايوف " ^(١) .

وعندما رجع هؤلاء الضباط إلى وطنهم داغستان لاطهار الانقلاب فيها ضد القيصرية الروسية ، ووصلوا إلى تيمر خان شورة (عاصمة داغستان حينئذ) في فبراير سنة ١٣٣٦ هـ (١٩١٨ م) ، دعوا الناس إلى الانقلاب ، واختاروا الرؤساء المؤقتين ، وحضر الناس إليهم للاستماع إلى برامجهم وأحكامهم وقوانينهم .

وكان من بين هذه الأحكام أخذ المزارع والأراضي من أربابها ، وإظهار الاشتراكية والشيوعية . فكره العلماء والأغنياء أحكامهم هذه ، وأنكروا عليهم وحذروا الناس منهم ، وفر كثير من العلماء وعامة الناس إلى الجبال ، وعملوا على تجميع الناس لمقاتلة هؤلاء الضباط الذين أطلق عليهم اسم " البلشفيك " .

انقسم المستوطنون القوزاق القاطنون في إقليم ستافروبول (أقصى شمال القوقاز) بين مؤيد للثورة الجديدة ومعارض لها .

وفي مساء يوم ٦ رجب ١٣٣٦ هـ (١٧ إبريل ١٩١٨ م) ظهرت عدة سفن مقبلة من ناحية " إستراخان " جلبها الضابط " محاج " ، وأحاطوا بقلعة " إنجه " الداغستانية بالمدافع ، وأضرموا فيها نار الحرب . كما اشترك معهم بعض جنود القوزاق ، فقتل الفريقان (جنود محاج ، وجنود الإمام نجم الدين) من الصباح إلى الظهر ، وضعف الإمام

(١) محاج : هو الشخص الذي سمى الشيوعيون " محاج قلعة " باسمه وكانت قبل ذلك تسمى " تيمر خان شورة " وذلك عرفانا منهم بخدماته الكبيرة للشيوعية .

نجم الدين وجنوده لتفوق خصمه في العدة والعتاد ، وانحاز ناحية الجبال . وبعدها بأيام قليلة استولى البلاشفة على قلعة شورة ، وحاول نجم الدين استعادتها ، وجمع العساكر في " كمره " لكنهم لم يستطيعوا .

رجع الإمام نجم الدين إلى قرية " ديلم " في رجب ١٣٣٦هـ (مايو ١٩١٨م) ، وأرسل الرسل بالكتب إلى الشيشان يدعوهم لنصرته ضد البلشفيك ، لكن سائر محاولاته باءت بالفشل . وفي نفس الوقت كان محاج وجنوده قد بدأوا في التوسع نحو السهل والجبل ، فاندفع بمدافعه وجنوده نحو المناطق الجبلية ، وبعد معارك عدة استطاع البلاشفة السيطرة على أهل الجبال .

لم يستقر الأمر للبلاشفة ، فقد تحركت مجموعة كبيرة من جنود المستوطنين القوزاق بقيادة الجنرال " بيجارخوف " وهجموا على البلاشفة ، فاستولوا على قلعة أنجه ثم زحفوا إلى تيرخان شوره ، ثم إلى دربند وباكو فسقطت بأيديهم . وانقطعت آثار الانقلاب البلشفي وقواده (محاج وأتباعه) ، وجرت أحكام القوزاق في داغستان والقوقاز إلى أن وصل الجيش التركي إلى داغستان ، واتخذ منطقة " غازي غموق " مركزاً له ، وكان مع الجيش العلماء والفقهاء والوعاظ من الترك .

انتشر الترك في نواحي داغستان فاستولوا على دربند ، وشوره ، وباكو . وكان القوزاق قد أعدوا الخنادق في قلعة " أنجه " ، واتخذوا من جبل " ترغ باشا " (جبل تاركلي حالياً) حصناً لهم ، فهجم الترك عليهم ووقعت بينهم مقتلة عظيمة ، وفتح الترك قلعة أنجه في ١٣٣٨هـ / ٢ / ٤ (١٩١٩م / ١٠ / ٢٧) ، وانهزم القوزاق ، وتراجعوا نحو ولايتهم في أقصى شمال القوقاز .

وفي فترة قصيرة استطاع الترك الاستيلاء على جنوب القوقاز وداغستان وبدءوا في تنظيم أحوال الناس ، ولم يختاروا الإمام نجم الدين للرئاسة ، لعدم خبرته بالسياسة ، فكره الشيخ نجم الدين ذلك منهم .

وبينما الأمر كذلك اضطر الترك للعودة إلى بلادهم لوصول خبر دخول الانجليز إلى أرضهم اسطنبول . فذهبوا وتركوا الآلات الحربية هدية للداغستانيين ففرح نجم الدين برجوعهم وارتحل إلى ولاية القوزاق ليستعين بهم في تثبيت إمامته ضد البلشفيك ، فعاد القوزاق من جديد إلى داغستان بمعاونة الانجليز ، واستقرت أمورهم في داغستان ودخل في خدمتهم شبان داغستانيون ، ولم يعبئوا بنجم الدين بل طاردوه ، فذهب ناحية جورجيا واستخفى فيها .

جاء البلشفيك من جديد برئاسة ستالين ، واشتعلت الحرب بينهم وبين القوزاق وسارع المسلمون مرة أخرى لتولية إمام آخر عليهم ، فاختاروا رجلاً يدعى " الحاج أذن خير السلطي " ، وكان شيخاً غنياً زاهداً ، فارتحل ناحية الشيشان ، وسمي بأمر المؤمنين ، وضرب نقداً باسمه في بلدة " فيدنو " الشيشانية مكتوب عليه " أمير المؤمنين في شمال قفقاس الحاج أذن خير عز نصره - ضرب في فيدنو " .

بقي " أذن خير " في الشيشان مدة قليلة ، وأدار السفراء بينه وبين البلشفيك ، واصطلحوا على إخراج القوزاق من داغستان ، فأرسل خواص رفقائه إلى المناطق الجبلية لتحريض الناس ضد القوزاق ف وقعت الحرب في ناحية " دركه " بين الأهالي والقوزاق ، وقتل في القوزاق خلق كثير .

وفي هذه الأثناء رجع نجم الدين من جورجيا ، وجمع الجنود ، وبدأ بتحريض الناس في الجبال وإثارتهم ضد البلشفيك من جديد ، فجرت بينه وبينهم معارك عدة انتهت

بهزيمته وفراره ناحية الشيشان ، وبعدها استقرت الأوضاع في داغستان لصالح البلاشفة الشيوعيين ، وكذلك في القوقاز كله حيث قضوا على دويلة الحاج أذن خير السلطي في الشيشان .

* محاولات الملاحدة طمس معالم الإسلام :

فور سيطرة البلاشفة على بلاد المسلمين في القوقاز وغيرها ، بأشر قادة الشيوعية بشتى الوسائل والطرق العمل لطمس معالم الدين الإسلامي وفرض مبدأ الإلحاد والشيوعية بأسلوب مكر ومتدرج ودموي بهدف إطفاء جذوة الإيمان من قلوب المسلمين . ابتداء بالاحتلال والخديعة ، ثم بقتل العلماء والدعاة ، وإغلاق وهدم المساجد ، ثم الطعن في الإسلام عقيدة وشرعية ، وفرض عقيدة الإلحاد في مناهج التعليم والإعلام وغيرها ، ثم التهجير القسري لشعوب بأسرها وإحلال المستوطنين الروس ، ومحاربة الشعائر الإسلامية ، وإغلاق المحاكم الشرعية ومصادرة الأوقاف ، واستهداف الأسرة والمرأة المسلمة ، وغير ذلك من الوسائل التي سيتناول البحث بعضها بإيجاز .

لقد أسس بلاشفة موسكو ببيان دولتهم على الإلحاد المطلق الذي لا يعترف بالمعاني الروحية ولا يقيم وزناً لحقيقة الألوهية . ومن أشد ما نظقت به أفواه الشيوعيين وأقلامهم

في حربهم ضد الدين الإسلامي الحنيف الدين قولهم " الدين أفيون ^(١) الشعوب " وذلك قول مأثور عن ماركس وأتباعه من بعده. ^(٢)

وتمضي الشيوعية في خط الإلحاد تعلن على الإسلام حرباً لا هوادة فيها ، إذ يقول لينين: " إن دعايتنا يجب أن تكون بالضرورة مشتملة على الدعاية للإلحاد . . ينبغي علينا أن نحارب الدين . وهذا هو ألف باء كل المادية وبالتالي الماركسية " . ^(٣) ويقول لينين أيضاً : " الله هو مجموعة من الأفكار أعدتها القبيلة ، الأمة ، الإنسانية . أفكار توقظ وتنظم المشاعر الاجتماعية بهدف ربط الفرد بالمجتمع وترويض الفردية الحيوانية " . ^(٤)

لقد جعل الحزب الشيوعي السوفيتي من أول أهدافه ومهامه محاولة إقناع الناس بعدم وجود قوة إلهية تسيطر عليهم وتوجههم . وليس هناك ما يسمى بالبعث والخلود . ولذلك فعليهم الكفاح لتحسين أحوالهم المادية وتحقيق أهدافهم الدنيوية ، فبعد الموت فناء نهائي لا بعث فيه ولا نشور . ويرون أن الديانات ما هي إلا آراء دنيوية خرافية تعبر عن أوضاع اقتصادية واجتماعية غير سليمة ، وأنها ستختفي عند رفع مستوى الأوضاع

(١) أفيون : الأفيون هو عصارة الخشخاش . تُستعمل للتنويم والتخدير . انظر : " المعجم الوسيط " ٢٢/١ . إصدار مجمع اللغة العربية ، ط المكتبة الإسلامية - استانبول ، ١٣٩٢ هـ (١٩٧٢ م) . وانظر : " الموسوعة العربية العالمية " ٤٠٩ / ٢ .

(٢) انظر : د/ أمير عبد العزيز " النظرية الماركسية في ميزان الإسلام " ص ١٠١ ، ط (١) مكتبة الأقصى - عمان ، ١٤٠١ هـ (١٩٨٠ م) .

(٣) لينين " نصوص حول الموقف من الدين " ص ٧٨ .

(٤) المصدر السابق : ص ١٣٣ .

الاقتصادية وتربية الوعي الاجتماعي لدى الشعوب والأفراد . ويرون أيضاً أن التعايش مع المؤمنين بالآلوهية ممكن بالنسبة للنواحي السياسية والاقتصادية إلا أنه أمر مستحيل على المستوى العقائدي ، إذ إن توافق الإيمان مع الإلحاد يكاد يكون متعذراً^(١) .

لقد اعتبر الشيوعيون البلاشفة أن هناك تحالفاً بين الكنيسة الأرثوذكسية وطبقة الإقطاعيين^(٢) الروس . ولذلك رأوا بأنه من الضروري محاربة الكنيسة بصفتها حليفاً للطبقة المعادية للثورة . ففي ١١ ربيع الآخرة ١٣٣٦ هـ (١٩١٨/١/٢٣ م) صدر من مفوضي الشعب في الجمهورية الروسية مرسوماً يتضمن النظام الأساسي للمنظمات الدينية بشأن حرية الضمير وحرية المجتمع والدين ، وأعلن بموجب هذا المرسوم فصل الدولة عن الكنيسة فصلاً تاماً كما أعلن تأميم المنظمات الدينية المسيحية ومصادرة أملاكها .

وقد رأى الشيوعيون في الإسلام خطراً أشد من غيره من الأديان على النظام الشيوعي . لذا وقف الشيوعيون الروس منذ البداية موقفاً معادياً من الإسلام . إلا أن الزعماء الشيوعيين أظهروا في بداية عهدهم بعض الحذر والتروي عند تعاملهم مع المسلمين بهدف الدعاية واستمالة المسلمين في مختلف أنحاء العالم^(٣) .

(١) انظر : سعيد بينو " الشيشان والاستعمار الروسي " ص ١٧٧ - ١٧٨ ، ط مطابع الصفوة - عمان ، ١٩٩٧ م .

(٢) الإقطاعيين : الإقطاع مصطلح عام لوصف النظام السياسي والعسكري الذي كان سائداً في غربي أوروبا خلال القرون الوسطى ، حيث لم تكن هناك حكومة مركزية قوية ، كما كان الأمن ضعيفاً . والسمة الأساسية لهذا التنظيم هي اقتصاد محلي زراعي سياسي ، فالسيد كان يقدم حمايته للفلاحين مقابل خدمات ومكوس شخصية . انظر : " الموسوعة العربية العالمية " ٤٣١ / ٢ ، وانظر : " الموسوعة العربية الميسرة " ١٨٥ / ١ .

(٣) انظر : سعيد بينو " الشيشان والاستعمار الروسي " ص ١٧٨ .

ففي عام ١٣٣٧هـ (١٩١٩م) وجه لينين بياناً إلى مسلمي العالم جاء فيه : " . . ثوروا من أجل دينكم وقرآنكم وحريتكم في العبادة ... إننا هنا نعلن احترامنا لدينكم ومساجدكم . وإن عاداتكم وتقاليدهم حرة لا يمكن المساس بها . ابنو حياتكم الحرة الكريمة المستقلة دون أي معوقات ولكم الحق في ذلك . واعلموا أن جميع حقوقكم الدينية والمدنية مصونة بقوة الثورة ... " ^(١) .

ولمزيد من التضييل والخداع قام لينين بتسليم مصحف عثمان - رضي الله عنه - الذي كان في حوزة دولة القياصرة إلى المسلمين ، كما قام بتسليم عدد كبير من الوثائق والآثار الإسلامية الهامة التي كان القياصرة قد استولوا عليها إلى مسلمي القرم والقوقاز وتركستان ^(٢) . وسمح للمسلمين حتى عام ١٣٤٢هـ (١٩٢٤م) باتباع عقائدهم وممارسة شعائهم . يقول الشيخ عبد الودود فتاح الدين - قاضي المسلمين في موسكو عام ١٣٣٩هـ (١٩٢١م) - عندما التقاه شكيب أرسلان ^(٣) وسأله : ما هو الفرق بين الإدارة القيصرية السابقة والإدارة الشيوعية الحاضرة ؟ قال : " . . أما من جهة الحرية الدينية فقد صرنا في مجبوحة عظيمة ، إذ أن البلشفيين لا يسألون الإنسان عن عقيدته . . " ^(٤) .

^(١) انظر : د/ محمد علي البار " المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ " ٢٣ / ١ .

^(٢) انظر : د/ محمد علي البار " المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ " ٢٣ / ١ ، وانظر : سعيد بنو " الشيشان والاستعمار الروسي " ص ١٧٩ .

^(٣) شكيب أرسلان : (١٢٨٦ - ١٣٦٦هـ - ١٨٦٩ - ١٩٤٦م) هو شكيب بن حمود بن حسن بن يونس أرسلان ، من سلالة التنوخيين ملوك الحيرة . عالم بالأدب والسياسة ، مؤرخ ، من أكابر الكتاب ، ينعت بأمر البيان . ولد في لبنان وتعلم في مدرسة دار الحكمة بيروت . وأقام مدة بمصر ، وانتخب نائباً عن حوران في مجلس " المبعوثان " العثماني . وسكن دمشق ، ثم برلين ، ثم جنيف ٢٥ عاماً ، وعاد إلى بيروت وتوفي بها . من مؤلفاته : " الحلال السندسية في الرحلة الأندلسية " و " غزوات العرب في فرنسا وشمالي إيطاليا وفي سويسرة " وغيرها . انظر : " الأعلام " ١٧٣ / ٣ ، وانظر : " معجم المؤلفين " ١ / ٨١٨ .

^(٤) الأمير شكيب أرسلان : " حاضرم العالم الإسلامي " ص ٢٨٧ .

إلا أن هذا التسامح والتساهل مع المسلمين لم يدم طويلاً ، إذ بدأ اضطهاد علماء الإسلام ودعائه عملياً عند المباشرة بإجراءات ما سمي بـ " الوسائل الطارئة " عام ١٣٤٦ هـ (١٩٢٨ م) ثم تبع ذلك حملة منظمة شرسة لمحو الدين الإسلامى والقضاء على أئمة ودعائه ، وكانت هذه الحملة على مراحل متتابعة كما يلي :

- في المرحلة الأولى : أغلقت المطابع التي تطبع الكتب الإسلامية ، وحوربت اللغة العربية ومنع التحدث أو الكتابة بها . وقد كانت قبل ذلك لغة العلم لدى جميع المسلمين في روسيا^(١) . وبدأت الحرب الإعلامية المسعرة على علماء الدين ، وفرضت عليهم الضرائب ، وحرّموا من حق التصويت والانتخاب^(٢) .

- في المرحلة الثانية : طلب رجال الشرطة والمخابرات من علماء الدين التوقيع على بيانات تنشر في الصحف ، يطعن فيها الموقعون بالإسلام ويصفونه بأنه خديعة للشعب ، ويقررون خلع جباتهم والتحول للإلحاد ! وحيث إن غالبية العلماء والأئمة رفضوا ذلك فقد جرى نفيهم إلى سيبيريا ، فخلت المساجد والمدارس الدينية من القائمين عليها .

- في المرحلة الثالثة : تمت مصادرة وهدم المساجد والمدارس الدينية أو تحويلها إلى نواد ومستودعات ، كما صودرت الأملاك الوقفية . ففي الفترة من عام ١٣٤٧ هـ إلى ١٣٥٨ هـ (١٩٢٩ - ١٩٣٩ م) هدم أو أقفل في شمال القوقاز وحدها ما يزيد عن أربعة آلاف مسجد وجامع . واعتبرت جميع المدارس الدينية التي تزدهر بها شمال القوقاز

(١) انظر : الأمير شكيب أرسلان " حاضر العالم الإسلامى " ص ١٨٨ .

(٢) انظر : سعيد بنو " الشيشان والاستعمار الروسى " ص ١٧٩ ، ١٨٠ .

مؤسسات غير قانونية فتم إقفاها ، ومنع المسلمون من أداء فريضة الحج ، وألغيت المحاكم الشرعية .^(١)

- في المرحلة الرابعة : تبدلت هذه السياسة بعض الشيء عندما بدأت الحرب العالمية الثانية^(٢) عام ١٣٦٠هـ (١٩٤١م) ، وكان هذا التبدل بهدف استمالة المسلمين وحثهم على دعم النظام المهالك . فسمح بفتح عدد قليل من المساجد ، وتوقفت الحكومة الشيوعية عن الإعدام والتعذيب لعلماء الإسلام ودعائه ، وأنشئت أربع إدارات دينية للمسلمين هي :

- ١ - المركز الإسلامي في روسيا الأوروبية وفي سيبيريا ، ومركزه مدينة أوميا في بشكيريا . ولغته الرسمية التتية .
- ٢ - المركز الإسلامي لأهل السنة في آسيا الوسطى وفي كازاخستان ، ومركزه مدينة طشقند في أوزبكستان . وهو أكبر المراكز الإسلامية وأكثرها أهمية ، ولغته الرسمية الأوزبكية .
- ٣ - المركز الإسلامي السني الشيعي لما وراء القوقاز ، ومركزه مدينة باكو في جمهورية أذربيجان .

^(١) انظر : الكسندر بينيغسن وشاتال لوميريه " المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي " ص ١٥٦ ، وما بعدها ، وانظر : سعيد بنو " الشيشان والاستعمار الروسي " ص ١٨٠ .

^(٢) الحرب العالمية الثانية : (١٣٥٨ - ١٣٦٤هـ ، ١٩٣٩ - ١٩٤٥م) أزهدت أرواحاً كثيرة ، وخربت كثيراً من الثروات . ربما كان لها من النتائج أكثر مما فعلته أية حرب أخرى في التاريخ . لقد عملت على إنهاء دور غربي أوربا مركز القوة العالمي ، وأدت إلى ظهور الاتحاد السوفيتي السابق كقوة عالمية كبرى منافسة للولايات المتحدة واليابان وألمانيا التي هزمت أخيراً في هذه الحرب ، وشهدت اتعاشاً اقتصادياً مثيراً . وكان تطور القنبلة الذرية خلال الحرب إيذاناً ببدء عصر الذرة . انظر " الموسوعة العربية العالمية " ٩ / ٢١٤ ، وانظر : " الموسوعة العربية الميسرة " ١ / ٧٠٠ .

٤ - المركز الإسلامي لأهل السنة في شمال القوقاز ، ومركزه مدينة بونياكس في جمهورية داغستان .^(١)

- في المرحلة الخامسة : بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وإحكام السلطة الشيوعية قبضتها ، تخلت عن سياستها السابقة تجاه الإسلام ، لاسيما بعد أن ظهر للروس أن الإيمان متمكن من قلوب المسلمين بعد السماح بفتح الإدارات الدينية ، لذا قررت السلطة في عهد خروتشوف^(٢) الوقوف بقوة ضد الدين الإسلامي ، فشنت حملة منظمة تشبه الحملة التي وجهت إليه قبل الحرب ، وشملت تنظيم حملة عقائدية الحادية واسعة ضد الإسلام . ويمكن تقسيم الطعون والشبهات التي استخدمتها الدعاية الشيوعية ضد الإسلام على النحو التالي :

أ) الطعون والشبهات المسوغة ضد جميع الأديان بالادعاء بأن الأديان أفيون الشعوب، تلهم الجماهير الكادحة عن الكفاح الثوري وتدخل في روحها الخضوع العبودي . وهي عاقبة أمام التقدم ، وأداة بيد الطبقات المستغلة وعقائد خيالية . فهي إذن ضد الماركسية وتعيق مجيء الاشتراكية .

^(١) انظر : الكسندر بينغسن وشاتال لوميريه " المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي " ص ١٥٩ ، وانظر : سعيد بينو " الشيشان والاستعمار الروسي " ص ١٨٠ .

^(٢) خروتشوف : (١٣١١ - ١٣٩١ هـ ، ١٨٩٤ - ١٩٧١ م) هو نيكيتا سر جيفتش خروتشوف ، كان زعيم الاتحاد السوفيتي السابق في الفترة ما بين ١٩٥٨م - ١٩٦٤م . وكان يأمل في رفع مستوى حياة الناس في بلاده ، كما أنه وسع نشاط بلاده في اكتشاف الفضاء إلى حد بعيد . انتقد خروتشوف بشدة قسوة جوزيف ستالين ، غير أنه سار على منهجه في الإلحاد ومحاربة الدين . عمل خروتشوف على تجنب الدخول في حرب مع الدول الغربية . وقد أدت سياسته هذه إلى إحداث انقسام بين الاتحاد السوفيتي والصين . انظر : " الموسوعة العربية العالمية " ١٠ / ٤٢ ، وانظر " الموسوعة العربية الميسرة " ١ / ٧٥٤ .

(ب) الطعون والشبهات المستخدمة ضد الإسلام بشكل خاص ، وتنقسم بدورها إلى عدة فئات:

١- طعون وشبهات تستهدف وجود الإسلام : بالإدعاء بأن الإسلام دين فرضه بالقوة الغزاة العرب على أجداد المسلمين في آسيا الوسطى ، والسلاطين العثمانيين في القوقاز الغربي ، وشاهات إيران فيما وراء القوقاز .

٢- طعون وشبهات تستهدف عقيدة الإسلام وشريعته : بالإدعاء بأن الإسلام أشد دين رجعي في العالم . إنه يذل المرأة ويخضع الشباب لسلطة أصحاب اللحي البيضاء التعسفية والطغيانية . إن شعائر الإسلام وبخاصة الحتان وصيام رمضان إنما هي تصرفات بربرية ومضرة بالصحة ، كما أن الصلوات الخمس تصرفات ضد المجتمع تجلب الضرر لمردود عمل الجماهير الكادحة ... الخ .

٣- طعون وشبهات تستهدف أخلاق الإسلام : بالادعاء بأن الإسلام يقتل روح المبادرة، ويدخل أكثر من أي دين آخر في ذهن البشر روح الخنوع والتعصب ، وأن أخلاق الإسلام تتعارض مع الأخلاق الاشتراكية السوفيتية الجديدة .^(١)

وقد كانت محاربة الإسلام ونشر الإلحاد يقعان بالدرجة الأولى على عاتق كل منظمات الحزب الشيوعي ، لاسيما منظمتي " إتحاد من لا إله لهم " و منظمة " الكومسومول " ^(٢)

^(١) انظر : تعريب د/ إحسان حقي " المسلمون في الاتحاد السوفيتي " ص ٢٧٤ وما بعدها ، وانظر : سعيد بينو " الشيشان والاستعمار الروسي " ص ١٨١ .

^(٢) منظمة الكومسومول : منظمة شبابية أنشأها الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفيتي السابق بهدف غرس الإلحاد في عقول الشباب ومحاربة الأديان . ويمارس الطلاب عن طريق هذه المنظمة العديد من الأنشطة والبرامج الثقافية والاجتماعية التي تستهدف طلاب التعليم الثانوي والجامعي ، ومركز المنظمة الرئيس في موسكو ولها أفرع في جميع جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق . انظر : أنجاث المؤتمر العالمي للدعوة العالمية " الأقليات المسلمة في العالم " ١ / ٧١ . وانظر : تعريب د/ إحسان حقي " المسلمون في الاتحاد السوفيتي " ص ٢٧٦ .

ولها تين المنظمين فروع في جميع جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق . كما أن مهمة نشر الإلحاد ومقاومة الدين الإسلامي تقع أيضاً على عاتق وزارات الثقافة في جميع الجمهوريات ، وكل الوسائل الإعلامية والتعليمية وغيرها مجندة لنشر الإلحاد والنيل من الإسلام .^(١)

ففي داغستان وحدها نشر القسم الداغستاني لجمعية نشر المعارف السياسية والعلمية أرقاماً تقريبية لعدد الندوات والمحاضرات التي تدعو للإلحاد وتحارب الإسلام ، وهي كما يلي :

- سنة ١٣٧٩هـ (١٩٥٩م) - ٤٠٢٠ محاضرة .

- سنة ١٣٨٠هـ (١٩٦٠م) - ٥٤٣٢ محاضرة .

- سنة ١٣٨١هـ (١٩٦١م) - ٦٣٣٥ محاضرة .^(٢)

وفي عام ١٣٨١هـ (١٩٦١م) أصدر مجلس وزراء جمهورية داغستان السوفيتية قراره حول " تقوية المراقبة على تنفيذ التشريع بشأن الأديان " حيث شدد المسؤولية القانونية ضد كل من يقوم بتعليم الدين الإسلامي والقرآن الكريم - لاسيما للأطفال الصغار - أو من يقوم برحلات للحج أو الدعوة لأعمال الخير والإحسان كترميم المساجد وبناء المشربيات وتوزيع المصاحف وغيرها ، حيث يعتبر ذلك مخالفاً للقانون ، وقد أودع كثير من المسلمين السجن والمعتقلات نتيجة ذلك القرار . وفي العام الدراسي ١٣٨٤هـ (١٩٦٤م) أدخلت مادة إلزامية في الجامعات والمعاهد الدراسية بعنوان " أسس الإلحاد العلمي " في دول شمال

^(١) انظر : تعريب د/ إحسان حقي " المسلمون في الاتحاد السوفيتي " ص ٢٧٦ .

^(٢) انظر : عماروف " استعراض تاريخي لحرية المعتقد في داغستان خلال الفترة من ١٩٣٠ - ١٩٩٠م " ص ٩ ، إصدار : الجامعة الداغستانية في محاج قلعة ١٩٩٤م ، ضمن مجموعة بحوث أكاديمية بعنوان " الإسلام في داغستان " مترجم عن اللغة الروسية .

شرق القوقاز وعموم الاتحاد السوفيتي السابق ، كما تم إنشاء أقسام دراسية تعنى بتعليم الإلحاد في العديد من الجامعات والمعاهد التربوية .^(١)

- في المرحلة السادسة : بعد سقوط خروتشوف عام ١٣٨٤هـ (١٩٦٤م) دخلت العلاقة بين الحكومة السوفيتية والمسلمين مرحلة جديدة ، إذ خف الهجوم العنيف على الدين الإسلامي . ثم بوشر بفتح بعض المساجد ابتداءً من عام ١٣٩٨هـ (١٩٧٨م)، وقد تسارع ذلك بعد اعتماد الرئيس غورباتشوف^(٢) سياسة الليروسترويكا^(٣) (إعادة البناء) ، فباشر المسلمون في شمال شرق القوقاز ببناء وترميم وفتح المساجد في مختلف المدن

(١) انظر : عماروف " استعراض تاريخي لحرية المعتقد في داغستان .. " ص ١٢ .

(٢) الرئيس غورباتشوف : هو ميخائيل غورباتشوف الرئيس الأخير للاتحاد السوفيتي السابق . ظهر على المسرح السياسي عام (١٩٨٥م) عندما أصبح رئيساً للحزب الشيوعي ، وأدخل كثيراً من التغييرات في الاتحاد السوفيتي بما في ذلك زيادة حرية التعبير في الأمور السياسية وغيرها . وكرس جهده لتحسين العلاقات مع الغرب ، وتقليل سيطرة الحكومة على الاقتصاد السوفيتي . وتم السماح في عهد بإنشاء أحزاب سياسية غير الحزب الشيوعي . كما طالب كثير من المواطنين في مختلف أنحاء الاتحاد السوفيتي بمزيد من التحرر من سلطة الحكومة المركزية مما أدى إلى انقراط عقد الاتحاد السوفيتي في شهر ذي الحجة ١٤١١هـ (يوليو ١٩٩١م) . انظر : "الموسوعة العربية العالمية " ٣٧٥/١١ .

(٣) الليروسترويكا : كلمة روسية تعني "إعادة البناء" . وهي في جوهرها ترمي إلى إنقاذ روسيا من الانهيار الاقتصادي والسياسي الذي هو نتيجة طبيعية لمنهجية الإلحاد والاستبداد الشيوعي . وفي سبيل تحقيق الإنقاذ بادر الرئيس غورباتشوف إلى إطلاق الحركات الدينية والسياسية . وعمل تدريجياً على إنهاء سيطرة الدولة على الاقتصاد بهدف الانتقال إلى نظام السوق الحرة . إنها ترمي في النهاية إلى تخليص المجتمع الروسي من النتائج المأساوية التي خلفتها الشيوعية . انظر : م. غورباتشوف "الليروسترويكا والتفكير الجديد لأجل بلادنا وللعالم بأسره" ص ١٣ وما بعدها . ترجمة : زياد الملا . ط دار الشيخ - دمشق ، ١٩٨٨م . وانظر : فتحي يكن ومنى حداد " الليروسترويكا منظور إسلامي " ص ١١ وما بعدها . ط (٢) مؤسسة الرسالة - بيروت ، ١٤١٢هـ (١٩٩٢م) .

والقرى، كما فتحت العديد من المدارس لتعليم العربية والعلوم الشرعية ، وبدأت تنشأ مؤسسات وحركات اجتماعية وسياسية إسلامية العقيدة .^(١)

^(١) انظر : سعيد بينو " الشيشان والاستعمار الروسي " ص ١٨٢ . وانظر : مصطفى محمد الطحان "مستقبل الإسلام في القوقاز وبلاد ما وراء النهر" ص ٥٣ وما بعدها .

المبحث الرابع :

تفكك الاتحاد السوفيتي . وجهاد الشعب

الشيشاني من أجل الاستقلال .

ويشتمل على التالي :

أولاً : تفكك الاتحاد السوفيتي .

ثانياً : جهاد الشعب الشيشاني من أجل الاستقلال .

أولاً : تفكك الاتحاد السوفيتي :

(١) أحداث تفكك الاتحاد السوفيتي :

لقد ظهرت إرادة التغيير وإعادة البناء (اليوروسترويكا) لتقود الأحداث إلى تغيير سلمي ، لكنها ما لبثت أن انفرط عقدها نهائياً مع عام ١٤١٢هـ (١٩٩١م) وتلاشى المعسكر الشيوعي تماماً وتفككت منظومة الإمبراطورية السوفيتية ، وانفردت الولايات المتحدة الأمريكية بالسيطرة الدولية .

كان الاتحاد السوفيتي المنافس الأكبر للولايات المتحدة في مجالات التسليح التقليدي والنووي ، وإنتاج الآلات والمعدات الرئيسية والأساسية ، وغزو الفضاء بدءاً من غزو القمر من قبل رواد الفضاء عام ١٣٨٩هـ (١٩٦٩م)^(١) ، ثم استقطاب الدول الأضعف وإقامة القواعد العسكرية فيها من قبل القوتين المذكورتين ، ومحاربة مصالح من يلوذ بأحد الطرفين من قبل الطرف الآخر ، وظهور النزاعات المحلية والإقليمية التي يوجهها الطرفان عن طريق تأييد أحدهما لأحد الفريقين المتنازعين وتأييد الطرف الآخر للفريق الثاني . وغير ذلك من المجالات^(٢) .

ولقد كان يوصف الاتحاد السوفيتي في تلك الحقبة بكونه منافساً قوياً لأمريكا ، ويوصف جيشه بأنه من أقوى جيوش العالم ، وأنه القطب الثاني الذي يتحكم بمصائر الدول والشعوب .

(١) انظر : "الموسوعة العربية العالمية" ٣٣٢/١٨ .

(٢) انظر : د / حيدر غيبة " ماذا بعد إخفاق الرأسمالية والشيوعية " ٣٨١ ، ط٢ ، شركة المطبوعات ، بيروت ١٩٩٥م .

وقد بدأت معالم التصدع للاتحاد السوفيتي عندما انهار حلف وارسو^(١) واستقلت دوله عن موسكو ، وتوحدت ألمانيا بل وتحركت الجماهير ضد الشيوعية والشيوعيين ، وصارت هياكل لينين وماركس وإنجلز^(٢) ورفاقهم من القادة الشيوعيين أهدافاً لا ترضى الشعوب بغير تخطيطها لكونها رمزا للاستعباد والتخلف^(٣) .

وقد تزامن انسلاخ كتلة أوروبا الشرقية عن الفلك السوفيتي ، مع تطبيق سياسة إعادة البناء التي انتهجها الرئيس غورباتشوف . فلقد تسلم غورباتشوف مقاليد قيادة الحزب والدولة في جمادى الآخرة ١٤٠٦ هـ (مارس ١٩٨٥ م) ، وطرح مجموعة من الأفكار ، منها اقتصاد السوق وإعادة هيكلة الدولة وتغيير شكل الملكية . أما على الصعيد الخارجي فقد طرح فكرة البيت الأوروبي الموحد ، وتخفيض التسليح ومبدأ المصالحة في حل النزاعات العسكرية في البلدان النامية ، وخاصة البلدان التي سميت في حينه بلدان " التوجه الاشتراكي " .

(١) حلف وارسو : معاهدة تم بموجبها توحيد أقطار أوروبا الشرقية تحت قيادة عسكرية موحدة . تم التوقيع على المعاهدة في مايو ١٩٥٥م بوارسو من قبل كل من الاتحاد السوفيتي وألبانيا وبلغاريا وتشيكوسلوفاكيا وألمانيا الشرقية والمجر وبولندا ورومانيا . وقد وقعت هذه الدول على الحلف بعد أن كونت الدول الغربية حلف شمال الأطلسي . ولم توقع الصين على المعاهدة لكنها تعهدت بدعم الدول الأعضاء في الحلف، كما انسحبت ألبانيا من الحلف في ١٩٦٨م . انظر : " الموسوعة العربية العالمية " ١٤/٢٧ . وانظر : " الموسوعة العربية الميسرة " ١٧١٧/٢ تحت عنوان "معاهدة المعونة المتبادلة لشرقي أوروبا " .

(٢) إنجلز : فريدريك إنجلز (١٨٣٠ - ١٨٩٥م) عالم اجتماع ألماني ، صحفي وثنوي محترف ، اشتهر بتعاونه الوثيق مع ماركس . ساهم إنجلز مساهمة فعالة في صياغة النظرية الماركسية وأهم أسسها فيما يتعلق بالنظرية السياسية للحركة الماركسية . انظر : " الموسوعة العربية العالمية " ١٨٢/٣ . وانظر : " الموسوعة العربية الميسرة " ٢٣٧/١ .

(٣) انظر : مصطفى محمد الطحان " مستقبل الإسلام في القوقاز وبلاد ما وراء النهر " ص ٤٥ .

أصدرت الحكومة السوفيتية مجموعة من القوانين ، منها قانون الإيجار ، وقانون القطاع التعاوني ، وقانون الاستثمارات الأجنبية ، وسُمح لأول مرة للمواطنين بالمجارة وتبادل العملة . وكثف غورباتشوف زياراته الداخلية واللقاء المباشر مع الجماهير ، وعمل على تغيير أكثر من ٧٠% من قيادة الحزب وكوادره لصالح نهج البيروسترويكا . وقد ظهرت تنظيمات سياسية ، منها الحركة الديمقراطية الروسية وكانت مناهضة للحزب الشيوعي ، علماً بأن معظم قادة هذه الحركة وكوادرها هم أعضاء في الحزب الحاكم .

في عام ١٤٠٨هـ (١٩٨٧م) ظهر ما يسمى القطاع التعاوني الذي يعتبر من حيث الجوهر قطاعاً خاصاً لأن الظروف السياسية لم تكن تسمح لغورباتشوف بتبني فكرة القطاع الخاص رسمياً ، ويمكن اعتبار هذه الخطوة البداية الحقيقية لتفكيك الاقتصاد الاشتراكي السوفيتي الضعيف . خلال هذه الفترة ظهرت الشركات المحلية المختلفة وتركز نشاطها في مجال الاستيراد والتصدير والخدمات . وفي عام ١٤٠٥هـ (١٩٨٨م) بلغ عدد العاملين في القطاع التعاوني ٥٩ ألف شخص ، ثم زاد حتى بداية عام ١٤١٢هـ (١٩٩١م) إلى ٦,١ مليون شخص ، وبلغ عدد الشركات التعاونية ٢٩٠٠ شركة ثلثها في روسيا . وفي هذه الفترة تزايد الاستيراد بنسبة ثلاثة أضعاف التصدير ، وشملت الزيادة بشكل خاص السلع الغذائية والكهربائية .

تميزت هذه الفترة بحصول غورباتشوف على تأييد شعبي واسع بعد إطلاق الحرية الدينية والسياسية . كما تميزت بالتراجع الاقتصادي ، فقد توقفت بعض المصانع بحجة تجديدها فأدى ذلك إلى انخفاض الإنتاج وخصوصاً السلع الغذائية والدواء . وقد أضعف

هذا كله دور الحزب الشيوعي في قيادة الدولة والمجتمع ، وكانت تلك هي المرحلة الأولى من مراحل تفكك الاتحاد السوفيتي^(١) .

تعلت أصوات الشعوب المطالبة بحق تقرير مصير انتمائها للاتحاد السوفيتي ، فانفق غورباتشوف مع زعماء عشرة جمهوريات على توقيع معاهدة تقضي باستقلالها وتحررها عن موسكو في ١٠ صفر ١٤١٢هـ (٢٠ أغسطس ١٩٩١م) ، ولكن في يوم ٩ صفر (١٩ أغسطس) قام بعض زعماء الحزب الشيوعي بانقلاب ضد حكومة غورباتشوف ، وسجنوا غورباتشوف وعائلته في منزلهم المعد لقضاء العطلات . وعندها قام يلتسن - رئيس جمهورية روسيا - باتفاضة شعبية ضد الانقلاب الذي انهار في ١١ صفر (٢١ أغسطس) . وبعد الانقلاب استرد غورباتشوف منصب رئيس الاتحاد ولكنه استقال من رئاسة الحزب الشيوعي .

استمرت مطالبة الشعوب الحصول على سلطات واسعة لإدارة شؤونها الخاصة . وفي ربيع الأول ١٤١٢هـ (سبتمبر ١٩٩١م) أقام مجلس نواب الشعب حكومة انتقالية لتحكم حتى يوضع دستور جديد ومعاهدة اتحاد ، وتجري الموافقة عليهما . وضمت هذه الحكومة مجلس دولة يتكون من غورباتشوف وزعماء بعض الجمهوريات التي تشكل الاتحاد السوفيتي السابق .

^(١) انظر : د/ حيدر غيبة : ماذا بعد إخفاق الرأسمالية والشيوعية " ص ٣٨٢ ، وانظر : نجم عبد الحسين " روسيا : نظرة من الداخل " مجلة : " المستقبل العربي " الصادرة عن : مركز الدراسات الوحدة العربية ، ص ٤٥ ، ٤٦ العدد ٢٠٣ ، بتاريخ شهر ٩/١٤١٦هـ (١/١٩٩٦م) .

ثم في ٢ جمادى الآخرة ١٤١٢هـ (ديسمبر ١٩٩١م) ، أعلن يلتسن ورؤساء روسيا البيضاء^(١) وأوكرانيا^(٢) تشكيل كومنولث الدول المستقلة^(٣) وأعلن هؤلاء بأن الاتحاد السوفيتي لم يعد قائماً . ودعوا بقية الجمهوريات للانضمام إلى الكومنولث ، وتشكيل دول مستقلة مرتبطة بروابط اقتصادية ودفاعية . وانضمت إحدى عشرة جمهورية للكومنولث فيما لم تنضم جورجيا ودول البلطيق وهي : إستونيا ، ولاتفيا ، ولتوانيا .

(١) روسيا البيضاء : تسمى أيضاً بيلاروسيا . وهي دولة تقع شرقي أوروبا . كانت منذ عام ١٩٢٢م وحتى ١٩٩١م جزءاً من الاتحاد السوفيتي - السابق - . كانت تعرف باسم جمهورية روسيا البيضاء الاشتراكية السوفيتية ، ويطلق عليها اختصاراً روسيا البيضاء . عاصمتها مينسك ، وهي أكبر مدنها . انظر : " الموسوعة العربية العالمية " ١١ / ٣٧٨ . وانظر : " الموسوعة العربية الميسرة " ٤٧٢/١ .

(٢) أوكرانيا : قطر زراعي صناعي تعديني غني في جنوب شرق أوروبا ، ومنذ عام ١٩٣٠م حتى ١٩٩١م كانت أوكرانيا إحدى جمهوريات الاتحاد السوفيتي (السابق) . وفي أعقاب الاضطرابات التي زلزلت ذلك الاتحاد عام ١٩٩١م ، أعلنت أوكرانيا استقلالها . تبلغ مساحة أوكرانيا ٦٠٣,٧٠٠ كم ، وسكانها نحو ٥٢,٤٩٨,٠٠٠ نسمة ، حسب تقديرات عام ١٩٩٦م ، وأكبر مدنها العاصمة كييف . انظر : " الموسوعة العربية العالمية " ٤١٩/٣ . وانظر : " الموسوعة العربية الميسرة " ٢٦٨/١ .

(٣) كومنولث الدول المستقلة : رابطة تتكون من ١٢ دولة كانت تكون في السابق جمهوريات الاتحاد السوفيتي . وهذه الدول الأعضاء هي : أرمينيا ، وأذربيجان ، وروسيا البيضاء ، وكازاخستان ، وكيرجستان ، ومولدوفا ، وروسيا ، وطاجيكستان ، وتركمانستان ، وأوكرانيا . وأوزبكستان وعاصمة الرابطة هي مينسك . انظر : " الموسوعة العربية العالمية " ٢٨١/٢٠ .

واستولى يلتسن على ما تبقى من حكومة الاتحاد السوفيتي المركزية بما في ذلك الكرملين. وفي ١٩ جمادى الآخرة ١٤١٢هـ (٢٥ ديسمبر ١٩٩١م) ، استقال غورباتشوف من منصب الرئيس ، واختفى الاتحاد السوفيتي عن الوجود^(٤).

(٢) أسباب تفكك الاتحاد السوفيتي :

إن الناظر إلى الدعائم العقديّة الفكرية والعملية التطبيقية التي أقام عليها الاتحاد السوفيتي بنيانه ، يدرك - بما لا يقبل مجالا للشك - الأسباب المنطقية والطبيعية التي أدت إلى انهياره في جرف هار .

ونستطيع أن نستجلي أهم تلك الدعائم العقديّة الفكرية والعملية التطبيقية التي قام عليها الاتحاد السوفيتي بما يلي :

(أ) : قيام بنيانه على الإلحاد :

لقد قامت أركان الاتحاد السوفيتي السابق على إنكار وجود رب خالق لهذا الكون ، متصرف فيه ، يدير أمره بعلمه وحكمته ، ويجري أحداثه بإرادته وقدرته .

كما قامت أركان ذلك البنيان الهالك على اعتبار الكون أو مادته الأولى أزلية ، واعتبار تغيراته قد تمت بالمصادفة ، أو بمقتضى طبيعة المادة وقوانينها ، واعتبار ظاهرة الحياة وما تستتبع من شعور وفكر عند الإنسان، من أثر التطور الذاتي في المادة .

^(٤) انظر : " الموسوعة العربية العالمية " ١١/٣٧٥ ، ٣٧٦ ، وانظر : مصطفى الطحان " مستقبل الإسلام في القوقاز

وما وراء النهر " ص ٥٠ ، ٥١ .

فالشيوعية قائمة على منهج الإلحاد ، فمن مبادئ الحزب الشيوعي قولهم " لا إله والحياة مادة " . ولقد شرع زعماء روسيا الشيوعية في إنشاء الأجيال التي تعتق فكرتهم الإلحادية وتحيا بها وتعمل على نشرها . وكان الشباب الغض هو العنصر الذي يعتمد عليه الشيوعيون في إقامة فكرتهم ودولتهم^(١) .

يقول لينين - مؤسس الاتحاد السوفيتي السابق - " إن دعايتنا يجب أن تكون بالضرورة مشتملة على الدعاية للإلحاد . . " ^(١) .

ويقول أيضاً : " إن الله هو تاريخياً وشعبياً قبل كل شيء مجموعة من الأفكار ولدها غباء الإنسان المكبل بالأغلال . الإنسان المسحوق ، هذا الانسحاق الذي سببه محيطه والقمع الطبقي " ^(٢) .

(١) انظر : عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني " كواشف زيف في المذاهب الفكرية المعاصرة " ص ٤٣٣ ، وانظر : الندوة العالمية للشباب الإسلامي " الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة " ١٢٩/٢ .

(٢) لينين : " نصوص حول الموقف من الدين " ص ٨٧ .

(٣) المصدر السابق ، ص ١٣٣ .

(ب) : قيام الشيوعية على النظرة المادية ^(١) المجردة للكون والحياة :

لقد قام الفكر الشيوعي الإلحادي على أن أصل الوجود كله مادة لها طاقة . وهذه المادة عديمة الوعي والإرادة والتدير ، وليس وراءها عقل يدبرها ، ولا إرادة تهيمن عليها وتسيرها ، ولا قصد يوجه مسيرتها ، ولا علم يحيط بكل ذرة من ذراتها وكل حركة من حركاتها ، وليس لها علة من قبل عليم حكيم مرید قد أبدعها ، ونظم حركتها ، ووضع قوانينها ^(٢) .

ويزعم الماديون أن الحياة ظهرت في الكون المادي نتيجة المصادفة ، دون خطة سابقة من عليم حكيم ، ودون قضاء وقدر من مرید مختار ، ودون قدرة من خالق قدير . ويزعمون أن الحياة ثمرة تفاعلات المادة الناتجة عن حركتها الذاتية المستمرة ، فهي أثر تركيب خاص معقد للمادة .

وما زالوا يصرون على هذا الزعم ، مع أن القرار العلمي الذي اتفق عليه العلماء الشرقيون والغربيون الماديون ينص على أن العالم عاجز عن إيجاد أدنى صورة من صور الحياة بتخليقها من المادة التي لا حياة فيها ^(٣) .

^(١) المادية : هي النزعة القائلة بأن كل ما هو موجود مادي أو يعتمد كلية في وجوده على المادة ، بزعم أنها الحقيقة الوحيدة القادرة على تفسير الحياة والسلوك وتطورهما ، وبالتالي فإن المفهوم المادي للكائنات الإنسانية والمخلوقات الحية هي أنها ليست كائنات ثنائية مركبة من جسم مادي وروح لا مادية ، وإنما هي جسمية في طبيعتها تتكون من جزئيات لا تقبل القسمة أو الفناء . انظر : " الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة " ١١٤٧/٢ . وانظر : " الموسوعة العربية العالمية " ٤٧/٢٢ .

^(٢) انظر : عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني " كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة " ص ٥١٣ .

^(٣) انظر : المرجع السابق .

وقد أنفق الاتحاد السوفيتي خلال ما يزيد عن ستين عاماً من الشيوعية ، ستين ملياراً على مخابر علوم الحياة ، ليثبتوا ادعاء العقيدة الماركسية بأن الحياة ما هي إلا تفاعل كيمائى ، فباءوا بالخيبة . وصدر قرارهم العلمى فى سنة ١٤١٧هـ (١٩٩٦م) الذى قدم إلى القيادة السوفيتية ، وقد تضمن ما يلى : " ليس للعلم قدرة أن يثبت أن الحياة نتيجة تفاعل كيمائى . ولا نستطيع أن نوجد الحياة فى الأشياء الحية من إنسان وحيوان ونبات إلا بالخلايا التى لا نستطيع أن نوجد لها .. "

وابتهج بهذا القرار السوفى علماء مخابر علوم الحياة فى أمريكا ، فدعوا العلماء الروس إلى أمريكا وعقد الفريقان اجتماعاً نتج عنه إصدار بيان مشترك جاء فيه :

" العلم عاجز عن إيجاد الحياة ، وعاجز عن أن يعرف إلا بعض مظاهر المادة " ^(١) .

لقد تعلق الشيوعيون الماديون بذيول المادة ، واندفعوا وراء الوهم الخادع الذى سيطر على مشاعرهم ، وعلقوا أنفسهم بسراب المادة ، وصبروا على ظمأ أفكارهم وقلوبهم الشديد الذى جعلهم لا يرون إلا سراب المادة .

إنهم اتجهوا هذا الاتجاه الناقص الباطل عقلياً وعلمياً ، ليفروا من الاعتراف بالحقيقة الكبرى وهى وجود الله عز وجل ، وذلك لئلا يلتزموا بتبعات هذا الاعتراف ^(٢) .

^(١) انظر : عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني " كواشف زيوف فى المذاهب الفكرية المعاصرة " ص ٥١٣ .

^(٢) انظر : المرجع السابق ، ص ٥١٤ ، ٥١٥ .

ثالثاً : محاربة الأديان عموماً ، والإسلام على وجه الخصوص :

من المفاهيم الأساسية للنظرية الماركسية التي قام عليها الاتحاد السوفيتي السابق أنها تقوم على الإلحاد المطلق - كما أسلفنا - . الإلحاد الذي لا يعترف بالمعاني الروحية ، ولا يقيم وزناً لحقيقة الألوهية ، وعلى هذا الأساس فإن الماركسية - كما وصفها لينين - مادية بلا جدال ، ملحدة ومناهضة بإصرار لجميع الأديان . ومن أشد ما نظقت به أفواه الشيوعيين وأقلامهم من حيث صوغ العبارات المنمقة في حرب الدين هو قولهم بأن " الدين أفيون الشعوب " وذلك قول مأثور عن ماركس وأتباعه من بعده^(١) .

وفي الحرب المعلنة على الدين من قبل الماركسيين جمعياً يقول لينين " الماركسية هي المادية وبصفتها تلك فهي معادية للدين معاداة لا رحمة فيها " ^(٢) .

وإنكار الشيوعية للدين يكبر وبصغر بمقدار تدخل الدين في المجتمع . فإذا كان الدين يكتفي مثلاً بالجانب العبادي والأخلاقي ، فإن الشيوعيون - مع كفرهم به - يرونه عدواً محدود الخطر . أما إذا تدخل في المعاملات العامة والخاصة واستكثر من الشرائع التي تضبط المجتمع على نحو معين ، وتسوقه إلى وجهة بئنة ، فإن العداوة هنا تمتد وتشتد .

لذلك لا تطبق الشيوعية الإسلام لأنه مع شبهه للأديان الأخرى في الاعتراف بالألوهية واحترام الوحي ، يمتاز بهيمته على أزمة الحياة النفسية والاجتماعية ، مع مزجه التام بين أحوال القلب وأحوال الدولة ^(٣) .

(١) انظر : د/ أمير عبدالعزيز " النظرة الماركسية في ميزان الإسلام " ص ١٠١ .

(٢) لينين : " نصوص حول الموقف من الدين " ص ٢٥ .

(٣) انظر : الشيخ محمد الغزالي " الإسلام في وجه الزحف الأحمر " ص ٢٥ . مكتبة الأمل - الكويت ، بدون تاريخ طبع .

رابعاً : قيام بنيانه الاجتماعي على ضرب أركان الأسرة وشيوع الرذيلة والانحلال :

الأسرة في نظر الإسلام محضن تطرد به مواعب الحياة باسم الله ، وعلى هداه . إنه لا نزاع في وجود الشهوة لدى الجنسين ، بيد أن لقاء الرجل بامرأته - وهو اللقاء الوحيد الذي يقبله الدين - لا يتم إلا بعقد تستحل فيه الفروج بكلمة الله وإذنه . .

فإذا تكونت الأسرة على هذا الأساس القذ ، تعاون أفرادها من بعد على طاعة الله وإرضائه ، وكان من الطبيعي أن ينشأ الأولاد على دين أبويهم ، وأن يقيموا شعائر الدين منذ نعومة أظفارهم . . والشيوعية ترفض هذين الأمرين معاً ، في قيام الأسرة وفي وظيفتها .

ومع إنكار وجود الله وفقد نظام الأسرة دعائمه ، يصبح الزنا عملة رائجة ، وتصبح تربية الأولاد مهمة حقيرة وتافهة .

ودعاة الشيوعية كانوا حريصين أشد الحرص على زلزلة كيان البيت ، وعلى تنمية العلاقات الآتمة بين الذكور والإناث^(١) .

ولقد عملت السلطات السوفيتية جاهدة للقضاء على كيان الأسرة المسلمة ذات السلطة الأبوية ، كما عملت على تطوير هذه الأسرة - بزعمهم - لجعلها أسرة زوجية ضيقة وصغيرة لكي يسهل دمجها في المجتمع الروسي السوفيتي .

(١) انظر : الشيخ محمد الغزالي "الإسلام في وجه الزحف الأحمر" ، ص ٣٥ .

وبفضل هذه الجهود ظهر مجتمع جديد قائم على المساواة التامة بين الجنسين ، ومبني على أسرة فردية ذات زوجة واحدة ، وعلى إنسان جديد متحرر من أثقال التقاليد الدينية - بزعمهم - قادر على مساهمة رفاقه الروس في بناء الاشتراكية ^(١).

خامساً : حصر أسباب التغير في الجانب الاقتصادي المادي :

يرى الماركسيون أن الأسباب الرئيسة للمتغيرات السياسية والاجتماعية تقوم على عوامل الاقتصاد ووسائل الإنتاج ، لما لها من تأثير كبير على الظروف والبيئات والأوضاع والأحوال.

وفي الحقيقة لا يمكن إنكار تأثير عوامل الاقتصاد ووسائل الإنتاج على النواحي السياسية والاجتماعية ، لكن لا ينبغي أن نسقط معها تماماً مكانة العوامل والمؤثرات الأخرى ، لاسيما المؤثرات الفكرية والعقدية والروحية . وهي في الحقيقة عوامل بالغة الأهمية لكونها ذات فعالية كبيرة في تحريك العقل والوجدان البشري .

لقد كان للماركسيين تصوراتهم المفرطة والمتهورة في جعل العامل الاقتصادي هو أساس التغير بينما تجاهلوا العوامل المهمة الأخرى ، وهذا يدل على عدم الاتزان أو الاعتدال في التفكير . فكيف يتأتى لهم هذا الفهم ، وللعقيدة أهميتها الكبرى وتأثيرها الشامل في عملية التغير، بل هي تأتي في طليعة العوامل المؤثرة في عملية التغير ^(٢).

(١) انظر : تعريب د/ إحسان حقي " المسلمون في الاتحاد السوفيتي " ص ٢٩١ .

(٢) انظر : د/ أمير عبد العزيز " النظرية الماركسية في ميزان الإسلام " ص ٦٨ - ٦٩ .

ومن أقرب الأمثلة الواضحة على ذلك قيام المجتمع الإسلامي الأول على دعائم العقيدة والفكر، وعلى أسس من معاني الوعي الروحي الممزوجة في صميم عقل ووجدان الإنسان المؤمن .

فلم يقيم المجتمع الإسلامي الأول على أي من أسس الاقتصاد وعوامل الإنتاج ، ومن يتطلع ويتأمل حياة المصلحين والدعاة الأوائل من المسلمين يتعجب كيف أثر هؤلاء حياة الحرمان والكفاف من أجل إقامة دولة العدل في أرجاء البسيطة . ولم يكن يدفعهم إلى ذلك حوائج الاقتصاد أو الإنتاج وإنما تحركوا بدافع الفكر والعقيدة والمشاعر الروحية التي تحفز المرء لخوض عباب المخاطر لا يهاب الردى دفاعاً عن قيم أو حفاظاً على كرامة أو وطن^(١) .

سادساً : قيام بنيانه السياسي على الحكم الاستبدادي والقمع وقتل الحريات :

خلفاً للشعارات السابقة التي أطلقها في بداية الثورة عن الديمقراطية سمي لينين نظامه " دكتاتورية البروليتاريا " التي عرفها بأنها " تعني بأن طبقة معينة فقط ، وهي طبقة العمال الصناعيين ، قادرة على حكم جماهير الدولة بأكملها . إن الدكاتورية كلمة كبيرة . . والكلمات الكبيرة مثل هذه ليست مجرد ألفاظ جوفاء تلتقط من الهواء . الدكاتورية هي حكومة حديدية وصلبة ، ثورية وجريئة ، حاسمة بدون شفقة " ^(٢) .

^(١) انظر : د/ أمير عبد العزيز " النظرية الماركسية في ميزان الإسلام " ص ٧٠ - ٧٢ .

^(٢) انظر : سعيد بينو " الشيشان والاستعمار الروسي " ص ١٣٧ . نقلاً عن A.Avtorkhanov .

"The Communist Party Appartus"، سنة النشر : ١٩٥٦ م . بدون ذكر الصفحة .

وما لبثت أن تحولت دكتاتورية الطبقة العاملة إلى دكتاتورية الحزب وقادته ، وفي ظل دكتاتورية الحزب وقادته لم يعد لنصوص استقلال القضاء معنى ، ولم يعد هناك فصل حقيقي بين سلطات البوليس والتحقيق والمحاكم .

يقول ميلوفان دجيلاس (نائب رئيس جمهورية يوغسلافيا سابقاً) في كتابه "الطبقة الجديدة" : " لقد أصبح من المستحيل عملياً الفصل بين سلطة البوليس والسلطة القضائية . إن الذين يقومون بالاعتقال هم الذين يحققون ويحاكمون ، وهم الذين ينفذون العقوبات ! فالسلطات التنفيذية والتشريعية والقضائية مع أجهزة الاعتقال والتحقيق والمحكمة وتنفيذ العقوبات تشكل جميعها مجموعة واحدة " .

ويقول : " كان ستالين يمارس الأحكام بواسطة التعذيب بدون محاكم . وحتى في الحالات التي كان يتم إحالتها إلى المحاكم بدون تعذيب فالنتيجة تكون واحدة . إذ إن الشيوعيين يُصفون حساباتهم مع معارضيتهم ليس على أساس أن يكون هؤلاء المعارضين قد اقترفوا جرائم بل لمجرد كونهم معارضين " ^(١) .

وفي خطابه السري في المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي الذي عقد عام ١٣٧٥هـ (١٩٥٦م) يقول خروتشوف : " لقد أصبح واضحاً بأن العديد من النشيطين في المجالات الحزبية والاقتصادية ومجالس السوفييت الذين وصموا خلال عامي ١٣٥٦ - ١٣٥٧ هـ (١٩٣٧ - ١٩٣٨م) بالأعداء لم يكونوا أعداء أو مخربين أو جواسيس مطلقاً ، بل كانوا شيوعيين مخلصين ألصقت بهم مثل هذه التهم ، وأصبحوا لا طاقة لهم على احتمال

^(١) انظر : سعيد بينو " الشيشان والاستعمار الروسي ١٨٥٩ - ١٩٩١م " ص ١٣٨ - ١٣٩ .

التعذيب الوحشي الذي تعرضوا له ، فقاموا ببناء على أوامر قضاة التحقيق الذين يُزَوِّرون الوقائع بإدانة أنفسهم بمختلف أنواع الجرائم الخطيرة التي لم يكن لها أساس من الواقع ^(١) .

فإذا كان هذا شأنهم مع الرفاق الملاحدة فكيف هو الحال مع المؤمنين الموحدين ؟! لقد سحق الملايين منهم بلا رحمة . وهذه نماذج موجزة لبعض صور القمع والإرهاب البشع الذي مارسه الشيوعية السوفيتية بحق المسلمين :

(أ) قتل الشيوعيون في تركستان الغربية ^(٢) وحدها عام ١٣٥٢هـ (١٩٣٤م) نحو مائة ألف مسلم من أعضاء الحكومة المحلية حينئذ والعلماء والمتقنين والتجار والمزارعين ^(٣) .

(ب) في الفترة من عام ١٣٥٥ إلى ١٣٥٧هـ (١٩٣٧ - ١٩٣٨م) ألقت روسيا القبض على نحو ٥٠٠,٠٠٠ (خمسمائة ألف) مسلم من مختلف الجمهوريات ، ثم أعدمت فريقاً وأرسلت فريقاً آخر إلى مجاهل سيبيريا ^(٤) .

^(١) انظر : سعيد بنو " الشيشان والاستعمار الروسي " ص ١٣٩ . قلاً عن " Brow & Company الناشر Rememberrrs Khnushcher . سنة الطبع : ١٩٧٠ بدون ذكر رقم الصفحة .

^(٢) تركستان الغربية : منطقة جغرافية واسعة تقع في آسيا . تمتد من سيبيريا شمالاً إلى إيران وباكستان والهند والتبت جنوباً . وتقع الصحراء المنغولية إلى الشرق منها بينما يقع بحر قزوين إلى الغرب ، وهي حالياً تضم جمهوريات أوزبكستان وكازاخستان وقرغيزستان وتركمانستان وطاجيكستان . انظر : " الموسوعة العربية العالمية " ٢٢٨/٦ . وانظر : " الموسوعة العربية الميسرة " ٥٠٥/١ .

^(٣) انظر : عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني " الكيد الأحمر " ص ٢٥٨ ، ط (٣) دار القلم - دمشق ، ١٤١٢هـ (١٩٩١م) . وانظر : د / محمد علي البار " المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ " ٦٩/١ .

^(٤) انظر : عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني " الكيد الأحمر " ص ٢٥٩ .

(ج) أبادوا في القرم عام ١٣٤٠هـ (١٩٢١م) ما يزيد عن مائة ألف مسلم بالجوع ، وأرغموا خمسين ألف مسلم آخرين على الهجرة ^(١) .

(د) نقوا شعوباً مسلمة بكاملها إلى مجاهل سيبيريا ، ومن أولئك الشعب الشيشاني والشعب الأنغوشي وشعب القرم وشعب القرشاي وشعب البلغار وغيرهم ، وذلك في عام ١٣٦٥هـ (١٩٤٦م) وقد مات مئات الآلاف منهم في الطريق حيث البرد الشديد والجوع والمرض ^(٢) .

(هـ) هرب من جحيم قتلهم وسفكهم للدماء ملايين المسلمين جماعات وأفراد في القرم وبلاد الشركس والداغستان وأذربيجان وتركستان وترستان وغيرها . ففي تركستان وحدها هرب ما يزيد مليونين ونصف منذ عام ١٣٣٧هـ (١٩١٩م) ، لقي مئات الآلاف منهم حتفهم في الطريق ^(٣) .

(و) في الفترة من عام ١٣٥٠ إلى ١٣٥٢هـ (١٩٣٢ - ١٩٣٤م) مات ثلاثة ملايين تركستاني جوعاً نتيجة استيلاء الروس على محاصيل البلاد ، وتقديمها إلى الصينيين الذين أدخلوهم إلى تركستان ^(٤) .

^(١) انظر : د/ محمد علي البار " المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ " ٦٨/١ ، وانظر : عبدالرحمن حسن الميداني " الكيد الأحمر " ص ٢٥٩ .

^(٢) انظر : روبرت كونيكوست " قتلة الأمم " ص ٨٧ وما بعدها . وانظر : عبدالرحمن حسن الميداني " الكيد الأحمر " ص ٢٥٩ .

^(٣) انظر : عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني " الكيد الأحمر " ص ٢٥٩ .

^(٤) انظر : المرجع السابق ، ص ٢٥٩ .

(ز) هذه نماذج وأمثلة في مجال القتل الجماعي أما أمثلة القمع ومصادرة الحرية الدينية فنورد منها ما يلي :

(١) إغلاق عشرات الآلاف من المساجد والمدارس الإسلامية التي تزدهر بها بلاد المسلمين .

(٢) منع المسلمين من ممارسة شعائر الإسلام كالصلاة والصيام والحج .

(٣) إحراق المصاحف والكتب الإسلامية وإيقاع أشد العقوبة على من يتداولها .

(٤) منع إقامة أية علاقات مع المسلمين خارج الاتحاد السوفيتي .

(٥) شن حملات إعلامية في كل وسائل الإعلام ضد الدين الإسلامي والاستهزاء بشعائره وأركانه .

(٦) إيقاع أشد العقوبة على من يقوم بتعليم القرآن الكريم أو اللغة العربية أو أحكام الإسلام^(١) .

^(١) انظر تفصيل ذلك في : محمود عبد الرحمن " تاريخ القوقاز .. " ص ٩١ وما بعدها . وكذلك : د/ محمد علي

البار " المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ " ٢٥/١ وما بعدها ، وكذلك ٦٨/١ وما بعدها .

ثانياً: جهاد الشعب الشيشاني من أجل الاستقلال .

لقد خاضت شعوب شمال القوقاز المسلمة تجربة مستقلة في الجهاد في سبيل الله تعالى ومقارعة الاستعمار الروسي القيصري ، ثم الاستعمار الشيوعي، ومن بعده الاستعمار الروسي الحديث . فكانت ثورة الشيخ شامل أعوام ١٢٤٨ إلى ١٢٧٦ هـ (١٨٣٢ - ١٨٥٩م) ، وكانت ثورة القائد جوهر دودايف^(١) أعوام ١٤١٥ إلى ١٤١٧ هـ (١٩٩٤ - ١٩٩٦م)، وكان ما بين الثورتين نسيج متصل من الجهاد الذي لم يعرف الضعف ولا الاستسلام، على الرغم من قسوة الاستعمار الروسي وشدة بطشه التي لم ينافسها إلا ما عرقتة الشعوب العربية والإسلامية من أساليب التكيل والبطش التي مارسها الاستعمار الغربي في مغرب الوطن العربي ومشرقه سواء بسواء .

(١) القائد جوهر دودايف : هو أول رئيس منتخب لجمهورية الشيشان بعد قرار استقلالها عن روسيا . ولد الرئيس جوهر دودايف في ربيع الآخرة ١٣٦٣ هـ (إبريل ١٩٤٤م) في الشيشان، وبعد ولادته بشهر واحد هجر مع شعبه إلى سيبيريا . انتسب إلى الأكاديمية العسكرية عام ١٣٩٤ هـ (١٩٧٤م) ثم إلى الحزب الشيوعي . وبعد تخرجه من كلية "غاغارين" للنخبة العسكرية أصبح أول جنرال شيشاني في الجيش السوفيتي . ثم أصبح رئيساً لوحدة القصف الاستراتيجي . عاد إلى وطنه في رجب ١٤١١ هـ (يناير ١٩٩١م) وكان من أشد المطالبين باستقلال بلاده . انتخب رئيساً للمؤتمر القومي الشيشاني العام ، ثم انتخب رئيساً لجمهورية بلاده في انتخابات حرة أشرف عليها مراقبون دوليون في ربيع الأول ١٤١٢ هـ (أكتوبر ١٩٩١م) . قاد بلاده بحكمة وشجاعة نادرة عندما غزاها الروس . ثم لقي ربه بعد عملية غادرة نفذها الروس في ٤ ذي الحجة ١٤١٦ هـ (٢١/٤/١٩٩٦م) . كان - رحمه الله - محافظاً على الصلاة حرصاً على قراءة القرآن ، وقد عمل على أسلمة القوانين في بلاده . انظر : محمود عبد الرحمن "تاريخ القوقاز . " ص ١٣٧ وما بعدها . وذكره بعض من التقاهم الباحث .

وتأتي أهمية جهاد الشعب الشيشاني لنيل الاستقلال بعد تفكك الاتحاد السوفيتي السابق لكونه قد ترك آثاراً واضحة بالغة الأهمية على مسيرة الدعوة الإسلامية المعاصرة في منطقة شمال شرق القوقاز، بل لقد ترك آثاراً واضحة على مجمل الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في الإقليم وفي روسيا ذاتها^(١).

• أهداف الغزو الروسي :

من أهم الأسباب التي من أجلها أقدمت روسيا على غزو الشيشان ما يلي:

(١) محاولة إظهار روسيا أنها مازالت دولة عظمى تحكم شعوبها، فعقلية الاستعمار ونهب الثروات مازالت تسيطر على القادة الروس رغم ادعاءات الانفتاح والتوجه الديمقراطي واحترام حقوق الإنسان^(٢).

(٢) الخوف من أن تكون الشيشان قدوة لغيرها من الأقطار المستعمرة - لاسيما المسلمة - في الانفصال عن روسيا. وبغض النظر عن نتيجة الغزو الروسي للشيشان، فإن كثيراً من المحللين يتفقون على أن الاتحاد الروسي الحالي يتصف بجميع سلبيات العهدين القيصري ثم الشيوعي، لذا فإن عمر هذا

(١) انظر تفصيل ذلك : محمود عبد الرحمن "تاريخ القوقاز.. " ص ١٩٨ وما بعدها، وكذلك: د/ فهد العصيمي "مأساة إخواننا المسلمين في الشيشان" ص ١٢٦ - ١٢٧، ط الندوة العالمية للشباب الإسلامي - الرياض، من غير ذكر سنة الطبع.

(٢) انظر : جمال الحوشي " الشيشان صقور الجبال البيضاء" ص ٩٧، وانظر : سعيد بنو "الشيشان والاستعمار الروسي" ص ٢٩٢.

الاتحاد القسري المفروض على الشعوب سيكون أقصر من عمر العهدين السابقين - والله أعلم - ^(١).

(٣) الموقع الجغرافي للشيشان ، وكونها ملتقى الطرق والسكك الحديد وخطوط البترول والغاز والطاقة الكهربائية الرئيسة في شمال القوقاز، وتواجد مرافق استخراج وتصفية النفط فيها ^(٢).

(٤) طمع روسيا في استغلال مصادر النفط الغنية والواعدة في منطقة بحر قزوين، وتنفيذ مرور خطوط تصدير النفط عبر روسيا مروراً بالشيشان بدلاً من مرورها عبر أذربيجان وجورجيا وأرمينيا إلى تركيا ^(٣).

(٥) رغبة الرئيس الروسي يلتسن في أن يظهر بصورة الرئيس الحازم المتمسك بوحدة روسيا قبل إجراء الانتخابات الرئاسية ^(٤).

(٦) محاولة القيادة الروسية صرف أنظار الشعب عن الفشل الذريع في الإصلاح الاقتصادي، ومحاولة التغطية على الفساد المستشري في أجهزة الدولة ^(٥).

(١) انظر: المرجع السابق، وانظر: محمود عبد الرحمن "تاريخ القوقاز .." ص ١٥٣ .

(٢) انظر: سعيد بينو "الشيشان والاستعمار الروسي" ص ٢٩٢ .

(٣) انظر: محمود عبد الرحمن "تاريخ القوقاز .." ص ١٥٤ ، وانظر: سعيد بينو "الشيشان والاستعمار الروسي" ص

٢٩٢ .

(٤) انظر: سعيد بينو "الشيشان والاستعمار الروسي" ص ٢٩٣ .

(٥) انظر: جمال الحوشي "الشيشان صقور الجبال البيضاء" ص ٩٩ ، وانظر: محمود عبد الرحمن "تاريخ القوقاز

.. " ص ١٥٤ .

(٧) رغبة روسيا والغرب الجائحة في ضرب الصحوه الإسلامية المتنامية في الشيشان ، وقد صرح قادة الروس بذلك في أكثر من مناسبة . فالحرب أصبحت ضد الهوية الإسلامية ذاتها ، لذا لم يكن مستغرباً رفض الروس الصليبيين كل دعوة قبل الحرب من قبل الشيشان للحوار وحل الأزمة بما يرضي الطرفين ^(١) .

* الأسباب المعلنة للغزو الروسي وتفنيدها :

إن أهم أسباب الغزو المعلنة من قبل السلطات الروسية ما يلي:

(١) الادعاء بأن الجمهورية الشيشانية جزء من الاتحاد الروسي ، وأنها تمردت وأعلنت الانفصال من طرف واحد، من غير اعتبار الاجراءات القانونية المناسبة . وعليه فإن من واجب السلطات الروسية أن تحافظ على وحدة أراضي روسيا .

وهذا الإدعاء مخالف للواقع، إذ إن إعلان استقلال جمهورية الشيشان قد تم بناء على قرارات المؤتمر الوطني للشعب الشيشاني ومصادقة برلمان الجمهورية . في حين أن انفصال جمهورية روسيا الاتحادية عن الاتحاد السوفيتي السابق كان بقرار فردي من الرئيس يلتسن، بدون إجراء استفتاء أو مؤتمر وطني أو مصادقة من برلمان الجمهورية ^(٢) .

(١) انظر : د/ فهد العصيمي "مأساة إخواننا المسلمين في الشيشان" ص ١٠٣ - ١٠٤ ، وانظر : جمال الحوشي

"الشيشان صقور الجبال البيضاء" ص ١٠٠ .

(٢) انظر : سعيد بنو "الشيشان والاستعمار الروسي" ص ٢٩٣ .

(٢) الادعاء بأن الجمهورية الشيشانية هي جزء من الاتحاد الروسي .

وهذا الادعاء مخالف للواقع أيضاً . فالشيشان كانت جمهورية مستقلة ذات سيادة منذ تاريخ ١٠ جمادى الأولى ١٤١١ هـ (١٩٩٠/١١/٢٧ م) . وعندما تفكك الاتحاد السوفيتي في ١٤١٢ هـ (١٩٩١ م) لم تكن الجمهورية الشيشانية قانونياً ولا عملياً جزءاً من الاتحاد السوفيتي السابق، ولا جزءاً من جمهورية روسيا السوفيتية الاتحادية السابقة . كما أن جمهورية الشيشان رفضت الانضمام إلى جمهورية روسيا الاتحادية التي تشكلت في وقت لاحق بتاريخ ١٠ شعبان ١٤١٢ هـ (١٩٩٢/٢/١٣ م) وبناء على ذلك فإن جمهورية الشيشان لم تكن في يوم من الأيام جزءاً من جمهورية روسيا الاتحادية ^(١) .

(٣) الادعاء بأن القضية الشيشانية شأن داخلي لروسيا، ولا يحق لدول خارجية التدخل فيه .

وهذا الادعاء مخالف للواقع أيضاً، حيث إن الغزو الروسي يمثل - بموجب المواثيق والأعراف الدولية - غزواً واحتلالاً عسكرياً لدولة مستقلة ذات سيادة ، ومن واجب المجتمع الدولي استنكاره ^(٢) .

(٤) الادعاء بأن السلطة في الشيشان غير شرعية ، وصلت إلى الحكم بطريقة غير دستورية .

والواقع أن السلطة في جمهورية الشيشان تمثل إرادة الشعب، وقد تم اختيارها في انتخابات حرة جرت بوجود مراقبين دوليين ، ولم يطقن أحد بإجرائاتها ^(٣) .

(١) انظر : سعيد بنو "الشيشان والاستعمار الروسي" ص ٢٩٣ .

(٢) انظر: سعيد بنو المرجع السابق ص ٢٩٣ .

(٣) انظر : محمود عبد الرحمن "تاريخ القوقاز . . " ص ١٣٩ ، وانظر: سعيد بنو "الشيشان والاستعمار الروسي" ص

(٥) الادعاء بأن المجاهدين الشيشان ما هم إلا عصابات متمرّدة ، خارجة على القانون، تنشر الإرهاب والفوضى في الشيشان . وأن من واجب السلطة المركزية في موسكو تخليص سكان الشيشان منهم.

وهذا الادعاء مضحك! إذ لو صح أن أبناء البلد المجاهدين ما هم إلا عصابات متمرّدة ، فماذا يكون مستوى جيش يعتبر من أكبر جيوش العالم عدداً وعدة، مسلح بأحدث الأسلحة وأكثرها تدميراً ، تلحق به هذه العصابات هزائم مهينة؟^(١)

• الأوضاع في الشيشان وفي روسيا قبيل الحرب :

لقد كانت إرادة التصدي للعدوان والاستعداد للجهاد تجري على قدم وساق في الشيشان عشية الحرب الظالمة ، فقد كان الرئيس جوهر دودايف يدرك جيداً أن يلتسن سيشن الحرب على بلاده بعد أن فرض عليها حصاراً اقتصادياً شاملاً لمدة ثلاث سنوات. وكان يدرك أيضاً أن هجوم المعارضة المدعومة مادياً وعسكرياً من موسكو في شهر جمادى الآخرة ١٤١٥هـ (نوفمبر ١٩٩٤م) ما هو إلا مقدمة للحملة العسكرية الروسية . ولذلك كان جوهر يستعد للحرب، فقد سلح قواته المؤلفة من ١٥ ألف مجاهد، ورحل النساء والأطفال والشيخ بعيداً عن العاصمة إلى الجبال ، وشكل الكتيبة الإسلامية ليتدفق إليها من شاء من المتطوعين المسلمين من جمهوريات القوقاز الأخرى^(٢).

(١) انظر : محمود عبد الرحمن " تاريخ القوقاز .. " ص ١٣٩ ، وانظر: سعيد بنو " الشيشان والاستعمار الروسي "

ص ٢٩٤ .

(٢) انظر : محمود عبد الرحمن " تاريخ القوقاز .. " ص ١٥٥ .

أما في روسيا التي كانت تعاني أزمة اقتصادية خاقة فقد كان الغرور وداء العظمة يسيطر على قادة الحرب من جنرالات الروس. فقد أكد وزير الدفاع الروسي الجنرال بافل غراتشوف لرئيسه يلتسن أن فرقتين من قوات المظلات الروسية تستطيع أن تنهي الوضع في الشيشان، وتستولي على العاصمة غروزني في ساعتين فقط. وهكذا أمر يلتسن ٤٠ ألف جندي روسي بالزحف على الشيشان ومعهم أحدث الأسلحة الثقيلة، وشاء الله تعالى أن تكون مقبرة كثير منهم العاصمة غروزني^(١).

• الممارسات الروسية في الحرب :

مارست روسيا في عزوها للشيشان أساليب مخالفة للأعراف الدولية ومن ذلك ما يلي:-

(١) اتبعت روسيا سياسة الأرض المحروقة. واستعملت مختلف أسلحة الدمار - بما فيها الأسلحة المحظورة دولياً - في قصف صاروخي ومدفعي وجوي لأهداف ومرافق مدنية وأحياء سكنية ضد مواطنين مدنيين عزل .

(٢) خرقت روسيا المواثيق الدولية بمنع بعض هيئات وجمعيات الإغاثة الدولية من إيصال المعونات أو تقديم العلاج للمدنيين^(٢).

(١) انظر: د/ فهد العصيمي "مأساة إخواننا المسلمين في الشيشان" ص ١٠٤ .

وانظر: محمود عبد الرحمن "تاريخ القوقاز..." ص ١٥٧ .

(٢) انظر: سعيد بينو "الشيشان والاستعمار الروسي" ص ٢٩٧ .

- (٣) اقتربت روسيا مجازر جماعية متعددة في قرى مسالمة كانت تحت سيطرة القوات الروسية مثل مجزرة قرية سيماشكا التي قتل فيها حوالي ٣٠٠ من الأطفال والنساء والشيخوخ الذين لم يكن بينهم محارب واحد . ولم تقم السلطات الروسية بالتحقيق في هذه المجزرة أو محاكمة المسؤولين عنها^(١) .
- (٤) اعتقال وتعذيب واغتيال المدنيين الشيشان، وإقامة معسكرات خاصة لهذه الغاية ، حيث كان أكبرها في مدينة موزدوك في إقليم ستافروبل الروسي . يقول أحد الصحفيين الروس بأن ألفين من المدنيين الشيشان الذين اعتقلتهم القوات الروسية اختفوا^(٢) .

(١) انظر: د/ فهد العصيمي "مأساة إخواننا المسلمين في الشيشان" ص ٨٣ - ٨٤ .

(٢) انظر : سعيد بيتو "الشيشان والاستعمار الروسي" ص ٢٩٨ .

تسلسل الأحداث^(١):

إن تسلسل أهم الأحداث في الشيشان خلال تلك المرحلة الهامة من الصراع مع موسكو يتلخص في التالي :

- في شهر ربيع الأول ١٤١٢هـ (أكتوبر ١٩٩١هـ): جوهر دودايف - الجنرال السابق في سلاح الجو السوفيتي - يفوز بانتخابات الرئاسة في جمهورية الشيشان ويعلن استقلال الجمهورية .

- في ربيع الآخر ١٤١٢هـ (نوفمبر ١٩٩١م) : الرئيس يلتسن يعلن حالة الطوارئ في الشيشان ويرسل قواته إلى غروزني، إلا أن هذه القوات تنسحب بعد ثلاثة أيام بدون قتال .

- في جمادى الآخرة ١٤١٥هـ (نوفمبر ١٩٩٤م) تقوم جماعات شيشانية معارضة مدعومة من روسيا بمهاجمة غروزني، إلا أنها تندحر ويأسر الشيشان عدداً من الجنود الروس النظاميين الذين اشتركوا في هذه العملية .

- في يوم ٤/٧/١٤١٥هـ (٦/١٢/١٩٩٤م): اجتماع الرئيس الشيشاني جوهر دودايف مع وزير الدفاع الروسي غراتشيف في مدينة نزران في أنغوشيا ويتعهدان بحل الأزمة سلمياً بدون قتال.

(١) المصدر : سعيد بينو "الشيشان والاستعمار الروسي" ص ٣٠٥ - ٣٠٨ . وكذلك: محمود عبد الرحمن " تاريخ القوقاز . . " ص ٢٣٥ - ٢٤٩ . وكذلك : إيمان السليمان "عزة الإسلام في جهاد الشيشان" ص ٣٦ وما بعدها، ط (١) الرياض ١٤٢١هـ . بدون ذكر دار النشر.

- في يوم ١٤١٥/٧/٩ هـ (١٩٩٤/١٢/١١ م): روسيا ترسل قواتها إلى الشيشان، ويبدأ الغزو العسكري .

- في يوم ١٤١٥/٧/٢٩ هـ (١٩٩٤/١٢/٣١ م) : تقوم قوات مدرعة روسية بدخول غروزني، إلا إنها تدمر بالكامل .

- في شهري شعبان ورمضان ١٤١٥ هـ (يناير وفبراير ١٩٩٥ م): قصف مدفعي وصاروخي وجوي روسي شديد يحول مركز مدينة غروزني وأكثر أحيائها إلى انقاض، وينسحب المجاهدون الشيشان من المدينة .

- في شهر شوال ١٤١٥ هـ (مارس ١٩٩٥ م): القوات الروسية ترتكب مجزرة وحشية في قرية سيماشكا الشيشانية المسالمة .

- في يوم ١٤١٦/١/١٦ إلى ١٤١٦/١/٢٠ هـ (١٤ / ١٩٩٥ - ١٨ / ١٩٩٥ م): مائتي (٢٠٠) مجاهد شيشاني بقيادة شامل باسيف^(١) يهاجمون مدينة بودرينوفسك الروسية التي تبعد حوالي ٧٠ كيلو متراً عن الشيشان، وبعد قتال شديد قتلوا عدداً كبيراً من قوات وزارة الداخلية الروسية، واحتلوا البلدية ومركز الشرطة الرئيس ودوائر أخرى،

(١) شامل باسيف: هو أحد قادة المجاهدين الشيشان. ولد عام ١٣٨٤ هـ (١٩٦٥ م) في مدينة فيدنو جنوب شرقي الشيشان، عُرف باتزانه وهدوئه وصلاحه منذ صباه، اشتهر بحنكته وشجاعته وحبّه للجهاد في سبيل الله تعالى، حيث شارك المسلمين الأنجاز في حربهم التحررية ضد جورجيا . قاد شامل عمليات مع ثلة من زملائه المجاهدين تميزت بالتنظيم الدقيق والبطولية الرائعة ضد قوات الغزو الروسي أسهمت بشكل فاعل في تسريع توقيع اتفاق "خاسا فيورت" للسلام في ١٧ ربيع الآخرة ١٤١٧ هـ (١٩٩٦/٨/٣١ م). انظر: محمود عبد الرحمن "تاريخ القوقاز ... ص ١٦٨ وما بعدها .

واعتصموا مع بضع مئات من الرهائن في المنتجع الصحي . وبعد مفاوضات على الهاتف مع رئيس الوزراء الروسي انسحبوا من المدينة وعادوا إلى الشيشان في موكب المنتصرين .

- في يوم ٢٢/٧/١٤١٦ هـ (١٤/١٢/١٩٩٥م) : الشيشان يسترجعون مدينة غودرمس وأحياء من مدينة آرغون إلا إنهم يضطرون للانسحاب بعد أسبوع .

- في يوم ١٨/٨/١٤١٦ هـ (٩/١/١٩٩٦م) المجاهدون الشيشان بقيادة سلمان رودايف يهاجمون مدينة كزلار الروسية في داغستان . وفي طريق عودتهم بعد مفاوضات مع القوات الروسية تحاول هذه القوات قطع الطريق عليهم ، فينتقلون إلى قرية بيرفوما يسكايًا مع رهائن ويعتصمون فيها لمدة أربعة أيام . وتقوم القوات الروسية بتدمير كامل للقرية ، إلا أن معظم المقاتلين مع رهائنهم تمكنوا من الإفلات والعودة إلى الشيشان .

- في يوم ١٦/٩/١٤١٦ هـ (١٥/٢/١٩٩٦م) الرئيس يلتسن يعلن ترشيحه للرئاسة الروسية ويصرح بأن "أزمة الشيشان ربما كانت إحدى أخطائنا ، وأنه يدرس خيارات السلام " .

- في يوم ١٥/١٠/١٤١٦ هـ (٤/٣/١٩٩٦م) : وزير الدفاع الروسي يزور الشيشان ويعلن استعدادة للاجتماع مع دودايف .

- في يوم ١٧/١٠/١٤١٦ هـ (٦/٦/١٩٩٦م) : المجاهدون الشيشان يهاجمون غروزني ويستولون على قطاعات في المدينة لعدة أيام ، إلا أنهم يضطرون للانسحاب .

- في يوم ٤/١١/١٤١٦ هـ (٢٣/٣/١٩٩٦م) : الشيشان يحيون ذكرى تهجيرهم الجماعي عام ١٣٦٣ هـ (١٩٤٤م) .

- في يوم ١٢/١١/١٤١٦ هـ (١٩٩٦/٣/٣١ م): الرئيس يلتسن يأمر بإيقاف العمليات الحربية الكثيفة ، وتسحب القوات الروسية انسحاباً جزئياً من الشيشان ، وتعرض إجراء مفاوضات مباشرة ، إلا أن القتال العنيف يستمر .
- وفي يوم ٤/١٢/١٤١٦ هـ (١٩٩٦/٤/٢١ م): إعلان استشهاد الرئيس دودايف بقصف جوي غادر ، ويتولى نائبه سليم خان يندر بايف^(١) مهام الرئاسة .
- في يوم ٧/١/١٤١٧ هـ (١٩٩٦/٥/٢٤ م): يلتسن ويندر بايف يجريان محادثات في موسكو ، ويتفقان على هدنة استمرت ستة أسابيع .
- وفي يوم ١١/١/١٤١٧ هـ (١٩٩٦/٥/٢٨ م): الرئيس يلتسن يزور القوات الروسية في الشيشان ، إلا إن هذه الزيارة انحصرت في مطار غروزني العسكري، ولبضع ساعات فقط .
- في يوم ١٧/١/١٤١٧ هـ (١٩٩٦/٦/٣ م): تتعرض اتفاقية وقف قتال كانت وقعت قبل ثلاثة أيام لصدع شديد بسبب الاتهامات المتبادلة بخرقها من الطرفين .

(١) سليم خان يندر بايف : ولد عام ١٣٧١ هـ (١٩٥٢ م) في المنفى في كازاخستان عند ما كانت تخضع للاحتلال الروسي في عهد ستالين . تلقى تعليمه في الشيشان ، عمل راعياً للغنم وفي المقاولات العامة ، حصل على شهادة الدبلوم في التدقيق عن النفط والغاز ، حصل على الماجستير في الأدب الروسي والشيشاني ، تلقى تعليمه العالي في معهد الدراسات العليا في موسكو . وحصل على عضوية جمعية الأدباء الروسية . تعلم العربية وبعض العلوم الشرعية لاسيما تفسير القرآن . انظر: مجلة "كشمير المسلمة" ص ٢٦ ، العدد (٩٤) محرم ١٤٢١ هـ (إبريل ٢٠٠٠ م)، وانظر: محمود عبدالرحمن "تاريخ القوقاز .." ص ١٨٠ .

- في يوم ١٤١٧/١/٢٠ هـ (١٩٩٦/٦/٦ م): مفاوضون روس وشيشان يلتقون في نزران - عاصمة الأنغوش - بدون التوصل إلى اتفاقية سلام .
- في يوم ١٤١٧/١/٢٣ هـ (١٩٩٦/٦/٩ م): الروس يطالبون بإجراء انتخابات في الشيشان بتاريخ ١٤١٧/١/٣٠ هـ (١٩٩٦/٦/١٦ م) لتزامن مع الانتخابات الروسية، إلا أن الشيشان يرفضون ذلك مادامت القوات الروسية متواجدة في الشيشان.
- في يوم ١٤١٧/١/٢٤ هـ (١٩٩٦/٦/١٠ م): المفاوضون الروس والشيشان يوقعون اتفاقيتين. وافق فيها المقاتلون الشيشان على نزع السلاح، ووافق الروس على سحب أربعين ألف (٤٠٠٠٠) جندي من الشيشان قبل نهاية ربيع الأول ١٤١٧ هـ (أغسطس ١٩٩٦ م). واتفقوا أيضاً على تأجيل الانتخابات في الشيشان حتى تزول المظاهر العسكرية .
- في يوم ١٤١٧/١/٢٥ هـ (١٩٩٦/٦/١١ م): انفجار في محطة نفق القطارات تحت الأرض في موسكو، ومقتل أربعة أشخاص ، وكان التساؤل حول مسؤولية الشيشان عن الحادث، إلا إنه قد تبين أنه من فعل عصابات الإجرام في موسكو.
- في يوم ١٤١٧/١/٢٨ هـ (١٩٩٦/٦/١٤ م): يبدأ التصويت لرئاسة روسيا وبرلمان الشيشان، إلا إن المقاتلين الشيشان يعارضون إجراء انتخابات البرلمان المحلي.
- في يوم ١٤١٧/١/٣٠ هـ (١٩٩٦/٦/١٦ م): الطعن بنتائج الانتخابات في الشيشان والقوات الروسية تعرض للنيران خلال الليل، ومراكز التصويت تعرضت للنيران مما استدعى إغلاقها في وقت مبكر .

- في يوم ١٤١٧/٢/٣ هـ (١٩٩٦/٦/١٩م): مستشار الأمن الروسي الجديد الكسندر ليبيد يخطط لأن يطلب من يلتسن سحب القوات الروسية من الشيشان، وفصل وحرمان الشيشان من الموازنة الفيدرالية الروسية، وعزل وزير الدفاع غراتشيف .
- في يوم ١٤١٧/٢/١٧ هـ (١٩٩٦/٧/٣م): انتخاب يلتسن لرئاسة الجمهورية الروسية للمرة الثانية .
- في يوم ١٤١٧/٢/٢٣ هـ (١٩٩٦/٧/٩م) : يتجدد القتال بعد انهيار المفاوضات حول إطلاق سراح أسرى الحرب من الفريقين . والمقاتلون يحتلون قرية جيخي يورت ويقتلون عددا من الجنود الروس .
- في يوم ١٤١٧/٢/٢٥ هـ (١٩٩٦/٧/١١م): المدفعية والمروحيات الروسية تهاجم وتقتصف قرى في جنوب الشيشان لليوم الثالث على التوالي، ويقتلون حوالي مائة (١٠٠) من المدنيين ، ويحرقون اتفاقية وقف إطلاق النار .
- في يوم ١٤١٧/٢/٢٨ هـ (١٩٩٦/٧/١٤م): القوات الروسية تحاصر عدة قرى في جنوب شرق الشيشان وتقتصفها بشدة بدعوى تواجد مقاتلين فيها .
- في يوم ١٤١٧/٣/٢٢ هـ (١٩٩٦/٨/٦م) : المجاهدون الشيشان يدخلون غروزني وآرغون وغودرمس . وتبدأ أعنف المعارك منذ أكثر من عام، وتفقد القوات الروسية السيطرة على الوضع .
- في يوم ١٤١٧/٣/٢٦ هـ (١٩٩٦/٨/١٠م) : يلتسن يعين الجنرال ليبيد ممثلاً في الشيشان .

- في يوم ٢٨/٣/١٤١٧ هـ (١٩٩٦/٨/١٢ م): ليبيد يطير إلى الشيشان ويجتمع مع الجنرال أصلان مسخادوف رئيس أركان القوات الشيشانية لترتيب وقف إطلاق النار. وقادة الميدان الروس يرفضون عقد اتفاقية واضحة، غير أن الهدنة تصمد .

- في يوم ٣٠/٣/١٤١٧ هـ (١٩٩٦/٨/١٤ م): يلتسن يحل اللجنة الحكومية لشؤون الشيشان التي يرأسها تشير نوميردين - رئيس الوزراء - ويفوض ليبيد بصلاحيات واسعة لحل الأزمة .

- في يوم ١/٤/١٤١٧ هـ (١٩٩٦/٨/١٥ م): ليبيد يقابل ينذر باييف رئيس جمهورية الشيشان في الشيشان ويصرح الاثنان بأنهما متفائلان من الحادثات، ويسعيان لإنهاء الصدام العسكري .

- في يوم ٥/٤/١٤١٧ هـ (١٩٩٦/٨/١٩ م): القائد الروسي في الشيشان الجنرال كوستاتين بوليكوفسكي يمهّل المدنيين ٤٨ ساعة لمغادرة غروزني ، ويهدد بقصف شامل للمدينة لإخراج المقاتلين الشيشان منها . ويلتسن يطلب من ليبيد إعادة السيطرة على الوضع في الشيشان قبل نهاية الشهر .

- في يوم ٦/٤/١٤١٧ هـ (١٩٩٦/٨/٢٠ م) : مجلس الأمن الروسي يشكك في صحة أوامر يلتسن، ويعلن معاونوه بأنه في استراحة قصيرة في شمال غرب روسيا .

- في يوم ١٧/٤/١٤١٧ هـ (١٩٩٦/٨/٣١ م): الجنرال ليبيد والرئيس مسخادوف يوقعان اتفاقية خطة سلام تلزم سحب القوات الروسية قبل نهاية أيلول وتشكيل

لجنة للإشراف على عمليات إعادة التعمير، وتوَجَّل قرار الحل السياسي لمدة خمس سنوات.

- في يوم ١٨/٩/١٤١٧ هـ (١٩٩٧/١/٢٧ م): انتخابات الرئاسة والبرلمان في الشيشان. الجنرال أصلان مسخادوف يفوز برئاسة الجمهورية بأغلبية ٦٥% من المصوتين، وصرح بأنه ليس متشدداً بالنسبة لعلاقات الشيشان مع روسيا، إلا أنه ينبغي على روسيا الاعتراف باستقلال الشيشان وقال: " هناك موقف لا رجعة عنه، ينبغي على الروس أن يفهموه : إننا لا نقبل أبداً أن يكون لروسيا حق قتل شعبنا والتصل من المسؤولية والحساب كما جرى في الماضي " .
- رغم انقسام قيادات الشعب الشيشاني في الانتخابات غير أن الجميع اتفقوا على بناء الجمهورية التي دمرتها الحرب. فأصبح القادة الميدانيون مساعدين للرئيس.
- في عام ١٤١٨ هـ (١٩٩٧ م) اعتمدت أحكام الشريعة الإسلامية رسمياً، وأنشئت محاكم شرعية في أهم المدن الشيشانية.
- لم تستطع الحكومة الشيشانية النهوض بالبلد الذي دمرته الحرب، وذلك لأسباب عدة من أهمها حالة الحصار الاقتصادي والسياسي الخائقة التي فرضتها موسكو على شعب الشيشان وحكومته.
- في عامي ١٤١٨ - ١٤١٩ هـ (١٩٩٨ - ١٩٩٩ م) ساءت الأحوال الاقتصادية أكثر لدى الناس في ظل الحصار الاقتصادي ، وانسحب القادة الميدانيون من الحكومة.

- انقلبت زمام الأمور في البلد بعد أن حلت المحاكم الشرعية ، فانتشرت الجريمة بشكل خطير .
- في محاولة لفك الحصار الاقتصادي والسياسي قام الرئيس بجولة لبعض الدول العربية والإسلامية . ولم تفلح تلك الجهود حيث لم تتعاون معه أية دولة مسلمة سوى ماليزيا .
- أخذ المجاهدون يفكرون في وسيلة لفك الحصار الخائق الذي يفرضه الروس على بلدهم، فاتجهوا إلى ضرب القواعد الروسية في القوقاز، مما أدى بالحكومة الداغستانية إلى ضرب العمل الدعوي داخل داغستان واعتقال قياداته العلمية، مما جعل بعضهم يفر بدعوته إلى خارج البلاد .
- منذ ذلك الحين بدأ التصعيد بين الطرفين حيث بدأ الاعتداء الروسي الوحشي على بعض قرى داغستان التي طبقت الشريعة الإسلامية، وبعض مدن الشيشان .
- وفي يوم ١٧ جمادى الأولى ١٤٢٠ هـ (١٩٩٩/٨/٢٨م) أرسلت روسيا قوات برية وجوية ضخمة وقصفت ليل نهار قريتي كرماخى وتشابما في ، فلم تترك فيها منزلاً قائماً ولا بيتاً شاخصاً، وسروها بالأرض على رؤوس الأمنين .
- لقد ثبت لدى المتابعين أن روسيا كانت تستعد لحرب أخرى كويلة حيث عززت مواقعها العسكرية في القوقاز، وطلورت بعض أسلحتها لاسيما دبابات (٨٢) التي لا تدمرها قذائف (آر بي جي) المضادة للدروع والتي اجتاحت بها الشيشان .

- كان اجتياح القوات الروسية لبعض الأقاليم الداغستانية مرحلة أولى لاجتياح جمهورية الشيشان حيث أظهرت روسيا ما كانت تخفيه وترجئه من رغبة جامحة في إبادة الشعب الشيشاني الذي تراه شعباً مخيفاً يقف ضد أطماعها في المنطقة، فأعدت لهجومها على الشيشان قوات برية وجوية ضخمة وتجاوزت كل القوانين والأعراف الإنسانية في ضربها الوحشي للآمنين في القرى والمدن ، غير أن جند الله لهم بالمرصاد، فقد أبلى المجاهدون بلاءً حسناً في التصدي للاعتداء .

- نتائج جهاد الشعب الشيشاني في حربه لنيل الاستقلال عامي ١٤١٥ - ١٤١٦ هـ (٩٤ - ١٩٩٦م):

كان لحركة الجهاد التي خاضها الشعب الشيشاني في حربه لنيل الاستقلال من المعتدي الروسي عامي ١٤١٥ - ١٤١٦ هـ (٩٤ - ١٩٩٦م) نتائج وثرات كثيرة ، نورد منها ما يلي:-

(١) دفع العدوان الروسي وكسر شوكة جيشه وإنزال الرعب في قلوبهم .

لقد دقت موسكو طبول الحرب ، وقرر ما يسمى مجلس الأمن القومي الروسي اجتياح أرض الشيشان يوم ١٤١٥/٧/٥ هـ (١٩٩٤/١٢/٧م) معلناً بذلك العدوان على شعب آسن . وقد ظن جنرالات الحرب الروس أن العملية مجرد نزهة تنتهي في ساعات أو أيام .

وتواصل الغارات المدمرة على العاصمة ، وتستهدف إحداها داراً للأيتام فيسقط العشرات من الأطفال والنساء بين قتيل وجريح .

وتشن القوات الروسية هجوماً واسعاً على غروزني بعد ثلاثة أسابيع من التدخل الروسي ، وتدور روى معركة طاحنة داخل المدينة . وتقول الحكومة الروسية إن قواتها تسيطر على مراكز متقدمة في المدينة بما فيها القصر الرئاسي .

وبين عشية وضحاها تنقلب الأمور ، ويتحول الغرور والصلف الروسي إلى هزيمة . ففي يوم ١٤١٥/٧/٢٨ هـ (١٩٩٤/١٢/٣١م) يعلن وزير الإعلام الشيشاني أن محاولة السيطرة على غروزني قد صدت ، وأن الشيشان استولوا على سبعين دبابة روسية !

ويعترف الكرملين في ٣٠ / ٧ / ١٤١٥ هـ (١٩٩٥/١/١م)، بأن الموقف في غروزني قد ساء في غضون الساعات الماضية وأن قواته واجهت مقاومة عنيفة !

ثم تتوالى الأخبار بأن الهزيمة كانت ساحقة ، وأن غالبية الدبابات والمصفحات التي أرسلت إلى غروزني والتي تزيد عن مائتي وخمسين (٢٥٠) عربية مدرعة قد دمرت، وأن القوات المسلحة الروسية تكبدت خسائر بشرية فادحة .

هكذا كانت الجولة الأولى والأهم من جولات تلك الحرب الظالمة على الشعب المسلم.

فبالرغم من قلة أعداد مقاتلي الشيشان ، فقد أمكن لهم تنفيذ عمليات قتالية رائعة أذهلت العالم، واستقطب اهتمام شعوب العالم وقياداته، فكان الصراع أمثلة لقتال قوات نوعية مميزة بروحها المعنوية العالية وكفاءتها القتالية الرفيعة ضد قوات ضخمة العدد تمتلك أقوى وسائل الحرب والقتال ولكنها تفتقر للإيمان بالقضية التي تخوض الحرب من أجلها^(١) .

(٢) انتصار الحق على الباطل وضرب أروع المثل في التضحية والشجاعة:

يقول المولى جل وعلا: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ . أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير﴾^(٢) .

(١) انظر : الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية "تقرير عن أزمة الشيشان" ص ١٩-٢٢ . إعداد : مركز الدراسات والبحوث - لجنة مسلمي آسيا - دولة الكويت .

(٢) سورة الحج : آية ٣٨ ، ٣٩ .

لقد وقع الظلم على هذا الشعب الصغير المستضعف ، فاستعان بربه وركن إلى إيمانه، وانتصر في نهاية المطاف فكان انتصاره انتصاراً للحق على الباطل ، وانتصاراً للإيمان على الضلالة .

وضرب هذا الشعب أروع المثل في الجهاد والتضحية والشجاعة النادرة بشهادة الأعداء قبل الأصدقاء . وفي ذلك يقول أحد قادة الروس في مذكراته: "إن الشيشان يستحقون كخصوم كل تقدير واحترام ، ففي وسط الغابات والجبال لا تستطيع أية قوة بشرية أن تغلبهم، فهم رماة مهرة شجعان أذكياء وينتهزون فرصة كل خطأ ارتكبهنا لتدميرنا" ^(١) . ويقول آخر: "رأيت بعضهم أثناء القتال ممزقين إرباً وأجسادهم مثقوبة كالمنخل ومع ذلك كانوا يستمرون في القتال كأنهم لا يشكون من شيء" . وهذه أم تودع ابنتها الذي استشهد أخواه فتقول: "اذهب يا ولدي . مت وأنت تحارب في سبيل دينك ووطنك ومن أجل حريتك . إن هذا الموت أفضل من الحياة تحت نير الروس، تذكر والدك حين طلب مني أن أخرج بأسناني من كبده رصاصة روسية قبل أن يموت لأنه لم يود أن تصعد روحه إلى بارئها وفي جسده رصاصة كافر" ^(٢) .

(٣) اعتراف الروس ضمناً باستقلال جمهورية الشيشان :

لقد كانت موسكو تهرب من الاعتراف باستقلال جمهورية الشيشان رغم الهزيمة التي لحقت بقواتها . إلا إنها أذعنت ورضخت في نهاية المطاف بعد أن أكتوت بلهيب المعارك وذوقت مرارة الهزائم المتتالية على يد جند الله . ففي يوم ١٧/٤/١٤١٧هـ (٨/٣١/

(١) انظر : د/ مانع الجهني "الشيشان . مأساة شعب " مجلة "المستقبل الإسلامي" ص ١٦ ، العدد ١٠٣ ، ذو

القعدة ١٤٢٠هـ .

(٢) المرجع السابق .

١٩٩٦هـ) وقع الجنرال ليبيد والقائد الشيشاني مسخادوف اتفاقية سلام، وأخذت طريقها للتنفيذ بعد توقيعها من قبل رئيس الوزراء الروسي والرئيس مسخادوف، وقد تضمنت الاتفاقية ما يلي:-

- سحب لواءين عسكريين روسيين كانت موسكو تصر على بقائهما بصورة دائمة في الجمهورية .

- تشكيل لجنة للإشراف على عمليات إعادة التعمير .

- تحديد أطر استقلال جمهورية الشيشان، وتأجيل قرار الحل السياسي لمدة خمس سنوات . وقد شكلت هذه الاتفاقية تحولاً حاسماً في موقف موسكو^(١) .

(٤) توحيد صفوف الشعب الشيشاني وتطهيره من العناصر الفاسدة :

يقول ربنا جل وعلا في كتابه المحكم: "إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص"^(٢)، "وهذا إخبار منه تعالى بمحبة عباده المؤمنين الذين إذا صفوا مواجهين لأعداء الله تعالى في حومة الوغي ، يقاتلون في سبيل الله من كفر بالله لتكون كلمة الله هي العليا ، ودينه هو الظاهر العالي على سائر الأديان . يجب أن يكون كالبنيان ملتصق بعضه ببعض"^(٣) .

(١) انظر: سعيد بينو "الشيشان والاستعمار الروسي" ص ٣٠٨ .

(٢) سورة الصف : آية ٤ .

(٣) محمد نسيب الرفاعي "تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير" ٣٥٥/٤، ط مكتبة المعارف - الرياض ،

١٤١٠ هـ (١٩٨٩ م) .

وكما كان الشعب الشيشاني يقف صفاً واحداً يقاتل المعتدي الروسي عبر تاريخه الطويل، فقد وقف هذا الشعب متماسكاً كالبنيان لا تزيده الحن إلا تماسكاً وقوة . وقد تمثل هذا الصف الواحد بشكل جلي في أمرين اثنين:

الأول : وقفه خلف قيادة واحدة وهي قيادة الرئيس جوهر دودايف .

الثاني: رفضه العناصر الفاسدة التي سميت بالمعارضة ، حيث زرعتها موسكو لضرب وحدته وتقريب صفه .

(٥) نيل شرف الشهادة في سبيل الله عز وجل :

إن فوز المجاهد بنيل الشهادة في سبيل الله ، هدف لا يصل إليه إلا من اصطفاه الله ورضي عنه وجعله في زمرة صفوة عباده من سالكي صراطه المستقيم، مع النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين ، كما قال سبحانه: ﴿ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا﴾^(١) وإذا كان الشهيد من اصطفاه الله، فإن من أعظم أهداف المجاهد أن ينال هذا الاصطفاء ليفوز بالحياة السعيدة الأبدية بعد مفارقتها للحياة الفانية مباشرة. وهذا ما دعا المؤمنين الصادقي الإيمان إلى لقاء أعداء الله في ساح الوغى راغبين في إعلاء كلمة الله وفي لقاء ربهم سبحانه بدمائهم الطرية، وجعل الشهيد وحده هو الذي يتمنى أن يرجع إلى الدنيا مراراً ، لا للبقاء بين الأهل والأحباب والأموال وغيرها مما تتعلق به النفوس قبل

(١) محمد نسيب الرفاعي "تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير " ٣٥٥/٤ ، ط مكتبة المعارف - الرياض ،

لقاء الله ، بل ليقول شهيداً في كل مرة لما رأى وذاق من رضوان الله ونعيمه لما اصطفاه شهيداً من بين المجاهدين في سبيله ^(١) .

ولقد تسلط العدو الباغي على المستضعفين من المسلمين في أرض الشيشان . يقول مولادي أودوغوف (وزير الإعلام الشيشاني ونائب رئيس الحكومة السابقة): "إن شعب الشيشان قد فقد من أبنائه مائة وأربعة (١٠٤) ألف قتيل - نحسبهم شهداء بإذن الله - معظمهم من المدنيين" ^(٢) .

وقد قدر عدد قتلى المجاهدين الذين يحملون السلاح بأربعة آلاف قتيل . وتبرز هذه الأرقام أكثر من حقيقة . فالعدد الكبير من القتلى غير المقاتلين - من الشيوخ والنساء والأطفال - يؤكد طبيعة حرب الإبادة التي شنتها روسيا ضد الشعب الأعزل، كما إن قلة عدد قتلى المجاهدين - حاملي السلاح - تؤكد الكفاءة القتالية العالية للمجاهدين ^(٣) .

ألا هنياً لهؤلاء جميعاً الفوز بشرف الشهادة في سبيل الله - نسأل الله لهم ذلك - فهم الذين اصطفاهم الله تبارك وتعالى واتخذ منهم شهداء .

(١) انظر : د/ عبد الله أحمد عبد القادر " الجهاد في سبيل الله " ١٧٠/٢ ، ط (٢) دار المنار - جدة ١٤١٣ (

١٩٩٢م) .

(٢) انظر : بسام العسلي "حرب الشيشان: بداية أم نهاية" ص ٦٧، مجلة "الفيصل" الصادرة عن : مركز الملك فيصل

للبحوث والدراسات ، العدد ٢٥٩ ، بتاريخ : محرم ١٤١٩ هـ (مايو ١٩٩٨م) .

(٣) انظر: المرجع السابق .

(٦) هداية الشعب المجاهد وتسديد خطاه :

قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْحَسَنِينَ ﴾^(١)
يقول الإمام ابن جرير الطبري^(٢) : "والذين قاتلوا . . لنوفقنهم لإصابة الطرق المستقيمة،
وذلك إصابة دين الله الذي هو الإسلام الذي بعث الله به محمداً - صلى الله عليه
وسلم-^(٣) .

لقد تمثل الشعب المجاهد في الشيشان هذه الحقيقة الربانية - وهي تحقيق الهداية
لمن جاهد في سبيله - فقد أصدرت القيادة الشيشانية في رجب ١٤١٧هـ (ديسمبر
١٩٩٦م) مرسوماً بتحويل المحاكم إلى محاكم شرعية تطبق نصوص الشريعة الإسلامية
وأحكامها .

كما أصدرت مرسوماً آخر بأن تصبح اللغة العربية مادة إجبارية في المدارس
الشيشانية بمراحلها جميعاً . وانتشرت مراكز تحفيظ القرآن الكريم، وأصبح الحجاب
الشرعي ظاهرة منتشرة في المدن والقرى .

(١) العنكبوت ، آية ٦٩ .

(٢) الإمام ابن جرير الطبري : هو محمد بن جرير بن يزيد الطبري ، أبو جعفر . مفسر ، مقرئ ، محدث ، مؤرخ ، فقيه ،
أصولي ، مجتهد ، عالم عصره . صاحب التصانيف البديعة ، ولد بطبرستان عام ٢٤٤هـ (٨٣٩م) وطلب العلم وأكثر
الترحال ، وكان من أفراد الدهر علماً . من تصانيفه : جامع البيان عن تأويل القرآن ، وتاريخ الأمم والملوك ، وتهذيب
الآثار ، وغيرها . توفي سنة ٣١٠هـ (٩٢٣م) ببغداد . انظر : الذهبي "سير أعلام النبلاء" ٢٦٧/١٤ . وانظر : عمر
كحالة "معجم المؤلفين" ١٩٠/٣ .

(٣) ابن جرير الطبري "جامع البيان عن تأويل آي القرآن" ٢٠/٦٤ ، ط دار التربية والتراث - مكة المكرمة ، دون
ذكر سنة الطبع .

(٧) تعزيز التواصل الأخوي مع شعوب العالم الإسلامي :

لقد كان من أهم ثمرات ذلك الجهاد الشيشاني أن عزز التواصل والتلاحم الأخوي الإيماني بين ذلك الشعب والعالم الإسلامي . ذلك أن الشعوب الإسلامية لم تشغلها همومها ووفرة مشكلاتها عن متابعة ما كان يحدث لإخوانهم من فظائع وجرائم على يد عدو حاقد، وكان ذلك مصدر إزعاج كبير للقيادة الروسية التي حاولت عبر مبعوثيها، وعبر الاتصالات الدبلوماسية عزل شعب الشيشان عن كل إمكانيات الدعم الخارجي، حتى في حدود الدعم الإنساني والدبلوماسي .

إن الأخوة الإيمانية تفرض على المسلمين المحبة والنصرة وتفريج الكربات ، من هذا المنطلق تحركت مؤسسات العمل الخيري الإسلامي التي هي روح الأمة النابض بالحياة ، تحركت من أجل تخفيف وطأة الألم والمعاناة الكبيرة التي ألمت بإخوانهم .

وبهدف التعريف بمحنة الشعب المسلم زار البلاد الإسلامية العديد من الشخصيات والوفود الشيشانية، وقد أسهم ذلك كله في تعزيز التواصل مع شعوب العالم الإسلامي .

الفصل الأول :

**أحوال المسلمين في شمال شرق القوقاز
بعد تفكك الاتحاد السوفيتي .**

ويشتمل على المباحث التالية :

المبحث الأول :

الأحوال الدينية .

المبحث الثاني :

الأحوال الاقتصادية .

المبحث الثالث :

الأحوال الاجتماعية والعلمية .

المبحث الأول :

الأحوال الدينية في شمال شرق القوقاز:

ويشتمل على المطالب التالية :-

المطلب الأول :

الأحوال الدينية في داغستان .

المطلب الثاني :

الأحوال الدينية في الشيشان والأنغوش .

المطلب الأول :**الأحوال الدينية في داغستان :**

سيتم - إن شاء الله - تناول الأحوال الدينية في داغستان من خلال
العناوين التالية:-

- أحوال الناس الدينية .

- التوجهات الإسلامية الرئيسة .

وتفصيل ذلك كما يلي:-

أولاً: أحوال الناس الدينية :

لقد كان النشاط الإلحادي المعادي للإسلام موجهاً بصورة أشد إلى معاقل الإسلام
في مدينة دربند والمدن الرئيسة الأخرى . غير أن ذلك لم يؤد إلى القضاء على الإسلام ،
فقد تحول بعض العلماء وطلاب العلم إلى ممارسة التعليم سراً ، لاسيما في الجبال الشمالية
والغربية حيث قرى قومية الأوار والدارغين وبعض الشيشان^(١) .

^(١) انظر : د/شيخ سعيدوف عمري "الإسلام في داغستان" بحث مقدم إلى المؤتمر المنعقد بالسويد في شهر ذي القعدة
١٤١٩هـ (مارس ١٩٩٩م) - مترجم عن الروسية - والدكتور شيخ سعيدوف أستاذ العلوم التاريخية ، ورئيس قسم
المخطوطات الشرقية التابع للمركز العلمي الداغستاني في العاصمة الداغستانية محاج قلعة .

إن الحملة الشرسة التي انتهجتها السلطات الشيوعية في جميع مراحلها بهدف القضاء على الدين أدت إلى افتقار المنطقة للنخبة المتعلمة تعليماً شرعياً ، وافتقارها أيضاً إلى المؤسسات التعليمية، ووسائل التعليم كالمصاحف والكتب .

لقد كان عدد المساجد في عموم داغستان لا يتجاوز سبعة وعشرين (٢٧) مسجداً عام ١٤٠٦هـ (١٩٨٥م)^(١) . بيد أن داغستان بدأت تتعافى وتعود إليها الحياة الإسلامية بصورة متدرجة ومتسارعة ابتداء من عام ١٤٠٩هـ (١٩٨٨م) عندما شرع ببناء أول مسجد جامع في قرية كيروف أول التابعة لمدينة كيزيلبورت^(٢) .

وما إن شرع ببناء أول مسجد حتى شعر الناس بنسمات الإيمان والتغير تهب على بلادهم، فنشطت حركة العودة إلى الدين وبناء المساجد حيث بلغ عددها ألفاً ومائتين وسبعين (١٢٧٠) مسجداً وذلك شهر صفر من عام ١٤١٦هـ (يوليو ١٩٩٥م) ، منها أكثر من ثمانمائة وخمسين (٨٥٠) مسجداً مسجلة لدى الدولة ، تلحق بها ما يربو على ستمائة وخمسين (٦٥٠) مدرسة صغيرة أو مركزاً لحفظ القرآن الكريم وتعليم أصول الدين ، ويقوم على شأن تلك المساجد والمراكز ما يزيد عن ألفين ومائتين (٢٢٠٠) من الأئمة والمؤذنين والمعلمين^(٣) .

وقد أعيد خلال تلك المدة ما يقرب من ثلاثمائة (٣٠٠) مسجد كانت السلطات السوفيتية قد صادرتها ، فتم ترميمها وإعادة فتحها . ووفقاً لإحصاءات إدارة شؤون

(١) انظر : د/ شيخ سعيدوف عمري "الإسلام في داغستان" ص ١١ .

(٢) ذكره بعض من التقاهم الباحث .

(٣) انظر : د/ شيخ سعيدوف عمري "الإسلام في داغستان" ص ١١ .

الأديان التابعة لحكومة داغستان بتاريخ شهر محرم ١٤١٩هـ (إبريل ١٩٩٨م) فإن عدد المساجد العاملة بلغ ألف وستمائة وسبعين (١٦٧٠) مسجداً ، وعدد مراكز القرآن الكريم بلغ ستمائة وسبعين (٦٧٠) مركزاً ملحقاتاً ببعض تلك المساجد . وبلغ عدد المدارس والمعاهد الدينية المستقلة عن المساجد خمساً وعشرين (٢٥) مدرسة ، وتسعة (٩) معاهد عليا^(١) .

إن هذه العودة المتسارعة للإسلام تؤكد حقيقة فشل الممارسات السوفيتية الصارمة التي استهدفت استئصال شأفة الإسلام . كما تؤكد عمق ارتباط أبناء المنطقة بدينهم ، حيث كان للأسرة المسلمة تأثيرها الفاعل في تعليم الأبناء أصول دينهم ومبادئ عقيدتهم جيلاً بعد جيل .

غير أن العودة الحثيثة للدين يشوبها بعض الانحراف والغلو ، ففي عام ١٤١٨هـ (١٩٩٨م) كانت عدد التكيات الصوفية عشرين (٢٠) تكية تمثل مختلف الطرق الصوفية المنتشرة هناك والتي من أشهرها الطريقة النقشبندية^(٢) ، والطريقة

(١) انظر : د/ شيخ سعيدوف عمري "الإسلام في داغستان" ص ١١ . ويذكر نفس المصدر أن عدد الكنائس

النصارى وبيع اليهود العاملة بلغ تسع كنائس وأربع بيع وذلك في شهر ذي الحجة ١٤١٨هـ (إبريل ١٩٩٨م) .

(٢) الطريقة النقشبندية : طريقة صوفية تنسب إلى الشيخ بهاء الدين محمد بن محمد البخاري الملقب بشاه نقشبند

(٦١٨ - ٧٩١هـ) . وقد انتشرت الطريقة في بلاد فارس والهند وغرب آسيا . ولهذه الطريقة انحرافات كثيرة منها:

الاستعانة بمشايخهم والتوسل بهم، وزعمهم معرفة الغيب، وزعمهم أن الله يرى في الدنيا، وشدهم الرجال للقبور

والأضرحة وتقدیس أصحابها وإتيان كثير من البدع . انظر : "الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب" . . . ٢٧١/١

، وانظر: عامر عبد الله "معجم ألفاظ العقيدة" ص ٤٣٨ ، ط (٢) مكتبة العبيكان - الرياض، ١٤٢٠هـ (٢٠٠٠م) .

الشاذلية^(١)، والطريقة القادرية^(٢). كما لوحظ الاهتمام المتزايد بما يسمى "العتبات المقدسة" وهي تلك المزارات والأضرحة المنتشرة، والتي بلغ عددها ثمانمائة وتسعاً وثلاثين (٨٣٩) عتبة^(٣). ولاريب أن الإسلام يحرم تحريماً قاطعاً تعظيم وتقديس تلك الأضرحة واتخاذها عتبات ومزارات ومساجد^(٤).

إن المرء ليعجب من هذا العدد الكبير للمزارات والأضرحة حيث يزيد عددها عن نصف عدد المساجد في عموم داغستان غير أن الاستغراب قد يزول إذا علم أن

(١) الطريقة الشاذلية: طريقة صوفية تنسب إلى أبي الحسن الشاذلي، يؤمن أصحابها بحملة الأفكار والمعتقدات الصوفية، بالإضافة إلى اشتغالهم بالذكر المفرد (الله) والمضمر (هو). انظر: "الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب..". ٢٧٩/١.

(٢) الطريقة القادرية: من الطرق الصوفية المنتشرة في البلاد العربية وبلاد إفريقيا وشبه القارة الهندية. تنسب إلى عبد القادر الجيلاني أو الجيلاني الذي ولد عام ٤٧١هـ. ولأصحاب هذه الطريقة بدع كثيرة. قال الإمام الذهبي: "... الشيخ عبد القادر كبير الشأن، وعليه مأخذ في بعض أقواله ودعاويه، وبعض ذلك مكذوبة عليه". انظر: الذهبي "سير أعلام النبلاء" ٢٠/٤٥٠ - ٤٥١، وانظر: إحسان إلهي ظهير "دراسات في التصوف" ص ٢٤٩، ط (١) إدارة ترجمان السنة - لاهور - باكستان، ١٤٠٩هـ (١٩٨٨م).

(٣) انظر: د/ شيخ سعيدوف عمري "الإسلام في داغستان" ص ١١، ١٢.

(٤) دليل ذلك ما ورد في صحيح البخاري وصحيح مسلم عن عائشة - رضي الله عنها، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال في مرضه الذي مات فيه: "لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد". انظر: صحيح البخاري المطبوع مع فتح الباري (٢٥٧/٤) كتاب الجنائز، باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور، حديث رقم ١٣٣٠، وانظر: صحيح مسلم المطبوع مع شرح النووي (١٨٤/٢) كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن اتخاذ القبور مساجد، حديث رقم ٥٢٩.

السلطات السوفيتية السابقة ، والسلطات الحالية - المرتبطة بموسكو - تشجع إنشاء تلك المزارات بهدف صرف الناس عن الدين الصحيح ، وشغلهم بالخرافات والضلالات والبدع. ففي العهد السوفيتي، وفي الوقت الذي كانت فيه الرقابة مشددة على إنشاء المساجد، فقد سُمح بافتتاح أكثر من سبعين (٧٠) مزاراً لمراقدين شيوخ الطرق الصوفية ، وذلك في عام ١٣٨٤هـ (١٩٦٤م) ^(١).

لقد تحركت عجلة العودة إلى الإسلام بخطى متسارعة رغم ندرة العلماء الأعلام فقد شجعت التحولات الكبرى في روسيا وسياسة إعادة البناء (البيروسترويكا) على نبذ الأفكار الإلحادية والتحول إلى قيم الإسلام ومبادئه النبيلة ، لا سيما بعد إقرار " قانون حرية المعتقد " لروسيا الاتحادية بتاريخ ١٦ ربيع الآخرة ١٤١٨هـ (١٩ سبتمبر ١٩٩٧م) ^(٢).

يبد أن مسيرة العودة الحميدة إلى الدين تعترضها بعض المعوقات، فبالإضافة إلى البدع والخرافات، تبدو بعض مظاهر الغلو والتكفير ، وما ذلك إلا لندرة العلماء الربانيين العاملين بالكتاب والسنة. أما الجهل بتعاليم الإسلام فلا يزال يضرب أطنابه في ربوع البلاد، والافتتان بتقليد مظاهر الحياة الغربية يسيطر على عقول كثير من الشباب وقلوبهم، وتبدوا لاختلافات العرقية وانعكاساتها على الواقع الديني الظاهرة الملفتة للنظر في ذلك القطر المسلم ^(٣).

^(١) انظر : عماروف "استعراض تاريخي لحرية المعتقد في داغستان خلال الفترة من ١٩٣٠ - ١٩٩٠م" ص ٩ - مترجم عن الروسية - .

^(٢) انظر : "قانون حرية المعتقد" في الملحق رقم (١) ص .

^(٣) انظر تفصيل ذلك في : الفصل الثالث "معوقات الدعوة في شمال شرق القوقاز" ، المعوقات الداخلية ، ص .

ثانياً: التوجهات الإسلامية الرئيسة في داغستان :

إن المتابع لواقع الدعوة الإسلامية في داغستان يخلص إلى أن البنية الإسلامية في ذلك القطر تتجاذبها خمسة توجهات. من الممكن تحديدها وبيان أبرز معالمها من خلال ما يلي :-

(١) التوجه العام (أو العامي) : والمراد بالعامية هنا من حيث معرفة التعاليم الدينية ، لا من حيث الكتابة والقراءة والتعليم، فإن نسبة الأمية - والتي تشكل جانباً من العامية - قليلة جداً في شمال شرق القوقاز .

وأبرز معالم هذا التوجه ما يلي:-

- هو أكثر التوجهات انتشاراً وعدداً ، حيث يمثل السواد الأعظم من المسلمين.
- مع ضعفه الشديد من جهة الإلمام بأساسيات وأصول الشريعة الإسلامية، فهو شديد الرغبة في تعلم أحكام الشريعة ، وتدارك ما فاته زمن الشيوعية والإلحاد .
- إن أتاحت له الفرصة للتعليم فهو سريع الإدراك والفهم للحقائق التي غيبتها الملاحظة .
- حبه للإسلام شديد . وهذا الحب منطلقاته قومية في أغلب الأحيان، لكنه يتفاوت من عرق إلى آخر. فأكثر الأعراق ارتباطاً بالهوية الإسلامية الأوار والقوموق والأقلية الشيشانية^(١) .
- ينتمي إلى هذا التوجه المسلمون الداغستان بكافة طبقاتهم بدءاً من المراكز القيادية في الدولة ، وانتهاء بالمراكز الوظيفية الصغيرة .

(١) ذكره بعض من التقاهم الباحث .

- توجه أفئدة هذه الفئة نحو العالم العربي - لا سيما بلاد الحرمين الشريفين - ويشعرون نحوهم بالإجلال والإكبار. لكن هذا الشعور قد تغير - بعض الشيء - في السنوات الأخيرة بسبب الحملات الإعلامية التي شنتها وسائل الإعلام الروسية وبعض المتعاونين معها ضد العرب عموماً وبلاد الحرمين على وجه الخصوص^(١).

(٢) التوجه الصوفي : الصوفية في داغستان قديمة حيث أدخلها إلى هناك الشيخ محمد اليراعي^(٢) قبل قرن ونصف تقريباً . وأكثر الطرق الصوفية انتشاراً الطريقة النقشبندية ، تليها الطريقة القادرية والطريقة الشاذلية^(٣).

(١) ذكره بعض من التقاهم الباحث. وانظر أيضاً د/ عبد الحميد جعفر داغستاني "التوجهات الإسلامية قبل وبعد البيروستويكا والمؤثرات عليها" ص ٦. بحث ميداني قدم إلى فعاليات ندوة "مستقبل العلاقات العربية مع الجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى" تنظيم : معهد الدراسات الدبلوماسية - وزارة الخارجية - المملكة العربية السعودية، بتاريخ ٢٠/١١/١٤١٦هـ (١٩٩٦/٤/٨م) - الرياض .

(٢) الشيخ محمد اليراعي : هو محمد بن ملا إسماعيل بن ملا شيخ كمال بن نذر اليراعي الكوري الداغستاني، أول شيخ للطريقة النقشبندية في داغستان. حصل العلوم والمعارف من علماء عصره ثم اشغل بالتعليم. وبعد تلقنه للطريقة النقشبندية من الشيخ خاص محمد الشرواني عام ١٢٣٧هـ صار مجازاً فيها فاجتمع حوله المريدون ، فطاردته الحكومة القيصرية حتى التحق بالجهاد تحت راية الإمام شامل. توفي اليراعي في قرية ثغور، ولا يزال قبره مزاراً هناك. لليراعي آثار وقصائد ، ومن أشهرها كتابه "آثار اليراعي" . انظر: هاني المهدي "التصوف في داغستان في القرون الثلاثة الأخيرة" ص ٣٦ بحث مطبوع غير منشور.

(٣) ذكره بعض من التقاهم الباحث .

(٣) التوجه المذهبي :- الغالبية العظمى للشعب الداغستاني مسلمون سنة على مذهب الإمام الشافعي^(١) ، وهناك أقلية من الشيعة في جنوب البلاد لديهم بضعة مساجد فقط^(٢) .

ومن أبرز معالم التوجه السني الشافعي ما يلي :

- أن إمامة المذهب الشافعي تاريخياً وحاضراً في عموم المنطقة تنحصر في داغستان^(٣) .

- أصحاب هذا التوجه عددهم كبير، فهم في المرتبة الثالثة بين باقي التوجهات .

(١) الإمام الشافعي : هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع القرشي، المطلبي، الشافعي، الحجازي ، المكي ، أبو عبد الله . أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة واليه تنسب الشافعية . ولد بغزة بفلسطين ، وحمل إلى مكة وهو ابن سنتين فنشأ بها وبمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم، ورحل وجد في طلب العلم حتى صار من الأئمة الأعلام . أقام بمصر إلى أن مات ودفن هناك عام ٢٠٤ هـ . من تصانيفه الكثيرة: المسند في الحديث، أحكام القرآن ، والمبسوط في الفقه، وغيرها . انظر: الذهبي "سير أعلام النبلاء" ٥/١٠ ، وانظر : عمر كحالة "معجم المؤلفين" ٣/ ١١٦ .

(٢) ذكره بعض من القاهم الباحث .

(٣) انظر: د/ شيخ سعيدوف عمري "الإسلام في داغستان" ص ١١ .

ملاحظة: المسلمون في شمال شرق القوقاز شافعيو المذهب ، بينما المسلمون في شماله الغربي (مناطق الشركس) فهم على المذهب الحنفي تأثراً بالعثمانيين حيث أسهموا في دخولهم الإسلام .

- يتميز أرباب هذا التوجه بالانغلاق الفكري على كتب المذهب ، بل على بعض كتب المذهب - لاسيما مؤلفات الإمام أبي حامد الغزالي^(١) - وبعض ما استطاعوا أن يخبئوه من كتب إبان حكم الرفاق الحمر، إذ كان يكفي لإحراق البيت من قبل الشيوعيين وجود قصاصة مكتوب عليها باللغة العربية.

- هؤلاء كما لسابقيهم فضل في حفظ الشعور بالانتماء الإسلامي إبان الحكم الشيوعي.

- الخرافة والشعوذة تكاد تنعدم بينهم.

- أصحاب هذا التوجه مزيج من الشيوخ والشباب.

- يهتمون اهتماماً كبيراً بتربية أطفالهم على كتب المذهب لتأهيلهم لخلافهم فيه^(٢).

(٤) التوجه الرسمي الحكومي وتوجه الإدارات الدينية:

في أيام الحكم الشيوعي كان يطلق على مشايخ الإدارات الدينية عملاء النظام الشيوعي، حيث كان بعض أولئك يصنعهم النظام الروسي من خلال جهاز الاستخبارات

(١) الإمام أبو حامد الغزالي : (٤٥٠ - ٥٠٥ هـ ، ١٠٥٨ - ١١١١ م) هو محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الشافعي، حجة الإسلام، أبو حامد ، حكيم ، متكلم ، فقيه ، أصولي ، صوفي . ولد بخراسان، ارتحل في طلب العلم . وحضر مجلس نظام الملك ، فأقبل عليه نظام الملك فعظمت منزلة الغزالي . من تصانيفه الكثيرة: إحياء علوم الدين، تهافت الفلاسفة، الوحي في فروع الفقه الشافعي، وغيرها . انظر "معجم المؤلفين" ٦٧١/٣ ، وانظر: "الأعلام" ٢٢/٧ .

(٢) انظر : د/ عبد الحميد داغستاني "التوجهات الإسلامية قبل وبعد البيروسترويك والمؤثرات عليها" ص ٧-٨ .

المركزية لتولي مناصب قيادية في الإدارات الدينية. أما اليوم فقد تغيرت الصورة حيث يتم اختيار المفتي عن طريق الانتخاب ، أو اتفاق وتزكية مشايخ المنطقة في بعض الأحيان .

غير أن داغستان تعاني من كثرة الإدارات الدينية فيها . فكل قومية إدارة تمثلها ومفتي يتحدث باسمها، مما نتج عنه كثرة الاختلاف والتنازع وتفرق الكلمة.

ومن أبرز معالم هذا التوجه ما يلي :-

- الإدارة الدينية لقومية الأوار هي الأكبر، وهي التي تمثل التوجه الرسمي الحكومي، ومقرها الرئيس في العاصمة محاج قلعة.

- كان نشاط الإدارة محدوداً ، غير أن نشاطها أخذ يتسع بشكل ملحوظ في السنوات الأخيرة، لاسيما بعد تولي المفتي سيد محمد حاجي أبو بكروف أعوام ١٦-١٤١٧هـ (٩٦-١٩٩٧م) .

- وقفت الإدارة الدينية برئاسة المفتي أبو بكروف ضد مبدأ الاستقلال عن موسكو الذي يطالب به كثير من الداغستان . كما وقفت ضد مبدأ الاتحاد مع جمهورية الشيشان وإقامة دولة مسلمة مستقلة في شمال شرق القوقاز .

- تعاونت الإدارة الدينية مع فرقة الأحباش^(١) الضالة، حيث تمكنت تلك الفرقة من بث فكرها المنحرف في وسائل الإعلام وفي بعض المساجد ، واستطاعت التأثير على بعض رموز الإدارة الدينية .

(١) فرقة الأحباش : انظر تعريف هذه الفرقة وبيان جانب من عملها في داغستان في : الفصل الثالث "معوقات

الدعوة" ، المعوقات الخارجية ، المعوق الثالث: "الملل والمذاهب الهدامة" ص ٣٧٢ .

- شنت الإدارة الدينية - بالتعاون مع سلطات موسكو وفرقة الأحباش - حملة كبيرة استهدفت تشويه صورة الجهاد في الشيشان، واتهام الدعاة في داغستان، وتحريض السلطات المحلية للنيل منهم.

- طالب المفتي السلطات المحلية بتخصيص حصة سنوية من إيرادات نفط قزوين تخصص للإدارة الدينية.

- اغتيل المفتي بعد ذلك في شهر جمادى الأولى من عام ١٤١٩هـ (١٩٩٨/٩م)، ولا تزال عملية الاغتيال يكتنفها كثير من الغموض حيث لم تعلن الجهات الأمنية الجهة التي تقف خلف ذلك^(١).

(٥) توجه الصحوة الإسلامية :

كانت بدايات الصحوة الإسلامية الشبابية في داغستان في الستينات الميلادية ، وكانت نشأته على يد الطلاب الذين كانت تبعهم الحكومات الاشتراكية في العالمين العربي والإسلامي ممن كانوا ينتمون لمختلف التوجهات الإسلامية الناشئة حينئذ ، فأصبح

(١) ذكره بعض من التقاهم الباحث . وانظر : صحيفة "ليتراتورنايا غازيتا" لقاء مع المفتي بعنوان: "حديث المفتي : ثمّة أناس يحاولون أن يغطوا بالإسلام مصالحهم غير النزهة" بتاريخ ١٩٨٨/١/١م - مترجم عن الروسية - ، وانظر : صحيفة "لازفستيا" موضوع بعنوان "الإسلام والنظام في القوقاز . آخر تصريح أدلى به مفتي داغستان قبل مصرعه" . بتاريخ ١٩٩٨/٨/٢٥م - مترجم عن الروسية - .

تصدير الفكر عكسياً بخلاف ما أراد الرفاق الحمر. وهؤلاء وإن كانت الفرصة المتاحة لهم وقتئذ للاختلاط بالحليين محدودة، غير أن التأثير قد أخذ حيزه الملموس^(١).

وتجدر الإشارة إلى الأثر الفاعل للتعليم السري الذي اتبعه بعض علماء داغستان حينئذ أمثال الشيخ حسام الدين الطبرساني الكريخي والشيخ محمد نور الهركاني والشيخ الدكتور أحمد قاضي^(٢) - رحمه الله - وغيرهم.

ومن أبرز معالم توجه الصحوة الإسلامية ما يلي:

- شدة الرغبة لتعلم أحكام الدين وسنة النبي صلى الله عليه وسلم.
- الكثير من أصحاب هذا التوجه وجد فرصة للتعلم خارج داغستان، لاسيما في الجامعات الإسلامية في بلاد الحرمين ومصر وماليزيا وغيرها.
- هم عبارة عن تجمعات شبابية لا يجمعهم تنظيم معين، وإن كان بعضهم قد انتمى لحزب النهضة الإسلامي الذي لم يسمح له بممارسة العمل السياسي، ولم يكتب له الاستمرار، لاسيما بعد وفاة مؤسسه الدكتور أحمد قاضي.
- تأثر البعض منهم بمؤسسات العمل الخيري الإسلامية مثل هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية وبالדعاة العرب، لاسيما المعلمين المقيمين بداغستان.

(١) ذكره بعض من التقاهم الباحث، وانظر: د/ عبد الحميد داغستاني "التوجهات الإسلامية قبل وبعد البيروسترويك والمؤثرات عليها" ص ٩.

(٢) انظر ترجمة هؤلاء المشايخ في: الفصل الثاني "الجهود الدعوية...". المبحث الأول، المطلب الثالث "الشخصيات العلمية والدعوية" ص ٢٣٩.

- الغالبية العظمى من شباب الصحوة الإسلامية على منهج الاعتدال والحكمة، غير أن قلة قليلة منهم تميل إلى التطرف والغلو والتكفير.
- اشترك بعضهم مع إخوانه الشيشان في جهاد المعتدي الروسي .
- هم في ازدياد مطرد رغم الحملات الإعلامية التي تشنها سلطات موسكو وبعض المتعاونين معها^(١).
- تلك هي أهم التوجهات الإسلامية في الساحة الداغستانية .

^(١) ذكره بعض من التقاهم الباحث .

المطلب الثاني :

الأحوال الدينية في الشيشان والأنغوش :

أولاً : الأحوال الدينية في الشيشان :

لقد عانى الشعب الشيشاني معاناة كبيرة من روسيا في عهودها المتعاقبة - كما ذكر آنفاً - غير أن تلك المعاناة قد بلغت مداها خلال السنوات العشر من حكم ستالين قبل الحرب العالمية الثانية، فبعد كل انتفاضة كانت تحرق قرى بكاملها وينفى أهلها إلى سيبيريا. كما تم خلال تلك الفترة تصفية قادة الفكر والحركة في المجتمع الذين هم في واقع الأمر العلماء والمشايخ. ولم يقتصر الأمر على التصفيات الجسدية ، بل كان الاستئصال يشمل كل ماله علاقة بالدين الإسلامي من مدارس قرآنية ومساجد وكتب وأوقاف في المدن والقرى^(١).

وما إن توفرت حرية العبادة وفتح المساجد - ضمن شروط محددة - في عهد غوربا تشوف حتى اكتسبت النهضة الإسلامية في الشيشان وغيرها دفعة قوية . فممنذ عودة الشيشان من المنفى لم يكن من المسموح به فتح أي مسجد للعبادة، وذلك إلى عام ١٣٩٨ هـ (١٩٧٨م) حيث تم افتتاح مسجد في قرية بريغورودنوي قرب العاصمة غروزني.

(١) انظر تفصيل ذلك في : سعيد بينو "الشيشان والاستعمار الروسي" ص ٢٣١ - ٢٣٣ .

وفي عامي ١٣٩٩ - ١٤٠٠ هـ (١٩٧٩ - ١٩٨٠ م) افتتح مسجد في كل قرية من قرى اتق يورت، ودوبي يورت، وأروس مارتان، واتشخوي مارتان، وزنا منسكوي ثم تسارعت حركة فتح المساجد القديمة، وبناء مساجد ومدارس قرآنية جديدة حتى وصل مجموعها عام ١٤١١ هـ (١٩٩١ م) إلى أكثر من مائتين وخمسين (٢٥٠) مسجداً^(١).

يقول الأستاذ سعيد بينو - وهو أردني من أصل شيشاني - "عندما زرت القوقاز للمرة الأولى عام ١٣٨٥ هـ (١٩٦٦ م) كان في قرية "بينوي ويدنه" التي هاجر منها جدي وأولاده عام ١٣١٩ هـ (١٩٠١ م) مسجد مازال قائماً ولكنه مغلق. وعندما زرت البلدة للمرة الثانية عام ١٣٨٩ هـ (١٩٦٩ م) كان المسجد قد هدم وأزيلت آثاره. وقالوا إن مدير مدرسة الضاحية الذي كان شيوعياً ملتزماً هو الذي قاد حملة هدم المسجد. وعندما سمح عام ١٤٠٩ هـ (١٩٨٩ م) ببناء المساجد قام أهل تلك الضاحية ببناء مسجد جميل وكبير في نفس موقع المسجد السابق. وقد تم إنشاء المسجد وتأثيثه وفرشه وافتتاحه للصلاة خلال خمسة وثلاثين (٣٥) يوماً من بدء العمل! وقد تم العمل من قبل الأهالي المتطوعين وليست مؤسسة مقاولات. ومن الطريف أن مدير المدرسة السابق ذكره والذي كان قد تقاعد من وظيفته هو الذي قاد حملة إعادة إنشاء المسجد، والمساهمة شخصياً بالعمل المستمر حتى في أيام العطل. وعندما زرت البلدة عام ١٤١١ هـ (١٩٩١ م) كانت في القرية أربعة مساجد مفتوحة للمصلين"^(٢).

لقد كانت ظاهرة تمسك الشيشان واعتزازهم بعقيدتهم واضحة في المؤتمر الوطني للشعب الشيشاني الذي عقد في غروزني في شهر جمادى الأولى ١٤١١ هـ (نوفمبر

(١) انظر: سعيد بينو "الشيشان والاستعمار الروسي" ص ٢٣٣.

(٢) المرجع السابق.

١٩٩٠م) حيث صدر قرار إعلان استقلال وسيادة جمهوريتهم. إذ افتتح المؤتمر بقراءة آيات من الذكر الحكيم والدعاء وأكد المؤتمر على هوية الشعب الإسلامية الأصيلة، كما أكدوا أن انتماءهم الطبيعي للأمة الإسلامية . واختتم المؤتمر بالدعاء والذكر. واعتمد المؤتمر نشيداً وطنياً لبلادهم تتردد في نهاية كل مقطوعة منه كلمة التوحيد "لا إله إلا الله" ^(١).

التوجهات الإسلامية الرئيسة في الشيشان :

إن التوجهات الإسلامية الرئيسة في الشيشان تنحصر في أربع توجهات كما يلي :

(١) التوجه العام: وهو توجه عامة الناس. وهذا التوجه لا يختلف عن التوجه العام في داغستان حيث يمثل السواد الأعظم من المسلمين . ويتميز بحبه الشديد لدينه رغم جهله به .

(٢) التوجه الحكومي : والمراد به توجه الإدارة الحكومية تجاه الإسلام ابتداء من عهد جوهر دودايف مروراً بعهد سليم خان يندربايف ثم عهد أصلان مسخادوف.

ومن أبرز معالم هذا التوجه ما يلي:

- اتسم بكونه توجهاً قومياً إسلامياً حيث إن القومية في القوقاز مرتبطة بالإسلام ارتباطاً وثيقاً .

(١) انظر: مصطفى زنداقي "أضواء على جمهورية الشيشان" ص ١٣ . وانظر : محمود عبد الرحمن " تاريخ

القوقاز.. " ص ١٤٠ وما بعدها .

- في عهد دودايف صدر أول دستور شيشاني ينص على أن الإسلام دين الدولة. ودعمت حكومته البرامج الإسلامية ، وفتحت جميع المساجد ، وشجعت على تعلم اللغة العربية وأحكام الدين.

- تابع الرئيس المؤقت سليم خان يندر بايف عملية أسلمة الدولة والمجتمع، وأمر بإنشاء المحاكم الشرعية ، وجعل تعليم اللغة العربية والدين الإسلامي مواد إلزامية في مراحل التعليم.

- أسهمت وزارة الداخلية عندما تولاهما الدكتور إسلام حليموف في منع المحرمات واستتباب الأمن ، كما أسهمت وزارة الإعلام عندما تولاهما مولادي أودوغوف في إحداث نقلة إسلامية إعلامية.

- بعد انتخاب مسخادوف رئيساً للبلاد في شهر رمضان ١٤١٧هـ (يناير ١٩٩٧م) سار على نهج دودايف ويندربايف في أسلمة المجتمع^(١).

(٢) توجه الإدارة الدينية والتوجه الصوفي: الصوفية في الشيشان ضاربة أطنابها - كما هو الحال في القوقاز عموماً - وقد كانت الإدارة الدينية في الشيشان تمثل التوجه الصوفي ، حيث لم يكن لها أثر فاعل على الساحة حتى مجيء المفتي أحمد قادروف عام ١٤١٦هـ (١٩٩٦م). ومن أبرز معالم هذا التوجه ما يلي:

- هذا التوجه شديد الانغلاق على الموروثات الصوفية ، تلك الموروثات التي يتأبها الغلو والانحراف .

(١) ذكر ذلك بعض من التقاهم الباحث. وانظر : محمود عبد الرحمن "تاريخ القوقاز.." ص ٢٠٨ .

- عملت الإدارة الدينية في عهد الرئيس مسخادوف على تشويه صورة بعض الدعاة، وعلى النيل من شباب الصحوة الإسلامية وتحريض السلطات ضدهم.

- استجابت حكومة الرئيس مسخادوف لدعوات الإدارة الدينية فحلت المحاكم الشرعية التي يقوم عليها بعض طلبة العلم، وأبدلتهم بأشخاص من الادارة الدينية.

- لم تستطع الإدارة الدينية القيام بأعباء ومسئوليات المحاكم الشرعية حيث لم يكن لديها الكوادر العلمية المؤهلة ، فضغفت المحاكم وحل فيها الفساد .

- أدركت الحكومة خطأها فاعتذر الرئيس مسخادوف من رجال المحاكم السابقين.

- عندما داهمت القوات الروسية أرض الشيشان انحاز المفتي أحمد قادروف إلى جانب الغزاة الروس ، وكافأته الحكومة الروسية فنصبته حاكماً على الشيشان ممثلاً لها في مواجهة المجاهدين^(١) !

(٤) توجه الصحوة الإسلامية : توجه الصحوة الإسلامية في الشيشان حديث نسبياً حيث بدأ مع بداية انهيار الاتحاد السوفيتي السابق (منتصف الثمانينات الميلادي).

^(١) التقى الباحث بالمفتي أحمد قادروف في الشيشان وفي الكويت، كما التقى الرئيس أصلان مسخادوف في زيارته الميدانية للعاصمة غروزني صيف عام ١٤١٩هـ (١٩٩٨م) .

ومن أبرز معالم هذا التوجه ما يلي:

- أسهمت ظروف الحريات ثم الاستقلال التي عاشتها الشيشان قبل الغزو الروسي في انتشار هذا التوجه ، لا سيما أن حكومة الرئيس جوهر دودايف قد شجعت شعبها على التوجه للإسلام .
 - أسهم هذا التوجه بشكل فاعل في الحرب عام ١٥ - ١٤١٦ هـ (٩٤ - ١٩٩٦ م) .
 - كما أسهم في تقويم سلوك الناس ومعتقدهم بعد الحرب .
 - أنشأ بعض قيادات هذا التوجه مؤسسة الرسالة، وقناة القوقاز المتلفزة، وكذلك المحاكم الشرعية حيث أسهمت في الحد من الجريمة والمحرمات الشرعية^(١) .
 - وجود هذا التوجه فاعل ومؤثر في الساحة الشيشانية في حالتي السلم والحرب .
- وبهذا يكون قد تم بيان الأحوال الدينية في الشيشان .

^(١) يرى البعض أن المجتمع الشيشاني لم يكن مهياً لتطبيق الحدود الشرعية . ويرى آخرون أنها كانت ضرورية للحد من الجريمة ومنع المحرمات .

ثانياً: الأحوال الدينية في الأنغوش :

من المعلوم أن الأنغوش والشيشان شعب واحد ، ينتمون إلى عرق واحد ، فهم جميعاً من الويناخ. كما أن جمهورية الأنغوش جزء من جمهورية الشيشان حتى عهد قريب وهو عام ١٤١١هـ (١٩٩١م) عندما أراد الروس فصلها ليسهل عليهم مجابهة الشيشان.

والأحوال الدينية في الأنغوش لا تختلف عنها في الشيشان . فمنذ عودتهم من المنفى الذي فرضه عليهم ستالين لم يكن من المسموح لهم إنشاء أي مسجد في مدنها وقراهم حتى عام ١٣٩٨هـ (١٩٧٨م) عندما تم افتتاح أول مسجد في قرية سوره هي^(١) ، ثم تسارعت حركة إعادة فتح المساجد وبناء مساجد جديدة بعد مجيء غوربا تشوف وتطبيق سياسة إعادة البناء (البيروسترويكا).

التوجهات الإسلامية الرئيسة في الأنغوش :-

يمكن تحديد التوجهات الإسلامية الرئيسة في جمهورية الأنغوش بثلاثة توجهات هي كما يلي:

(١) التوجه العام: وهو توجه عامة الناس حيث لا يختلف عنه في الشيشان وداغستان من حبههم الشديد لدينهم رغم جهلهم به .

(٢) التوجه الحكومي وتوجه الإدارة الدينية : حكومة أنغوشيا بشكل عام ذات توجه قومي لا يرى ضرورة الاستقلال عن موسكو ، لا سيما في ظل الضعف الاقتصادي الذي تعانيه الجمهورية. أما توجه الإدارة الدينية فهو توجه صوفي .

(١) انظر : سعيد بينو "الشيشان والاستعمار الروسي" ص ٢٣٢ .

ومن أبرز معالم هذين التوجهين ما يلي :

- اتخذت حكومة أنغوشيا موقفاً إيجابياً منسجماً مع توجهات شعبها تجاه القضية الشيشانية .

- تعمل الحكومة الأنغوشية على تحقيق رغبات شعبها في الاتجاه نحو المزيد من الحرية الدينية، وتعديل بعض القوانين في هذا الإطار رغم معارضة سلطات موسكو لهذا التوجه^(١) .

- أصدرت الحكومة أمراً بإدخال مادة دراسية مقررة في المناهج الحكومية بعنوان "أسس الإسلام"^(٢) .

- أصدرت الحكومة قراراً بإغلاق معهد البر الإسلامي الذي أنشأته الندوة العالمية للشباب الإسلامي عام ١٤١٥ (١٩٩٥م) . وقد كان هذا الإغلاق بتحريض وسعي قامت به الإدارة الدينية . ويذكر أن المعهد كان نموذجاً فريداً من حيث المستوى العلمي والتربوي للطلاب^(٣) .

(١) انظر تفصيل ذلك في : الفصل الأول ، المبحث الثالث : (أ) الأحوال الاجتماعية في جمهورية أنغوشيا ص ١٨٩ .

(٢) انظر تفصيل ذلك في المرجع السابق .

(٣) انظر تفصيل ذلك في : الفصل الثاني، المبحث الأول : ثانياً : الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، معهد البر

(٣) توجه الصحوة الإسلامية : هذا التوجه رغم كونه حديثاً جداً في الساحة الأنغوشية غير أنه مؤثر . وقد أسهمت حركة الجهاد في الشيشان، وكذلك إنشاء معهد البر الإسلامي ومعهد الملك فهد الإسلامي في تقوية وترشيد هذا التوجه.

ومن أبرز معالم هذا التوجه ما يلي :

- تنتمي إليه شريحة الشباب من الفتيان والفتيات المتعطشين لمعرفة دينهم والسير على هدي قرآنهم وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم .
- أسهمت جهود الشيخ العالم الداعية عيسى بن سلطان - مدير معهد البر قبل إغلاقه - في تخرج مجموعة من طلاب العلم المتميزين، والحفظة لكتاب الله تعالى الذين تولى بعضهم الإمامة والخطابة والتدريس والدعوة.
- لأصحاب هذا التوجه أثر فاعل في نصرة إخوانهم الشيشان، لا سيما في مجال الإغاثة وإيواء الأسر النازحة وكفالة أسر الشهداء .
- أسهم هذا التوجه في إرشاد الناس ورفع بعض الجهل عنهم والحث على التمسك بالكتاب والسنة .

وبهذا يكون البحث قد وصل إلى نهايته في بيان الأحوال الدينية في جمهورية الأنغوش.

المبحث الثاني :

الأحوال الاقتصادية في شمال شرق القوقاز :

ويشتمل على المطالب التالية:

المطلب الأول :

الأحوال الاقتصادية في جمهورية داغستان .

المطلب الثاني:

الأحوال الاقتصادية في جمهوريتي الشيشان والأنغوش.

المطلب الأول :

الأحوال الاقتصادية في جمهورية داغستان.

سيتم تناول الأحوال الاقتصادية في داغستان من خلال العناوين التالية:

- عرض موجز.
 - نقط بحر قزوين.
 - الإنتاج الاقتصادي .
 - صناعة الطاقة والموارد المعدنية.
 - الزراعة وتربية الأغنام والثروة السمكية .
 - مشكلة البطالة .
- ومن الإيجاز إلى التفصيل :-

عرض موجز :

بالرغم من تمتع الجمهورية بموقع جغرافي متميز، غير أن داغستان في تدهور اقتصادي مستمر خلال السنوات العشر الماضية. فما زالت داغستان ترتبط بشكل ضعيف مع العالم الخارجي، وذلك بسبب السياسة الصارمة التي تفرض عليها الارتباط بالمركز فقط وهو موسكو .

إن مصادر داغستان الطبيعية غير مستغلة بشكل جيد، بينما الاستثمار الأجنبي ضعيف للغاية، والاستثمار الاتحادي (الروسي) هابط منذ عام ١٤١١هـ (١٩٩١م)^(١) .

أما البنية التحتية للاقتصاد^(٢) الداغستاني فهي ضعيفة. كما أن عودة عشرات الآلاف من العمال المهاجرين إلى داغستان منذ عام ١٤١٠هـ (١٩٩٠م) أضاف ضغطاً جديدة على سوق العمل^(٣) .

نقط بحر قزوين :

إنتاج داغستان من نقط بحر قزوين لا يزال ضعيفاً، حيث لا يزيد الإنتاج السنوي عن ٣١٠٠٠٠ طن من النفط، و٧١٥ مليون متر مكعب من الغاز الطبيعي. غير أن احتياطات نقط قزوين الواعدة تعتبر عالية^(٤) .

(١) انظر : الانترنت - بصرف - موقع . www.Caspian.Net/daginfo.Html

(٢) المراد بالبنية التحتية للاقتصاد: هي شبكات الطرق، والسكك الحديدية، والمواني، والاتصالات اللاسلكية، والمطارات، والبنوك .. الخ .

(٣) المصدر السابق .

(٤) انظر: وزارة الاقتصاد بجمهورية داغستان "Daghestan" ص ٧٧ ، ط ١ ، دار نوفستي ١٩٩٧م، مترجم عن الإنجليزية .

لكن الصراعات السياسية والعرقية تعوق تنفيذ مشروعات النفط والغاز في بحر قزوين، حيث إن حالة عدم الاستقرار التي أصبحت سمة واضحة للمنطقة تمنع كثير من المستثمرين من القيام بأية مشروعات للتنقيب أو النقل أو التكرير^(١).

وتشكل منتجات النفط والوقود أكبر نسبة من الصادرات، وتؤمن هذه الصادرات ما يزيد عن ٥١% من العملات الأجنبية للجمهورية. كما أن هناك مصادر الوقود الأخرى مثل الفحم البني والفحم الحجري^(٢).

الإنتاج الاقتصادي :

في أوائل التسعينات الميلادية شكلت حصة الصناعة والزراعة التقليدية أكثر من ٨٠% من إجمالي الإنتاج الداخلي للجمهورية. ويشتمل هيكل القطاعات في اقتصاد الجمهورية على التالي: الصناعة ٢٤%، الزراعة ٣٥%، الإنشاءات ٢٦%، النقل والمواصلات ٥%، التجارة والأعمال ٩%، قطاعات أخرى ٥١%. وتشتمل الصناعة في الجمهورية في الصناعات التقليدية مثل صناعة الأغذية المعلبة، والبضائع

(١) انظر: صالح محمد الختلان "الصراع على قزوين. دراسة للأبعاد الاستراتيجية للتنافس على ثروات النفط والغاز في منطقة بحر قزوين" ص ٣٤ وما بعدها. إصدار مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض ١٤٢٠هـ (٢٠٠٠م).

ملاحظة: وفقاً للتقديرات الصادرة عن وزارة الخارجية الأمريكية فإن منطقة بحر قزوين تحتوي على ما يعادل ١٦% من الاحتياطي العالمي من النفط، ولكن خلال السنوات الثلاث الأخيرة ظهرت شكوك حول دقة تقديرات وزارة الخارجية الأمريكية، وتشير الدراسات الجديدة إلى أن نصيب بحر قزوين يساوي من ٣ إلى ٤% فقط من إجمالي ذلك الاحتياط. انظر: المرجع السابق: ص ١٣ وما بعدها.

(٢) انظر: وزارة الاقتصاد بجمهورية داغستان "Daghestan" ص ٧٩ - باختصار.

الاستهلاكية ، ومواد البناء، والمصنوعات الفنية (المصنوعات اليدوية والشعبية) . كما تمثل أيضاً في الصناعات الأساسية الحديثة مثل صناعة الآليات والأجهزة، والصناعات الكيماوية وصناعة الطاقة.

ونتيجة للتحوّل الاقتصادي انخفضت الصناعات العسكرية في قطاع الدفاع بمقدار يزيد عن ٢,٥ ضعفاً ، وزادت حصة المنتجات المدنية والبضائع الاستهلاكية تبعاً لذلك^(١).

صناعة الطاقة والموارد المعدنية :

نظراً لامتلاك داغستان موارد وفيرة للطاقة المائية، فإن ما يقرب من ٣٠% من إجمالي إمكانات الطاقة الكهربائية المائية في شمال القوقاز عموماً تتركز فيها . ويبلغ إجمالي موارد الطاقة الكهربائية المائية في الجمهورية أكثر من ٤٠٤ مليون كيلوواط .

وقد تم استغلال النهر الجبلي "سولاك" في بناء سلسلة من محطات الطاقة الكهربائية. كما تم بناء سدود عدة، منها سد "تشيركي" الذي يعتبر بناؤه من أعظم إنجازات هندسة الطاقة الكهربائية المائية في الجبال حيث يرتفع قوس الخرسانة العالي للسد إلى ٢٣١ متراً^(٢). ويذكر في هذا الجانب أن داغستان تغذي منطقة شمال شرق القوقاز بالطاقة الكهربائية^(٣).

(١) انظر: وزارة الاقتصاد بجمهورية داغستان "Daghestan" - ص ٧٣ - باختصار - .

(٢) انظر : المرجع السابق ، ص ٧٧ .

(٣) ذكره بعض من التقاهم الباحث .

إن هذا النمو في توليد الطاقة الكهربائية في داغستان يخلق مستلزمات مواتية لإنشاء وتطوير صناعات تعتمد على الطاقة والتي تعتبر هامة وأساسية للعلوم والهندسة^(١).

أما الموارد المعدنية فإن داغستان تشتمل على ترسبات هامة من الحديد والمعادن والموارد غير المعدنية ومواد البناء، ويعتبر منجم "كيزيلديري" لخام النحاس أكثرها أهمية. وفي داغستان أكبر تجمع للمعادن غير الحديدية في شمال القوقاز^(٢).

الزراعة وتربية الأغنام والثروة السمكية:

تزرع في داغستان المحاصيل الأساسية من الحبوب والخضراوات والفواكه بشتى أنواعها. وهناك ما يقرب من ١,٩ هكتار من الأراضي الزراعية و ٠,٣ من الأرض البور للفرد.

وتنتشر زراعة البساتين في كل من الوديان والأراضي المنخفضة؛ ويتم فيها زراعة الفواكه مثل المشمش والخوخ والكرز والجوز والتفاح والكمثرى. وفي الوقت الراهن هناك ما يقرب من ٣٠٠٠٠ هكتار تغطيها البساتين.

أما تربية الأغنام فإن سكان الجبال يقومون بذلك بشكل رئيس. وتبلغ أعداد الخراف والماعز أكثر من ثلاثة ملايين رأس^(٣).

(١) انظر: وزارة الاقتصاد بجمهورية داغستان "Daghestan" ص ٧٨.

(٢) انظر: المصدر السابق: ص ٨٠.

(٣) انظر: المصدر السابق، ص ٨٣، ٨٤.

مشكلة البطالة :

إن كثافة البطالة تستمر في النمو في هذه الجمهورية، وهذا عامل يرتبط بعملية الانتقال من النظام الاشتراكي إلى نظام اقتصاد السوق (النظام الرأسمالي) الذي تنتهجه الدولة، حيث يتم خفض العمالة في العديد من المرافق، والتسريح من الجيش . وقد زادت أعداد العاطلين عن العمل بعد تدفق اللاجئين من جمهورية الشيشان .

لقد وصلت نسبة البطالة المسجلة إلى ٥٧,٢% (مقابل ٢٠,٩% في عموم روسيا) وأكثر الأوضاع سوءاً نجده في أرياف الجمهورية ، حيث سجل ٥٧٥% من نسبة العاطلين عن العمل^(١) .

(١) انظر: وزارة الاقتصاد بجمهورية داغستان "Daghestan" ، ص ٨٢ ، ٨٣ .

المطلب الثاني :**الأحوال الاقتصادية في جمهوريتي الشيشان
والأنغوش .**

ويشتمل على التالي :

- أولاً: الأحوال الاقتصادية في جمهورية الشيشان .
- ثانياً: الأحوال الاقتصادية في جمهورية الأنغوش .

أولاً: الأحوال الاقتصادية في جمهورية الشيشان :

جمهورية الشيشان تمتاز بخصوبة التربة ووفرة المياه ومناسبة الطقس وجمال الطبيعة وتوسط الموقع وسهولة المواصلات وتوفر الطاقة ، غير أنها تفقر إلى منفذ بحري . ولقد عانت أكثر من غيرها إبان العهد الشيوعي، وحرمت من الاستفادة المناسبة من مواردها وإنتاجها، وذلك نتيجة للسياسة الرسمية السوفيتية التي لم تعاطف مع الشعب الشيشاني، بالإضافة إلى أن معظم المتنفذين في السلطة المحلية حينئذ كانوا من خارج الجمهورية لا يهمهم مصلحتها بقدر ما يهمهم رضا سادتهم في موسكو .

إن الجمهورية بكاملها كانت منطقة عسكرية شبه مغلقة، فلم يحر تطوير المناطق الجميلة فيها، ولم تستغل المياه المعدنية والصحية لغايات إنشاء مراكز للاستشفاء والنقاة^(١) .

وتنبأ الشيشان مكانة اقتصادية مرموقة إذ يشكل البترول الدعامه الكبرى للاقتصاد الشيشاني حيث أن أرضها غنية به . فعمليات استخراج وتكرير البترول تتكثف في المنطقة الواقعة بين العاصمة غروزني ومدينة غودرمس ، أما أكبر مصانع تكرير النفط فيقع في العاصمة .

ويصدر النفط ومنتجاته إلى الدول الأخرى حيث تصل خطوط أنابيب النفط إلى محاج قلعة في داغستان على شاطئ بحر قزوين، وإلى مدينة توابه على ساحل البحر الأسود وغيرها . ولاشك أن غنى الشيشان بالنفط جعلها محط أنظار الطامعين^(٢) .

(١) انظر: سعيد بنو "الشيشان والاستعمار الروسي" ، ص ٩١ .

(٢) انظر: إيمان السليمان "عزة الإسلام في جهاد الشيشان" ص ١٦ ، ١٧ .

لقد بدأت حكومة الرئيس الشيشاني مسخادوف^(١) رحلة البناء الشاق - بعد الحرب الأولى - بالعمل على تأليف قلوب جميع أبناء الشعب بعد الانتخابات عام ١٤١٧ هـ (١٩٩٧م) ، وشجعت على زيادة كميات النفط المستثمرة ، وعلى زيادة الإنتاج الزراعي، ووضعت خطة ناجحة لترميم الطرق والجسور التي دمرها القصف الروسي، وخطة أخرى لإصلاح المصانع وترميم المؤسسات والدوائر الحكومية والمرافق العامة، وإعادة فتح مطار غروزني للملاحة الجوية. وتمكن الشيشانيون من إصلاح ٤٠% مما دمرته الحرب رغم أن روسيا لم تقدم أي دعم مادي لإصلاح ما دمرته قواتها في الشيشان - وفق ما نصت عليه الاتفاقات - وبذلت الحكومة الشيشانية جهوداً كبيرة لجذب الاستثمارات العربية والإسلامية والأجنبية^(٢).

(١) مسخادوف : هو أصلان مسخادوف من أبرز قادة الشيشان، وقد شارك في المعارك التي خاضها المجاهدون لمدة ٢١ شهراً بصفته رئيساً لأركان الجيش الشيشاني المقاتل، وبعد توقيع اتفاقية "خاسيا فورت" في ١٧ ربيع الآخرة ١٤١٧ هـ (١٩٩٦/١/٣١م) تولى رئاسة الحكومة الائتلافية المؤقتة . وقد عرف عنه أنه محارب عنيد وشجاع، ويتميز بأعصاب قوية، وذكاء حاد ونادر . كما أنه مفاوض بارع، مما جعله محلاً للإجماع القومي . وقد استطاع بقيادته البارعة تحرير غروزني واتزاعها من أيدي الروس . انظر: محمود عبد الرحمن "تاريخ القوقاز" ص ١٩٦ - ١٩٧ .

(٢) انظر: محمود عبد الرحمن "تاريخ القوقاز . نسور الشيشان في مواجهة الدب الروسي" ٢٠٦ . وذكر بعضه الرئيس مسخادوف عندما التقاه الباحث .

ولتدعيم الاقتصاد الشيشاني وقعت جمهورية الشيشان مع روسيا في التاسع من جمادى الأولى ١٤١٨ هـ (سبتمبر ١٩٩٧م) اتفاقاً^(١) مهد الطريق لدخول كميات كبيرة من نפט أذربيجان إلى الأسواق العالمية عبر الشيشان.

وفي شهر ذي الحجة ١٤١٨ هـ (إبريل ١٩٩٧م) قامت جمهورية الشيشان بخطوة هامة لتأكيد استقلالها الاقتصادي والمالي فأصدرت عملتها الخاصة "ناخار" كما تم تغيير لوحات السيارات في الشيشان والتي كانت تحمل أرقاماً ورموزاً روسية بلوحات خاصة تحمل الرموز والأرقام الشيشانية^(٢).

(١) يقول المسؤولون الشيشان إن بلادهم مضطرة للتعامل الاقتصادي مع موسكو، سيما وإن حدود روسيا تحيط بها من ثلاث جهات، ولا يوجد للبلد منفذ بحري .

(٢) انظر : محمود عبد الرحمن " تاريخ القوقاز : نسور الشيشان في مواجهة الدب الروسي " ٢٠٧ .

ثانياً: الأحوال الاقتصادية في جمهورية الأنغوش :

تهتم أنغوشياً حالياً باستخراج النفط وتكريره، كما تهتم بالصناعة والزراعة وتربية الأغنام ناعمة الصوف، وإنتاج الحرير الطبيعي. لكن الصناعة والإنتاج في هبوط مستمر، ففي عام ١٤١٥هـ (١٩٩٤م) استمر هبوط الإنتاج في الصناعة، وتقلص مستوى النفط والغاز مما أفضى إلى خسائر بمقدار ٤,٤ مليار روبل^(١)، ولعل ذلك يعود إلى حالة الحرب التي عانت منها المنطقة .

وحالة الرعي والزراعة في هبوط أيضاً، ففي عام ١٤١٥هـ (١٩٩٤م) انخفض عدد رؤوس المواشي بمقدار مرتين عن عام ١٤١٣هـ (١٩٩٢م) .

وفي إطار التحول من النظام الاشتراكي إلى الرأسمالي جرى في عام ١٤١٥هـ (١٩٩٤م) تحويل ٢٩ مؤسسة حكومية إلى شركات مساهمة، كما تم بيع ٥٧ مؤسسة حكومية أخرى إلى القطاع الخاص^(٢) .

وتؤثر ظاهرة البطالة المنتشرة بين الشباب النازحين - الذين تزايد أعدادهم - تأثيراً سلباً على أحوال الناس المعيشية هناك. وهذه الظاهرة تبدو أحياناً بين الشباب الأنغوش نفسه، بل بين بعض حملة الشهادات العليا .

(١) انظر: اسكندياروف "أنغوشيتا" ص ٧ .

(٢) انظر: المصدر السابق .

وتبذل الدولة جهوداً كبيرة في سبيل رفع المستوى المعيشي لدى عامة الشعب، وتحرص على تأمين الرواتب للمتقاعدين في وقتها بلا تأخير، مما أكسبها رضا وتقدير كبار السن الذين يحظون باحترام خاص في ذلك المجتمع^(١).

إن العملة في أنغوشيا هي الروبل الروسي، وهي في انخفاض مستمر مقابل الدولار الأمريكي، وبالرغم من ذلك فإن الأسعار ليست فاحشة، كما أن أسعار الكهرباء رخيصة. غير أن أسعار الوقود مرتفعة بالرغم من كون البلد منتجة للنفط، وتستخرج منها روسيا كميات ليست قليلة سنوياً^(٢).

إن غالبية الشعب الأنغوشي لا يملك وسيلة نقل (سيارة) ، غير أن وسائل النقل الجماعي متيسرة وزهيدة التكاليف بالنسبة لأهل البلد. أما النقل الجوي فيتراوح سعر تذكرة الطائرة إلى موسكو ذهاباً وإياباً ما يقارب مائتي دولار. وهناك قطار يربط موسكو بمدينة نزران العاصمة تستغرق الرحلة فيه يومين تقريباً بسعر يقارب اثني عشر دولاراً^(٣).

(١) ذكره بعض الطلاب في جامعة الإمام. التقاهم الباحث في ١٩/١١/١٤٢٠ (٢٠٠٠/٢/٢٤ م).

(٢) بسبب سياسة امتصاص خيرات الشعوب والاستخراج الجائر الذي لم يراع الظروف البيئية والاجتماعية، فقد أدى ذلك إلى كوارث طبيعية وإنسانية في بعض المدن والقرى الأنغوشية، إذ سقطت بعض المنازل جراء خسوف الأرض نتيجة الاستنزاف الجائر غير المدروس في أماكن عدة من بلدة ملدايك، وفي قرى عدة ما زالت تساقط فيها بعض البيوت جراء ذلك ! ذكره أشخاص عدة من داخل الأنغوش وخارجها .

(٣) لاحظ الباحث ذلك في زيارته الميدانية .

المبحث الثالث :

الأحوال الاجتماعية والعلمية في شمال شرق القوقاز .

ويشتمل على التالي :

المطلب الأول :

الأحوال الاجتماعية في جمهورية داغستان .

المطلب الثاني:

الأحوال الاجتماعية في جمهوريتي الشيشان والأنغوش .

المطلب الثالث :

الأحوال العلمية في الجمهوريات الثلاث .

المطلب الأول :**الأحوال الاجتماعية في جمهورية داغستان :**

سنناول الأحوال الاجتماعية بجمهورية داغستان من خلال العناوين التالية:
أولاً : الولاء العرقي يسيطر على الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية.

ثانياً : الأعراق ذات التأثير في الواقع الداغستاني .

ثالثاً : أهم النزاعات العرقية .

ومن الإيجاز إلى التفصيل :

أولاً : الولاء العرقي يسيطر على الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية :

تعاني منطقة القوقاز عموماً وداغستان على وجه الخصوص من صراعات عرقية تمزق وحدتها الدينية وتحول دون أسباب الاستقرار والتنمية فيها . ولم تكن تلك الصراعات وليدة اللحظة بل هي نتيجة طبيعية للسياسة التي اتبعتها موسكو، حيث أثرت سياسة روسيا القيصرية ثم روسيا الشيوعية في تدمير الهوية الإسلامية في القوقاز - إلى حد كبير - وأبدلتها بالهوية القومية.

لقد وحد الإسلام شعوب شمال القوقاز في مواجهة المد القيصري الصليبي قبل ما يربو من قرنين من الزمن - كما هو معلوم - فكانت المقاومة تتمثل في تحالفات قبلية عرقية تعززها العقيدة الإسلامية ويقودها العلماء والمشايع. ولما استتب الأمر للغازي المعتدي عام ١٢٨١هـ (١٨٦٤م) عمد الروس إلى تفريق المسلمين وضرب وحدتهم، واستبدال الهوية الإسلامية الموحدة للشعوب بالهوية القومية والعرقية المفرقة لهم^(١).

واليوم يسيطر الولاء العرقي على مجمل الحياة في داغستان بكل أبعادها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بل والدينية أيضاً. ففي الناحية الاجتماعية نجد تكتلات سكانية ذات أعراق مختلفة متفرقة في أنحاء الجمهورية، حيث تقطن كل قومية منطقة خاصة بها.

فمثلاً في العاصمة "محاج قلعة" نجد قومية القوموق حيث يسكن أغلبها جبل "طارقي" المطل على بحر قزوين، كذلك يقطن كثير منهم منطقة في طرف العاصمة تسمى بـ "بتي باسولاك". أما خارج العاصمة فيعيش كثير منهم في منطقة تسمى بـ "غازي غموق".

أما قومية الأوار فإنهم يقطنون الجبال الغربية من داغستان. ومن أشهر مدنها هناك مدينة "خنزاخ" ومدينة "بوتليخ" و "كركيل" و "سوقدا" و "شاميل سكر أيون"، أما العاصمة محاج قلعة فهم متفرقون فيها. وما ينطبق على هاتين القوميتين ينطبق أيضاً على باقي القوميات الأخرى كالدارغين والطبسران واللكين وغيرهم^(٢).

(١) انظر في ذلك : د/ شيخ سعيدوف عمري "الإسلام في داغستان" ص ٥ وما بعدها، التقرير المقدم إلى المؤتمر

المنعقد في السويد في مارس ١٩٩٩م.

(٢) انظر تفصيل ذلك في الجدول رقم (١) ص ١٧٩.

إن لكل قومية لغتها الخاصة وتقاليدها وأعرافها ومناطقها وتجمعاتها الخاصة. كما أن لكل قومية منظمها العرقية الخاصة، وإدارتها الدينية الخاصة. والعلاقات الاجتماعية بين القوميات محدودة جداً، فلا تزواج ولا نسب إلا في الأحوال النادرة جداً. كما أن المعاملات التجارية والاقتصادية محدودة أيضاً. فالولاء كل الولاء للقبيلة أو القومية والعرق، وهذا الولاء العرقي يسيطر على مجمل الأحوال الاجتماعية والاقتصادية والسياسة في كثير من الأحيان^(١).

ثانياً: الأعراق ذات التأثير في الواقع الداغستاني :

يأتي في مقدمة القوميات ذات التأثير في الواقع الداغستاني قومية الأوار والدارغين. فالأوار هم أكبر القوميات تعداداً، إذ يشكلون وحدهم ربع الشعب الداغستاني تقريباً، ويقطنون مساحة كبيرة من الجمهورية. كما أن التأثير الديني لقومية الأوار كبير، حيث كانت مدينة "خنزاخ" الأوارية عاصمة للعلم والعلماء في داغستان قديماً. وكثير من العلماء وأئمة المساجد من الأوار، كما أن الإدارة الدينية الأكبر للأوار، ورئيسها يمثل مفتي داغستان، وتعود لهم إدارة أغلب المدارس والمعاهد الإسلامية. وتأتي من بعدهم - من حيث التأثير الديني - قومية القوموق، ثم قومية الدارغين^(٢).

أما القومية ذات التأثير السياسي فهي قومية الدارغين، وذلك لأن زمام السياسة بيدهم، فرئيس الجمهورية منهم، كما أن منهم أغلب الوزراء والمسؤولين في الدولة.

(١) انظر: د/ شيخ سعيدوف عمري "الإسلام في داغستان" ص ٦ وما بعدها. كما ذكر ذلك بعض من التقاهم الباحث.

(٢) ذكره العديد من التقاهم الباحث.

إن الجدول التالي يعطي معلومات رئيسة عن أهم القوميات في داغستان والتي لها أثر واضح على الواقع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، كما يوضح الجدول موطن تلك القومية داخل داغستان، ومدى ارتباطها بالهوية الإسلامية، ودرجة تمثيلها في الحكومة الداغستانية، وغيرها من المعلومات .

جدول رقم (١) (*): معلومات رئيسة عن القوميات ذات التأثير
في الواقع الداغستاني .

الموطن	ارتباطها بالهوية الإسلامية	تمثيلهم في الحكومة	منظمتهم	مشاركتهم في ثورة شامل وثورة عام ١٣٣٨ هـ (١٩٢٠ م).	معلومات أخرى
أولاً: قومية الأوار :					
الجزء الأعلى من جبال داغستان الغربية	أشد القوميات ارتباطاً بالهوية الإسلامية	تمثيلهم في الحكومة قوي	الجبهة الشعبية للإمام شامل . ليس لها نشاط فاعل . علفت نشاطها عام ١٤١٢ هـ (١٩٩٢ م)	مشاركتهم فعالة جداً مع ثورة شامل وكذلك ثورة عام ١٣٣٨ هـ (١٩٢٠ م) وكانوا قادتها .	يتمتعون بسمة طيبة نتيجة الدور التاريخي لاسيما وأن الإمام شامل كان أوارياً . علاقتهم بالروس سيئة ويسعون للاتصال عن سلطة موسكو.

(*) مصادر معلومات الجدول ما يلي:

(أ) د/ شيخ سعيدوف عمري "الإسلام في داغستان" . دراسة قدمت إلى المؤتمر الذي عقد في السويد ١٤١٩ هـ (١٩٩٩ م) .

(ب) الإنترنت موقع: www.Caspian.Net/daginfo.html

(ج) فيكن تثيريان "جدلية الصراعات العرقية ومشاريع النفط في القوقاز" . إصدار : مركز الإمارات للدراسات والبحوث ، ضمن سلسلة دراسات عالمية، العدد ١٨، ص ٣٤ وما بعدها .

(د) لقاءات شخصية .

ثانياً: قومية الدارغين :

يسوطنون الجزء الأوسط من داغستان	ارتباطهم بالهوية الإسلامية متوسط	تمثيلهم في الحكومة قوي جداً حيث إن رئيس مجلس الدولة منهم .	الحركة الوطنية الدارغينية الموحدة . تأسست ١٤١١ هـ (١٩٩١ م) وليس لها نشاط فاعل .	شاركوا الإمام شامل ثورته لكنهم لم يشتركوا بثورة عام ١٩٢٠ م .	لم يشاطروا الأوار سمعتهم البطولية . تعيش بينهم مجموعتان عرقيتان لم تندججا بهما وهما الكاتياج والكوباتشين .
---------------------------------	----------------------------------	--	---	--	--

ثالثاً: قومية القوموق :

كانوا يسيطرون على سهول قزوین ثم أصبحوا أقلية (فقط ٢٢% عام ١٩٩٠ م) بسبب الهجرة الهائلة لسكان الجبل (الأوار) نتيجة السياسة الروسية الجائرة مما خلق مشكلة كبيرة على ملكية الأراضي الزراعي والعقار .	ارتباطهم بالهوية الإسلامية جيد	تمثيلهم في الحكومة غير كاف حسب رأيهم	تمثلهم الحركة الوطنية القوموقية للمساواة تأسست في عام ١٤٢٠ هـ (١٩٩٠ م) وتهدف إلى إنشاء دولة مستقلة . وقد رأت الحكومة إعطاءهم حكم ذاتي ضمن داغستان .	شاركوا الإمام شامل ثورته بفعالية كبيرة ، كما أن دورهم التاريخي قبل شامل فاعل وكبير .	أصلهم خليط عناصر قوقازية أصلية مع قبائل تركية هاجرت إلى داغستان في القرن ٤ هـ (١٠ م) .
--	--------------------------------	--------------------------------------	---	--	--

رابعاً : قومية اللزكين :					
يستوطنون المناطق الريفية جنوب داغستان وشمال أذربيجان. أدى تفكك الاتحاد السوفيتي واستقلال أذربيجان إلى تهديد وحدة اللزكية حيث تحولت الحدود الإدارية إلى حدود دولية	ارتباطهم بالهوية الإسلامية متوسط جيد ، غير أن فيهم أقلية قليلة من الشيعة	تمثيلهم في الحكومة ضعيف	تمثلهم حركة الوحدة . تأسست عام ١٩٩٠ م . هدفها حل مشكلتهم وذلك بضم أراضي اللزكية في أذربيجان إلى روسيا من أجل وحدتهم مما أدى إلى توتر ضدهم في أذربيجان	أسهموا في ثورة الإمام شامل ولكن بشكل غير فاعل .	ويذكر أن موسكو تغذي صراع اللزكين مع أذربيجان وتستغل استياء الأقلية اللزكية للضغط على أذربيجان .
خامساً : قومية الشيشان :					
يقطنون بعض المناطق المجاورة لجمهورية الشيشان، وقد فقدوا الكثير من أراضيهم الخصبة نتيجة التهجير القسري بعد الحرب العالمية الثانية.	ارتباطهم بالهوية الإسلامية قوي	تمثيلهم في الحكومة ضعيف جداً .	ليس لهم منظمة، غير أن جمهورية الشيشان تساند مطالبهم داخل داغستان .	شاركوا بفاعلية كبيرة في ثورة شامل وثورة ١٣٣٨ هـ (١٩٢٠ م) .	كان للنفي الستاليني لهم عام ١٩٤٤ م أثره الكبير في فقد بيوتهم ومزارعهم مما خلق مشكلة مع بعض الأعراق الأخرى بعد عودتهم .
سادساً : قومية الالاك :					
يستوطنون منطقة نوفيلاك الواقعة جنوب غرب داغستان	ارتباطهم بالهوية الإسلامية ضعيف	تمثيلهم في الحكومة جيد	لهم منظمة تركز على تطويرهم وتعليمهم . وتؤيد مبدأ داغستان الموحدة	مشاركتهم ضعيفة في ثورة شامل .	مستواهم التعليمي بشكل عام جيد .

سابعاً : قومية النوغاي :					
يستوطنون سهل النوغي الكبير الواقع شمال داغستان وشرق إقليم ستافروبول	ارتباطهم بالهوية الإسلامية جيد	تمثيلهم في الحكومة ضعيف	لهم منظمة تأثيرها ضعيف تطالب بدولة مستقلة للنوغي	شاركوا بفعالية في ثورة الإمام شامل	يعيشون بترابط ولديهم حكم ذاتي، غير أن تعليمهم محدد جداً .

ثالثاً : أهم النزاعات العرقية :

تؤثر النزاعات العرقية على الاستقرار الاجتماعي والإنتاج الاقتصادي في داغستان، كما تؤثر على الوحدة والتضامن الإسلامي الذي هو قطب الرحى ورابطة العقد في بلد يعيش فيه أكثر من ثلاثين قومية مسلمة عاشوا قروناً طويلة تظلمهم راية الإسلام وتجمعهم كلمة التوحيد، غير أنهم اليوم يعانون آثار السياسة الروسية الخبيثة التي نجحت - بعض الشيء - في تفتيت وحدتهم وإثارة النزاعات القومية الجاهلية.

ومن أهم تلك النزاعات ما يلي :

(١) نزاع اللزكين والأذر :

يبلغ عدد اللزكين في داغستان قرابة ٢٣٤ ألفاً ، أما في أذربيجان فعددهم يقارب ١٧١ ألف نسمة ، وكان استقلال جمهورية أذربيجان عن روسيا قد أثر سلباً على مصالح اللزكين ووحدتهم ، فقد نشبت صدامات عدة بين اللزكين وقوات الأمن في كل من داغستان وأذربيجان عام ١٤١٥هـ (١٩٩٤م) نتيجة شعورهم بالظلم، لا سيما في أذربيجان التي يتهمون السلطات فيها بمحاربة لغتهم وثقافتهم. وقد ازدادت الأمور تعقيداً عام ١٤١٦هـ (١٩٩٥م) بعد أن ساءت العلاقة بين موسكو وبأكو (عاصمة أذربيجان) وأغلقت الحدود بينهما لمنع الشيشان من تلقي أي مساعدة من أذربيجان والعالم الإسلامي، وقد تسبب هذا الإغلاق للحدود في مضايقة اللزكين^(١).

(١) انظر : فيكن تيتريان "جدلية الصراعات العرقية ومشاريع النفط في القوقاز" ص ٣٤.

وانظر : الإنترنت - موقع : www.Caspian.Net/daginfo.Html.

(٢) نزاع اللاك والشيشان والأوار:

إثر تهجير الشيشان والأوار إلى سيبيريا وآسيا الوسطى عقب الحرب العالمية الثانية، تم إسكان اللاك قسراً في قرى الشيشان ومزارعهم الخصبية الواقعة في منطقة نوفولاكسكي، مما أثار مشكلة بعد عودتهم من المنفى لا تزال آثارها قائمة إلى اليوم بالرغم من حلها بشكل جزئي، وقد أظهرت جمهورية الشيشان مساندتها القومية لمطالب الأقلية الشيشانية في داغستان مما أثار القلق من توسيع دائرة النزاع العرقي^(١).

(٣) نزاع الروس والأوار:

العلاقة بين الروس (القوزاق والسلاف) والأوار متوترة دائماً، لا سيما في عامي ١٤١٠ - ١٤١١ هـ (١٩٠-١٩٩١م) عندما عارض القوزاق بشكل عنيف مطالبة الأوار بالاستقلال عن الاتحاد الروسي. وفي مقابل ذلك طالب القوزاق الاعتراف بهم كقوة عسكرية حيث شكلوا جيشاً غير رسمي لهم عام ١٤١٠ هـ (١٩٩٠م) وقد أصدر الرئيس يلتسن في ربيع الأول ١٤١٦ هـ (أغسطس ١٩٩٥م) مرسوماً يأمر بإنشاء عشرين وحدة للعرق القوزاقي في الجيش الروسي مما شكل تهديداً عسكرياً للأعراق الأخرى لا سيما الأوار^(٢).

(١) المصدر : الإنترنت - باختصار - موقع : www.Caspian.Net/daginfo.Html.

(٢) انظر : الإنترنت - الموقع السابق.

ونخلص مما سبق إلى التالي :-

(أ) أن روسيا القيصرية ثم الشيوعية عملت على تقوية النزعة القومية من أجل ضرب الوحدة الإسلامية للشعوب ومن ثم السيطرة عليها، وكان ذلك من خلال إقامة التقسيمات الإدارية على أسس عرقية، وتشجيع اللغات والثقافة القومية، وضرب اللغة العربية والدين الإسلامي، وغير ذلك من الوسائل.

(ب) لم تستطع روسيا نزع الإيمان والقرآن من قلوب الرجال، لكنها استطاعت بذر الشقاق والتعصب القومي.

(ج) إن شعور العديد من القوميات بالظلم التاريخي جعلها تنقم على العرق السلافي الروسي، وعلى روسيا نفسها.

(د) إن الواقع العرقي الحالي في داغستان يحكم ويسيطر على الأحوال الاجتماعية والسياسية والدينية أيضاً.

(هـ) إن النزعات العرقية الحالية مهيأة للاتساع إذا لم تتم معالجتها بتقوية الوحدة الإسلامية وتدعيم معاني الأخوة الإيمانية.

المطلب الثاني :

الأحوال الاجتماعية في الشيشان والأنغوش :

ويشتمل على التالي :

أولاً : الأحوال الاجتماعية في الشيشان .

ثانياً : الأحوال الاجتماعية في الأنغوش .

أولاً: الأحوال الاجتماعية في الشيشان .

الشعب الشيشاني شعب مسلم متدين يعتنق المذهب الشافعي، وتنتشر فيه الطرق الصوفية - لا سيما الطريقة القادرية والطريقة النقشبندية - ومعظم الشيشان يعتزون بدينهم الإسلامي لكنهم يجهلون الشيء الكثير عن تعاليمه ويجدر القول أن الصحة الإسلامية التي يسميها الإعلام الروسي "الوهابية" قد انتشرت بينهم في السنوات الأخيرة .

أما الأقلية السلافية (الروس والأوكران والبيلاروس) فهم نصارى أرثوذكس^(١) .

إن المجتمع الشيشاني مجتمع يقدر الأم بشكل كبير ويحترم المرأة . ويعمل أفرادها في الزراعة وتربية المواشي . وقد انتشرت بينهم في الآونة الأخيرة مهنة التجارة، أما الصناعة والمهارات اليدوية الفنية فهي قليلة . والمستوى الاقتصادي للمجتمع لا يزال ضعيفاً .

وأما المستوى الثقافي فقد عملت الشيوعية على توجيههم نحو الخدمات لذلك نرى نسبة الخريجين الجامعيين قليلة، فالبلاد لا يوجد فيها إلا جامعة واحدة محدودة الكليات، وأكثر الاختصاصات التي وجه الشيوعيون اهتمام أهل البلد إليها هي الأدب والتاريخ واللغات، وقليل من الاختصاصات التكنولوجية العلمية^(٢) .

أما الناحية الصحية للمجتمع بعد حرب أعوام ١٤١٥هـ - ١٤١٦هـ (١٩٩٤م - ١٩٩٦م) فهي متردية، فالأدوية مفقودة في المستشفيات وصيدليات الدولة، ويبيع الدواء

(١) انظر : مصطفى زنداقي "أضواء على جمهورية الشيشان" ص ٣ .

وكذلك : سليمان المقوشي "المسلمون في روسيا . معالم ورجال" ص ١١ .

(٢) انظر : مصطفى زنداقي : "أضواء على جمهورية الشيشان" ص ٧ .

على قارعة الطريق، بغض النظر عن صلاحيته أو فساده. كما أن ارتفاع نسبة الوفيات بين الأطفال يشكل نسبة عالية جداً في غروزني، ويرجع السبب إلى تلوث البيئة الناتج من مخلفات المنشآت النفطية التي تعتمد الروس إقامتها قرب المدينة، كما يرجع أيضاً إلى عدم وجود مستشفى للأطفال لمعالجة هذه الحالات^(١).

لقد لوحظ في غروزني وغيرها من مدن الشيشان ارتباط كثير من الشباب والفتيات بالإسلام، ومن مظاهر ذلك ظهور بعض النساء يرتدين الحجاب الإسلامي. كما لوحظ عدم وجود أية مراقص أو محلات لهو أو بيع للمسكرات والخمور. كما أن الظاهرة المقلقة كثرة رواد المساجد من الكبار والصغار، وذلك الإقبال الكبير من الفتية على حفظ القرآن الكريم وتعلم اللغة العربية وأحكام الإسلام في المساجد والمدارس^(٢).

(١) انظر: مصطفى زنداقي: "أضواء على جمهورية الشيشان" ص ٣٦.

(٢) لاحظ الباحث ذلك حين زار جمهورية الشيشان في صيف عام ١٤١٩ هـ (١٩٩٨م).

ثانياً: الأحوال الاجتماعية في جمهورية الأنغوش :

يعتق الأنغوش الدين الإسلامي ويتبعون المذهب الشافعي - مثل إخوانهم الشيشان والداغستان- وينتمي ما يقرب من ٩٠% من سكان الجمهورية للدين الإسلامي، غير أن الجهل بتعاليم الدين هو الصفة الغالبة. وتنتشر الطرق الصوفية فيهم على نطاق واسع - لا سيما الطريقة القادرية - أما الأقلية فهم مسيحيون أرثوذكس^(١).

وتعد اللغتان الأنغوشية والروسية اللغتين الرسميتين في البلاد، وتنتمي اللغة الأنغوشية إلى مجموعة اللغات الوايناخية القوقازية، وهي قريبة إلى اللغة الشيشانية بحيث يفهم الشيشان والأنغوش بعضهم البعض^(٢). وقبل الثورة البلشفية عام ١٣٣٥هـ (١٩١٧م) استخدم الشيشان والأنغوش الحرف العربي، ثم فرض الروس الحرف اللاتيني عام ١٣٤٦هـ (١٩٢٨م) ثم الحرف الروسي عام ١٣٥٧هـ (١٩٣٨م)^(٣).

أما عن مستوى الرعاية الصحية والتعليمية فإن مستوى الرعاية الصحية في الجمهورية دون المستوى المقبول، حيث ترتفع نسبة الإصابة بالأمراض عامة بنسبة ٢٠-٣٠% عن معدل المؤشرات المماثلة على نطاق روسيا. أما السل (الدرن) فيرتفع بنسبة ٥٠-٦٠% عن المؤشرات المماثلة في روسيا! وتسعى الحكومة الأنغوشية إلى تأمين مستوى لائق من الرعاية الصحية. وكما هو الحال في الرعاية الصحية فإن مستوى الرعاية التعليمية متدن

(١) ذكره بعض من التقاهم الباحث. وذكره أيضاً: اسكندياروف "أنغوشينا" ص ٤.

(٢) أفاد بذلك بعض الطلاب الأنغوش في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض حيث التقاهم الباحث بتاريخ ١٩/١١/١٤٢٠هـ (٢٤/٢/٢٠٠٠م).

(٣) انظر: سليمان المقوشي "المسلمون في روسيا. معالم ورجال" ص ٣١.

أيضاً، حيث بلغ مقدار العجز في المدارس ٢١٣٢٠ مقعداً دراسياً^(١). وفي السنوات الأخيرة تم افتتاح جامعة الدولة في العاصمة نزران ومعهد البحث العلمي والكلية الجيولوجية بمدينة مالمغوبيك^(٢).

وفيما يتعلق بتعليم الدين الإسلامي في المدارس الحكومية، فقد أصدرت حكومة الجمهورية أمراً بإدخال مادة دراسية جديدة في جميع المراحل تعنى بتعليم الدين الإسلامي وهي مادة "أسس الإسلام"، وقد تم تدريس المادة فعلاً في المرحلة الدراسية الأولى، وذلك في العام الدراسي ١٨ - ١٤١٩ هـ (٩٨ - ١٩٩٩ م)^(٣).

وتشيع في أنغوشياً عادات كرم الضيافة واحترام الوالدين وكبار السن، كما أن العلاقات العائلية وصلات القربي قوية ومتينة. ويذكر للشعب الأنغوشي وقوفهم الأخوي مع أبناء عمومتهم الشيشان عندما تعرضوا للمحنة والغزو، حيث فتحوا لهم بيوتهم وشاطروهم لقمة العيش.

وفيما يتعلق بعادات الزواج فإن غلاء المهور غير موجود في ذلك المجتمع المسلم، وقد أوصت الإدارة الدينية بآلا يزيد المهر عن ألف روبل عام ١٤١٥ هـ (١٩٩٥ م) ثم رفع إلى ألفي روبل بسبب تدني العملة الروسية^(٤).

(١) انظر: اسكدياروف "أنغوشيتيا" ص ٨.

(٢) أفاد بذلك بعض الطلاب الأنغوش في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

(٣) أفاد بذلك عدة أشخاص منهم الأستاذ موسى بن حاج بكر حيث التقاه الباحث في موسكو بتاريخ ١٤٢٠/٥/٦ هـ (١٩٩٩/٨/١٧ م).

(٤) ملاحظة: قيمة المهر في العموم تقارب مبلغ ٥٠٠ دولار أمريكي.

لقد أصدر رئيس الجمهورية مرسوماً يسمح بتعدد الزوجات في بلده، كما قرر التقدم إلى البرلمان الروسي (دوماً الدولة) بمبادرة إدخال الإضافات المعنية على قانون الأسرة لروسيا الاتحادية حيث إنه قانون ملزم لجميع الجمهوريات، ومعلوم أن ذلك القانون يمنع التعدد كما تنص عليه الشريعة الإسلامية. وأوضح الرئيس مبررات قراره بظروف الوضع السكاني في الجمهورية، وضرورة زيادة عدد السكان.

كما بين أن التعدد أمر قائم ولا بد من تقنينه^(٢) وقد علق على هذه الحالة رئيس المحكمة الدستورية الروسية مارات (مراد) باغلاي بقوله: "من الصعب القول حالياً إلى أي حد تتسجم هذه اللائحة التشريعية مع التشريع الفيدرالي الروسي ودستور روسيا الفيدرالية. ولكن الواضح الجلي منذ هذا اليوم أن أوشيف (الرئيس الأنغوشي) بمرسومه هذا ينشيء منظومته الخاصة من التشريع الحقوقي ويخرج من أطر المجال الحقوقي الروسي"^(٣).

إن هذه الظاهرة تؤكد أن المجتمع الأنغوشي ماضٍ في اتجاهه إلى الإسلام في نظمه الاجتماعية والتعليمية وغيرها - إلى حد ما - رغم أن ذلك يصطدم في كثير من الأحيان مع رغبة موسكو وقوانينها التشريعية.

^(٢) انظر: يفغيني ستريلتشيك ومكسيم ستقشينكو "ذرائع تهديد روسيات بخطر التقت. تقنين تعدد الزوجات في أنغوشيا يضع البلاد أمام مشاكل بالغة الخطورة". مقالة - مترجمة عن الروسية - نشرت في الجريدة الروسية "نيزافيسيمايا غازيتا" - ملحق الدين - العدد ١٥، بتاريخ ١١/٨/١٩٩٩م.

^(٣) انظر: المرجع السابق.

المطلب الثالث :**الأحوال العلمية في المنطقة :**

والمراد بها الأحوال العلمية الدينية في جمهورية شمال شرق القوقاز،
وسيتّم تناولها من خلال العناوين التالية :-

- المدارس والمعاهد .
- حلقات العلم والعلماء .
- ترجمة وإصدار الكتب والنشرات .
- مناشط علمية أخرى .
- وتفصيل ذلك كما يلي :

(١) المدارس والمعاهد :

لقد عانى المسلمون في المنطقة - كما هو معلوم - من محاولات استئصال عقيدة الإسلام وقيمه . ففي سبيل تحقيق ذلك عمد الروس الشيوعيون إلى إغلاق وإزالة ما يربو على عشرة آلاف مدرسة إسلامية ، من ضمنها ٢٣١١ مدرسة مسجلة رسمياً لدى الدولة في داغستان ، بالإضافة إلى المئات في الشيشان والأنغوش أوائل القرن الهجري

الماضي. وكانت غالبية تلك المدارس تابعة لأحد المساجد وتمولها الأوقاف الإسلامية، حيث كانت تحت تصرف أئمة المساجد ما يزيد عن ١٣ ألف قطعة من أراضي الوقف التي تمثل قوة اقتصادية كبيرة للمجتمع حينئذ^(١).

وبالرغم من استمرار قلة ممن بقي من العلماء على قيد الحياة في ممارسة التعليم سراً، غير أن المنطقة تحت الحكم الشيوعي أصبحت تعاني واقعاً مريئاً، حيث أصبح خريجو المدارس الحكومية يعيشون جهلاً بعقائد الإسلام وأحكامه.

وهذا الواقع المرير لوضعية التعليم الإسلامي فرض توجه الحريصين على نشر التعليم الإسلامي إلى تحقيق نوعين من الانتشار بعد انهيار الشيوعية:

- النوع الأول: الانتشار الأفقي، والذي يهتم فيه بتوسيع دائرة المستفيدين من التعليم والتفقيه بأحكام الإسلام التي تمثل الحد الأدنى. وهذا النوع تمثله المدارس الصغيرة التابعة للمساجد المنتشرة في البلاد حيث بلغ عددها ستمائة وسبعين (٦٧٠) مدرسة عام ١٤١٨هـ (١٩٩٨م)^(٢) في داغستان، وعشرات المدارس في الشيشان والأنغوش.

- النوع الثاني: الانتشار الرأسي، والذي يهتم فيه باختيار نوعية من الطلبة يمتازون بقابلية عقلية وسلوكية ورغبة في تعلم العلوم الشرعية، ويملكون مقومات اجتماعية ومؤهلات تمكنهم لاحقاً من ممارسة التوجيه والدعوة، بحيث يتم

(١) انظر: د/ شيخ سعيدوف عمري "الإسلام في داغستان" ص ٧، ٨. وانظر: عماروف "استعراض تاريخي

لحرية المعتد في داغستان خلال فترة الأعوام ١٩٣٠ - ١٩٩٠م" ص ٣ وما بعدها.

(٢) انظر: د/ شيخ سعيدوف عمري "الإسلام في داغستان" ص ١١.

الاهتمام بتأهيلهم علمياً وسلوكياً ليتم عن طريق ذلك سد شيء من العجز الكبير في أعداد الدعاة في كثير من المواقع. وقد بلغ عدد هذا النوع من المدارس خمساً وعشرين (٢٥) مدرسة وتسعة (٩) معاهد عليا في داغستان^(١) ، ومدرستين ثلاثة معاهد في الشيشان، ومعهدين في الأنغوش . ومن أشهر تلك المدارس والمعاهد: معهد زين العابدين ، ومدرسة عائشة أم المؤمنين، وجامعة الإمام الشافعي في داغستان. والمدرسة الشيشانية الكويتية، ومعهد اللغة العربية والدراسات الإسلامية في الشيشان. والمعهد الإسلامي بأنغوشيا. ولكون هذا النوع من المدارس يحتاج إلى إمكانات مادية وبشرية كبيرة، الأمر الذي تقتصر إليه المنطقة؛ فقد بادرت المؤسسات الإسلامية الخارجية إلى دعم العديد من المدارس والكليات الإسلامية بما تستطيع من كوادر بشرية ومناهج وخبرات تعليمية وتربوية وإدارية ، وتقديم الدعم المادي والمعنوي^(٢) .

(١) انظر : د/ شيخ سعيدوف عمري "الإسلام في داغستان ص ١١ .

(٢) انظر تفصيل ذلك في : الفصل الثاني، المبحث الأول ، المطلب الثاني "المؤسسات الخارجية" ص ٢١٥ .

(٢) حلقات العلم والعلماء .

العلماء هم ورثة الأنبياء ، الذين بهم يقوم الدين ، وينتشر الخير . ولو خلت الأمة من العلماء لضلت وهلكت ، وما عرفت العلم ولا الدين على الوجه السليم . والعلماء هم الذين يلتف حولهم المسلمون عند الملمات - وتاريخ المنطقة شاهد على ذلك - فهم المرجع للأمة في أمورها الخاصة والعامة . من هنا فقد حرص الشيوعيون على إبادتهم واستئصالهم ، ثم اتخذوا رؤوساً جهالاً عملاء ليضلوا الناس بغير علم^(١) . غير أن الله تعالى حفظ طائفة من علماء داغستان الأخيار الربانيين . فهم يقومون بالتعليم والدعوة والتوجيه والإرشاد سراً وعلانية إلى يومنا هذا ، كما قال تعالى: "وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون"^(٢) . ومن جملة أولئك العلماء الشيخ حسام الدين الطبرساني الكريخي ، والشيخ محمد نور الهركاني ، والشيخ إلياس الأقوشي - رحمه الله - ، والشيخ الدكتور أحمد قاضي - رحمه الله - في داغستان ، والشيخ أحمد حمزه في الشيشان ، والشيخ عيسى بن سلطان في الأنغوش^(٣) .

(١) كثيراً ما أفتى بعض أولئك الذين اتخذهم الشيوعيون مفتين بفتاوى غريبة استرضاءً لأسيادهم ، ومن ذلك قولهم بأن صيام ثلاثة أيام من شهر رمضان يغني عن صيام الشهر كله ، وعدم وجوب الزكاة حتى على المقتدر ، وجواز شرب بعض أنواع الخمر ، والقول بجرمة الخروج على الروس ، وغيرها . وصدق المصطفى صلى الله عليه وسلم : "إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالماً ، اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم ، فضلوا وأضلوا" . متفق عليه ، رواه البخاري في صحيحه المطبوع مع فتح الباري (٢/ ٢٥٨) كتاب العلم ، باب كيف يقبض العلم حديث رقم ١٠٠ . ورواه مسلم في صحيحه المطبوع مع شرح النووي (٦/ ١٧١) كتاب العلم ، باب رفع العلم وقبضه حديث رقم ٢٦٢٣ .

(٢) سورة السجدة ، آية ٢٤ .

(٣) انظر ترجمة بعض أولئك العلماء في : الفصل الثاني ، المبحث الأول ، المطلب الثالث "الشخصيات العلمية والدعوة" ص ٢٣٩ .

(٣) ترجمة وإصدار الكتب والنشرات :

لاريب أن الكتاب أحد أهم مصادر التلقي والتعليم، فهو الركن الركين، والمرجع الأمين؛ وكم عانى العلماء والدعاة من النقص الشديد في الكتب سيما في سنوات الحكم الشيوعي؛ وأمام هذا النقص الشديد في الكتب الشرعية، كان طلاب العلم يلجأون إلى تقسيم الكتاب الواحد أقساماً عدة، يأخذ كل طالب قسماً منها بالتناوب، وربما نسخ الكتاب باليد كي يتسنى لأكبر عدد ممكن من طلبة العلم الإطلاع عليه^(١).

ومع الافتتاح على العالم الخارجي والتواصل مع العالم الإسلامي، أصبح لزماً على الدعاة العمل على ترجمة وإصدار الكتب الموثقة التي من شأنها أن ترفع بعض الجهل، وتيسر على طلاب العلم التحصيل والتزود من علوم الإسلام. ومع تضافر الجهود أثمرت الأعمال نتائج لا بأس بها - رغم تأخرها بعض الشيء -.

لقد جاءت ترجمة وإصدار الكتب والنشرات تقوياً لما هو سائد في المجتمع من مفاهيم وتصورات خاطئة حول الإسلام، حيث يظن البعض أن هذا الدين إنما هو أداء لبعض الشعائر وحسب، وأنه لا يمثل منهجاً حضارياً، ولا قيماً سامية. فالإسلام - في نظر أولئك - لا علاقة له بالمجتمع المدني، ولا تأثير له في الحياة. كما أنها جاءت تقوياً للمعتقدات المنحرفة والعبادات البدعية التي يظن كثير من الناس أنها من الدين وهي ليست من الإسلام في شيء.

لقد كان للترجمة وإصدار الكتب والنشرات أثرها الفاعل في مواجهة الفكر الإلحادي، حيث لا يزال بعض الأساتذة في الجامعات يؤمنون بأن الطبيعة هي الخالقة، وأن الكون جاء

(١) ذكره بعض من التقاهم الباحث .

صدفة ! ومنهم من يؤمن بعدم وجود العدل في الكون - والعياذ بالله - فهو ينفي يوم الحساب ! وغير ذلك من المعتقدات الباطلة التي هي من تأثير الشيوعية البائدة. فكان للكتب والنشرات أثرها الواضح على معتنقي تلك الأفكار وغيرهم ، حتى قال أحد الأساتذة في إحدى الجامعات الحكومية بعد قراءته إحدى الرسائل: "ما كنا نتوقع أن يكون للإسلام علاقة بالحياة بهذا الشكل ، وأن يكون له دور فاعل في حياتنا العقلية والنفسية والروحية والمادية ! " ^(١) .

والجدول التالي يبين بعضاً من الكتب والرسائل والنشرات التي ترجمت أو ألفت ووزعت في المنطقة .

^(١) ذكره أحد الإخوة الدعاة عندما التقاه الباحث .

جدول رقم (٢) بيان ببعض الكتب والرسائل التي ترجمت أو ألفت في شمال شرق القوقاز .

تسلسل	اسم الكتاب أو الرسالة	المؤسسة المصدرة	ملاحظات
(١)	ترجمة معاني القرآن الكريم	الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية	طبعة فاخرة باللغة الروسية
(٢)	تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان . للعلامة عبد الرحمن السعدي .	جمعية إحياء التراث الإسلامي .	مترجم إلى الروسية
(٣)	تعليم العربية لغير الناطقين بها . إصدار جامعة أم القرى .	هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية .	باللغة العربية
(٤)	حوار مع صديقي الملحد . تأليف: مصطفى محمود .	جمعية الإصلاح الاجتماعي	مترجم إلى الروسية
(٥)	كتاب التوحيد للشيخ صالح الفوزان	مؤسسة الحرمين الخيرية	مترجم إلى الروسية
(٦)	أركان الإسلام والإيمان .	هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية	باللغة الروسية
(٧)	شخصية المسلم	دار البدر للنشر بداعستان	باللغة الروسية
(٨)	الرحيق المختم للمباركفوري	دار البدر للنشر بداعستان	مترجم إلى الروسية
(٩)	المستقبل للإسلام لسيد قطب	الاتحاد الإسلامي للمنظمات الطلابية	مترجم إلى الروسية
(١٠)	الله جل جلاله للشيخ سعيد حوى .	هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية .	مترجم إلى الروسية
(١١)	كيف نفهم التوحيد لباشميل	مؤسسة الحرمين الخيرية	مترجم إلى الروسية
(١٢)	تعريف عام بالإسلام .	جامعة الإمام الشافعي بدعم هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية .	مؤلف باللغة الروسية

(١٣)	الإسلام والمجتمع .	جامعة الإمام الشافعي بدعم هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية	مؤلف باللغة الروسية
(١٤)	الصلاة .	جامعة الإمام الشافعي بدعم هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية	مؤلف باللغة الروسية
(١٥)	الأربعين النووية	الاتحاد الإسلامي للمنظمات الطلابية	مترجم إلى الروسية
(١٦)	تحكيم القوانين للشيخ محمد بن إبراهيم	مؤسسة الحرمين الخيرية	مترجم إلى الروسية
(١٧)	مناسك الحج	جامعة الإمام الشافعي بدعم هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية.	مؤلف باللغة الروسية
(١٨)	أحكام الحج والعمرة	مؤسسة البراهيم الخيرية	مؤلف باللغة الروسية
(١٩)	ومضات من حياة الإمام شامل .	جامعة الإمام الشافعي بدعم هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية.	مؤلف باللغة الروسية
(٢٠)	مجموعة رسائل ونشرات حول: عقيدة الإسلام . الإسلام والمجتمع . الإسلام والمرأة . الإسلام والاقتصاد . الإسلام والسياسة الإسلام والعلاقات الدولية .	جامعة الإمام الشافعي بدعم هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية.	مؤلفة باللغة الروسية

(٤) مناشط علمية أخرى :

فبالإضافة إلى ما سبق فإن ثمة مناشط أخرى تسهم في التوعية والتعليم ، وتشكل محاضن علمية تبني العقول وتنتشر العلوم . ومن ذلك ما يلي :

(أ) محاضرات وندوات ومؤتمرات تنظمها المراكز الإسلامية والمؤسسات الخيرية والمدارس الدينية .

(ب) مكاتب خاصة يشتمل بعضها على مخطوطات قيمة ونادرة ، وهي تتركز في الجبال الواقعة غرب وشمال غرب داغستان^(١) .

(ج) مخيمات ثقافية تربوية تنظمها المراكز الإسلامية والمؤسسات والمعاهد .

(د) مجلات وصحف إسلامية تصدر أسبوعياً مثل مجلة "نور الإسلام" التي يصدرها حزب النهضة الإسلامي بـداغستان ، وصحيفة "السلام" التي تصدرها الإدارة الدينية بـداغستان^(٢) .

(هـ) مسابقات حفظ القرآن الكريم الدورات الشرعية التي تنظمها المعاهد والمؤسسات والمراكز والإدارات الدينية .

(و) مناشط نسائية تسهم في توعية المرأة المسلمة ، وتبصرها برسالتها في تربية الأبناء ، حيث تنشط بعض المراكز والمؤسسات الإسلامية في ذلك .

(١) ذكره للباحث د/ عبد الحميد داغستاني ، والأستاذ هانيء المهدي وغيرهما .

(٢) انظر : مصطفى الطحان "مستقبل الإسلام في القوقاز" ص ١٦٧ .

(ز) مقررات دراسية في بعض المناهج المدرسية الحكومية ، ومثال ذلك إقرار تدريس مادة "أسس الإسلام" بجمهورية أنغوشيا .

(ح) بعثات دراسية إلى الجامعات في الدول العربية والإسلامية .

(ط) برامج ثقافية إسلامية مرئية في قناة القوقاز الشيشانية وبعض قنوات التلفزة الأخرى .

وبهذا نكون قد ألقينا الضوء على الأحوال العلمية في المنطقة ، وبه نكون قد استكملنا الحديث عن أحوال المسلمين في شمال شرق القوقاز .

الفصل الثاني :

الجهود الدعوية في شمال شرق القوقاز .

ويتضمن المباحث التالية :-

المبحث الأول :

القائمون بالدعوة.

المبحث الثاني :

مضمون الدعوة.

المبحث الثالث:

الوسائل والأساليب .

المبحث الأول :

القائمون بالدعوة في شمال شرق القوقاز.

ويشتمل على ثلاثة مطالب كما يلي :

المطلب الأول :

المؤسسات الداخلية.

المطلب الثاني:

المؤسسات الخارجية

المطلب الثالث:

الشخصيات العلمية والدعوية .

المطلب الأول:

المؤسسات الداخلية :

وهي تنقسم إلى التالي :

أولاً: المؤسسات الحكومية :

(أ) وزارات الإعلام.

(ب) وزارة الداخلية في الشيشان .

(ج) المحاكم الشرعية في الشيشان.

ثانياً: المؤسسات شبه الحكومية والأهلية :

(أ) الإدارات الدينية في داغستان .

(ب) الإدارتان الدينيتان في الشيشان وفي الأنغوش .

(ج) مركز الرسالة الإسلامي في الشيشان.

إن تشريع الدعوة إلى الله تعالى يهدف إلى إرشاد البشرية إلى أعظم حق في هذا الوجود؛ إذ بدون الدعوة إلى الله لا يتمكن البشر من عبادة ربهم على الوجه الذي يرضيه سبحانه ، ويقعون في تحبط بأمر خلقهم ، والغرض منه ، ومآلهم ومصيرهم ؛ فتغلب عليهم

الضلالات والأوهام ، كما قال ربنا جل شأنه : "لم كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد" .^(١)

يقول الإمام الشوكاني^(٢) في "فتح القدير" : "والمعنى : أنه صلى الله عليه وسلم يخرج الناس بالكتاب المشتمل على ما شرعه الله لهم من الشرائع مما كانوا فيه من الظلمات إلى ما صاروا إليه من النور" .^(٣)

ولا ريب أن إرشاد البشرية حتمي ، وهو يحتاج اليوم إلى جهود جبارة بعد أن انفلت زمام العقل وطغت ظلمات الإلحاد وانحسرت القيم الخلقية وضيعت المادية حياة كثير من الناس .

وإن طبيعة شعوب المنطقة في شمال شرق القوقاز محبة للإسلام متمسكة به جيلاً بعد جيل ، رغم رياح المحن العاتية التي عصفت بها منذ عهد الإمام شامل إلى زمننا المعاصر ، غير أن الظاهرة الملفتة للنظر العودة الحثيثة المتسارعة للدين من قبل أبناء المنطقة هناك نتيجة جهود تبذلها مؤسسات وعلماء ودعاة نذروا أنفسهم للجهاد والدعوة في سبيل الله تعالى .

ومن أهم المؤسسات التي تقوم بواجب الدعوة ما يلي :

^(١) سورة إبراهيم : الآية ١ .

^(٢) الإمام الشوكاني: هو محمد بن علي بن محمد الشوكاني . فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن ، ولد بهجرة شوكان باليمن عام ١١٧٣هـ (١٧٦٠م) ، ونشأ بصنعاء وولي قضاءها عام ١٢٢٩هـ ومات حاكماً بها . له ١١٤ مؤلفاً ، منها "نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار" و "البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع" و "فتح القدير" في التفسير ، و "إرشاد الفحول" في أصول الفقه وغيرها . توفي عام ١٢٥٠هـ (١٨٣٤م) انظر : "الأعلام" ٢٩٨/٦ .

^(٣) محمد بن علي الشوكاني "فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير" ١١١/٣ ، ط دار ابن كثير - دمشق ، ١٤١٤هـ (١٩٩٤م) .

أولاً: المؤسسات الحكومية :

يستطيع المتابع لواقع الدعوة الإسلامية في شمال شرق القوقاز تحديد الجهات الحكومية التي لها بعض الإسهامات والجهود في مجال الدعوة الإسلامية، حيث يمكن حصرها في الجهات الثلاث التالية:-

(أ) وزارات الإعلام في الجمهوريات الثلاث :

فقد بدأت الأجهزة الإعلامية التابعة لوزارات الإعلام، من قنوات التلفزة والإذاعات والصحف مسيرة الرغبة الشعبية الجارحة في العودة إلى الدين الإسلامي بعد تفكك وانحيار الاتحاد السوفيتي السابق، فأصبح الأذان للصلوات يسمع بين الحين والآخر في قنوات التلفزة، كما أصبح نقل خطب الجمعة من بعض مساجد العواصم في شمال شرق القوقاز أمراً مألوفاً. وكثيراً ما بُثت برامج دينية ووعظية في تلك الوسائل الإعلامية لا سيما في شهر رمضان المبارك ومواسم الحج والعيدين^(١).

(ب) وزارة الداخلية بجمهورية الشيشان :

حيث تسهم وزارة الداخلية الشيشانية بجهود طيبة، لا سيما في عهد الوزير الدكتور إسلام حليموف الذي دخل الوزارة في عهد الرئيس أصلان مسخادوف بعد فوزه بانتخابات عام ١٤١٧هـ (١٩٩٧م). فقد بذل الوزير جهوداً كبيرة في منع المحرمات الشرعية

(١) لاحظ الباحث ذلك ونقل إليه من أشخاص عدة .

كشرب الخمر والبغاء، كما بذل جهوداً كبيرة في استتباب الأمن والحد من الجريمة في مجتمع يمتلك غالبية أفراده أنواعاً من الأسلحة^(١).

(ج) المحاكم الشرعية بجمهورية الشيشان قبل تغيير القائمين عليها عام ١٤١٨ هـ (١٩٩٨ م):

لقد كان تطبيق الشريعة الإسلامية حلماً يراود الشعب الشيشاني طالما رددته الرئيس الراحل جوهر دودايف - رحمه الله تعالى - حتى رأت النور في عهد خلفه الرئيس سليم خان حيث أصدر مرسوماً يقضي بذلك. وبعد إجراء الانتخابات حقق الرئيس المنتخب مسخادوف تلك الرغبة بإنشاء المحاكم الشرعية، واختير لإنجاز تلك المهمة مجموعة من طلبة العلم الذين أنشأوا معهداً للقضاء الشرعي يهدف إلى تأهيل كوادر قادرة على القيام بهذه المهمة، وبعد تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية استتب الأمن وساد العدل - بشهادة الكثيرين على ذلك - حيث كان القائمون عليها من الدعاة وطلبة العلم الأخيار، غير أن الاستعجال في تطبيق الحدود الشرعية في مجتمع لم يهيأ إلى ذلك بعد، وارتكاب بعض الأخطاء في التطبيق^(٢) الذي تزامن مع حملة مغرضة قادتها موسكو للتنديد بتطبيق الشريعة الإسلامية، كل ذلك أدى إلى حالة من التذمر نتج عنها في نهاية المطاف إصدار الرئيس الشيشاني أمراً بتغيير القائمين على أمر تلك المحاكم.

واستبدل القائمون عليها بآخرين من الإدارة الدينية ليسوا من أصحاب العلم - في الغالب - مما أدى إلى زيادة الفوضى في المجتمع وضعف الأمن وانتشار السرقات والخطف والردائل. عندئذ أدرك الرئيس حجم الخطأ الذي ارتكبه فقدم اعتذاره لرجال المحاكم

(١) التقى الباحث بالوزير في جمهورية الشيشان وفي دولة الكويت، وتعرف على جهودهم من مصادر عدة.

(٢) ذكره بعض القائمين على أمر المحاكم.

الشرعية الذين أمر بإقالتهم . وتجلت الأمور أكثر عندما قامت روسيا بضرب الشيشان، حيث أصبح واضحاً للعيان أهداف السياسة الروسية في زرع بذور الفتنة في أوساط الشعب الشيشاني ، ليسهل عليها بعد ذلك مواجهته متفرقاً ممزقاً لاستئصاله والقضاء عليه^(١) .

ثانياً : المؤسسات شبه الحكومية .

وهي تلك المؤسسات المدعومة من قبل السلطات المحلية والسلطات المركزية في موسكو ، وهي على وجه التحديد ما يلي:-

(أ) الإدارات الدينية في داغستان :

يعود تاريخ إنشاء الإدارات الدينية في روسيا إلى العهد السوفييتي البائد ، حيث أنشئت تلك الإدارات بهدف دعم النشاط العسكري الروسي في مواجهة خصومها في الحرب العالمية الثانية، ومراقبة المسلمين والتجسس عليهم من خلال تعيين شخصيات ذات ولاء للحكم الشيوعي على رأس تلك الإدارات^(٢) .

ومع هبوب رياح التغيير ومجيء البيروسترويكا طرأ بعض التغير الإيجابي على تلك الإدارات وعلى بعض القائمين عليها . كما أن أعدادها قد زادت ، ففي داغستان وحدها أنشئ ما يقرب من عشر إدارات دينية ، كل واحدة منها تمثل قومية، ولكل واحدة منها مفتي . فلقومية الأوار إدارتها الدينية ومفتيها، وللقوموق إدارتها ومفتيها، وللدارغين مثل

(١) استجمع الباحث ذلك من مصادر عدة تمثلت في لقاءات شخصية من داخل الشيشان .

(٢) انظر : د/ إحسان حقي "المسلمون في الاتحاد السوفييتي" ص ٢٦٧ وما بعدها .

١ وانظر : سعيد بينو "الشيشان والاستعمار الروسي" ص ٢٣٢ .

ذلك، وللذين مثل ذلك، وغيرهم، وغيرهم.. وأكبر تلك الإدارات هي التي تمثل الأوار (أكبر القوميات عدداً) وهي المدعومة من قبل الدولة.

ومن أهم جهود الإدارات الدينية ما يلي :

(١) الإجابة على أسئلة الناس، والإفتاء في القضايا الفقهية والمستجدات الحياتية والنوازل التي تطرأ على المجتمع. ويكون ذلك بوسائل عدة كاللقاءات المباشرة مع الجمهور، وفي وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة. وكذلك من خلال الصحيفة الأسبوعية التي تصدرها الإدارة الدينية بداعستان^(١) بعنوان "السلام" حيث تشتمل على باب خاص للفتاوى^(٢).

(٢) تشرف الإدارات الدينية على بعض المساجد في المدن والقرى، وترعاها من حيث تعيين الأئمة والمؤذنين ومتابعة أداء رسالتهم الدعوية.

(٣) تنظم الإدارة الدينية الرئيسة بداعستان المحاضرات والندوات والمؤتمرات في المدن والقرى بهدف التوعية الإسلامية.

(٤) تشرف الإدارات الدينية على المعاهد والمدارس الدينية التابعة لها في المدن والقرى التي افتتحت في السنوات الأخيرة.

(٥) الاهتمام بتعليم وتحفيظ القرآن الكريم للشبيبة والناشئة، وتنظيم المسابقات ورصد الحوافز التشجيعية لذلك.

(١) المراد بها إدارة قومية الأوار .

(٢) ذكره بعض من التقاهم الباحث .

فقد كانت الإدارة الدينية بداغستان تنظم سنوياً مسابقة كبرى لحفظ القرآن الكريم يتنافس فيها الشباب والناشئة وترصد لها الجوائز القيمة التي يتبرع بها التجار كالسيارات والأجهزة الكهربائية وغيرها . وقد اشترك الأوائل من الفائزين في المسابقة العالمية التي تعقد بجمهورية مصر العربية سنوياً في ليلة ٢٧ من شهر رمضان المبارك، حيث فازت الطفلة الداغستانية "زهيرة" التي تبلغ من العمر خمس سنوات في مسابقة عام ١٤١٧هـ (١٩٩٧م) حيث حفظت سبعة أجزاء من القرآن الكريم . وقد كان لهذا الحدث أصداء طيبة جداً في داغستان، لا سيما وأن الرئيس المصري قد كرمها بجائزة وزارة الأوقاف بجمهورية مصر العربية، كما كرمتها الإدارة الدينية وأهل منطقتها بداغستان بجوائز وهدايا كثيرة عند عودتها، وأعدوا لها احتفالاً تكريمياً كبيراً^(١).

(٦) استطاعت الإدارة الدينية بداغستان تخصيص مساحة زمنية أكبر في وسائل الإعلام المرئية والمسموعة للبرامج الدينية ، حيث أصبح للإدارة برامجها الوعظية والتثقيفية الأسبوعية . كما أصبح تعظيم الشعائر الإسلامية كاللحج ورمضان والعيدین سمة ظاهرة في وسائل الإعلام.

(٧) للإدارات الدينية جهود دعوية طيبة في مناطق أخرى خارج داغستان ، ولاسيما تلك التي يوجد بها جاليات داغستانية ، فقد اعتادت الإدارة على إرسال وفود من الدعاة إلى البلدان المجاورة والبعيدة بهدف دعوة غير المسلمين إلى الإسلام ، وتلبية رغبات الجاليات المسلمة خارج الوطن بإرسال الأئمة والخطباء، وبناء المساجد وما إلى ذلك .

(١) ذكره بعض الطلاب الداغستان الدارسين في مصر .

ومن أمثلة ذلك مشاركة الإدارة بداغستان في بناء وافتتاح أول مسجد في "جمهورية كالميكيا" البوذية المجاورة لداغستان من جهة الشمال، وعينت الإدارة إماماً وخطيباً لذلك المسجد .

وكذلك الحال في مدينة "مورمانسك" شمال روسيا، وفي سيبيريا ، واستراخان، وغيرها ، حيث بعثت الإدارة بعض الدعاة يعلمون أبناء المسلمين وغيرهم هناك اللغة العربية، ومباديء وشعائر الإسلام^(١) .

(ب) الإدارتان الدينيتان في الشيشان وفي الأنغوش .

أنشئت الإدارة الدينية في جمهورية الشيشان، والإدارة الدينية في جمهورية الأنغوش بعد تفكك الاتحاد السوفيتي . وجهود هاتين الإدارتين لا تختلف في جوهرها عن جهود الإدارة الدينية في داغستان، وهي تلخص في التالي:

- (١) الإشراف على بعض المساجد .
- (٢) الإشراف على بعض المعاهد .
- (٣) تعليم الشبيبة والناشئة اللغة العربية وحفظ القرآن الكريم .
- (٤) إعلان مواعيد دخول شهر رمضان المبارك والعيدين .
- (٥) الإجابة على أسئلة الناس الدينية .
- (٦) العمل على حل مشكلات الناس، ولاسيما المنازعات .

(١) ذكره بعض من التقاهم الباحث .

(٧) إلقاء بعض المحاضرات الدينية في وسائل الاعلام ، لاسيما في شهر رمضان المبارك.

(٨) إعداد منهج للتربية الإسلامية في المدارس الحكومية في أنغوشيا .

(٩) التصديق على عقود القران^(١).

(١) ذكره مفتي أنغوشيا في لقاء مع الباحث .

(ج) مركز الرسالة (جمهورية الشيشان) :

مركز الرسالة الإسلامي مؤسسة اجتماعية دعوية مسجلة رسمياً لدى الحكومة الشيشانية عام ١٤١٣هـ (١٩٩٣م)، وهي الوحيدة من نوعها في العاصمة غروزني. يرأسها الشيخ أحمد حمزة متايف. يهدف المركز إلى :

(١) الدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة .

(٢) العمل على تصحيح عقائد المسلمين وتقويم سلوكهم وأخلاقهم .

(٣) غرس مفاهيم وقيم الإسلام وتربية الشباب وتنشئته عليها^(١) .

وقد نشط القائمون على المركز في مجال الدعوة إلى الله تعالى ، فنظموا برامج كثيرة خلال عمر المركز القصير، ومن جملة تلك البرامج ما يلي :

أ- إقامة دورات شرعية في جوانب عدة شارك فيها المئات من الفتيّة والفتيات .

ب- تنظيم ندوات ومحاضرات اجتماعية وثقافية لتوعية الشباب بدوره ورسالته .

ج - إعداد برامج إذاعية ومثلفزة، ثم بثها في وسائل الإعلام الشيشانية، لا سيما قناة القوقاز التلفزيونية .

(١) لقاء للباحث مع الشيخ أحمد حمزة متايف في العاصمة الشيشانية غروزني بتاريخ ١٤١٩/٦/٥هـ (٩/٢٥)

د- ترجمة الكتب الإسلامية المعتمدة إلى اللغة الشيشانية والروسية وتوزيعها، وذلك بالتعاون مع المؤسسات الخيرية.

هـ - إعداد مشروع لترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الشيشانية بأسلوب مبسط، ويقوم على إعداد هذا المشروع الشيخ أحمد حمزة رئيس المركز.

و - إنشاء مركز لتعليم الكمبيوتر حيث يتم تأهيل الطلاب من خلال دورة مكثفة لمدة ثلاثة أشهر، تغرس خلالها القيم الإسلامية .

ز- يقوم المركز بتيسير اتصال المؤسسات الإغاثية مع الحكومة الشيشانية من أجل إنجاز الأعمال القانونية، وتسهيل الإقامات والسكني لهم.

ح - يتعاون المركز مع المؤسسات الخيرية والإغاثية في تنفيذ مشاريعها، مثل حصر الأيتام لكفالتهم، وانتقاء الطلاب المتميزين للدراسات الإسلامية العليا في الخارج، وجمع المعلومات عن القرى والمناطق ذات الحاجة إلى بناء مساجد، ونشر الكتب الإسلامية والأشرطة باللغة العربية والمترجمة، وما إلى ذلك .

ي - تم إنشاء مركز نسائي ملحق بمركز الرسالة يقوم على توعية الأخوات المسلمات بدورهن ورسالتهم في الأسرة والمجتمع. وقد أقام هذا المركز مناشط عدة تحتص بالمرأة المسلمة^(١).

(١) لقاء مع الشيخ أحمد حمزة، وانظر: خطاب موجه من مركز الرسالة إلى هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية يشرح جهود المركز في مجال الدعوة، بتاريخ ١٩/١١/١٤١٤هـ (٣٠/٤/١٩٩٤م).

المطلب الثاني :

المؤسسات الخارجية :

تقوم مؤسسات عدة بجهود دعوية وإغاثية متميزة في المنطقة، ومن أهمها :

أولاً : هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية .

ثانياً : الندوة العالمية للشباب الإسلامي .

ثالثاً : جمعية الإصلاح الاجتماعي الكويتية .

رابعاً : مؤسسة الحرمين الخيرية .

خامساً : اللجنة السعودية المشتركة لإغاثة كوسوفا والشيخان .

سادساً : مؤسسات أخرى .

وتفصيل ذلك كما يلي :

أولاً : هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية :

انبثقت هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية عن رابطة العالم الإسلامي^(١) ، وبرزت الهيئة للوجود عام ١٣٩٨هـ (١٩٧٨م) . وهي هيئة شعبية تحتضنها المملكة العربية السعودية ، وتلقى دعماً من المسلمين في مختلف بقاع العالم . وتقوم الهيئة بجهود كبيرة وموفقة لمساعدة

(١) رابطة العالم الإسلامي: أنشئت عام ١٣٨١هـ (١٩٦٢م) في مكة المكرمة، وتضم ممثلين من مختلف البلاد الإسلامية. وتعمل الرابطة على دعم تضامن المسلمين ، والاهتمام بنشر الفكر الإسلامي ، والدعوة إلى دين الله تعالى ، ودعم جهاد الشعوب المسلمة . انظر : د/ صالح بن غانم السدلان "الأنشطة الدعوية في المملكة العربية السعودية" ص ٢٢١ ، ط ١ دار بلنسية - الرياض ، ١٤١٧هـ (١٩٩٧م) .

المسلمين في كل مكان من خلال الأعمال الخيرية النبيلة في المجالات الإغاثية والتعليمية والدعوية وغيرها^(١).

لقد رأت الهيئة ضرورة مديد العون للاخوة المسلمين في الاتحاد السوفيتي السابق بعد انهياره، فأنشأت لذلك لجنة خاصة اختارت لها شاباً نشطاً وشيخاً فاضلاً هو الدكتور عبد الحميد بن جعفر داغستاني، حيث عُيِّن مديراً إقليمياً لأنشطة الهيئة في الجمهوريات المسلمة التي استقلت عن الاتحاد السوفيتي السابق وروسيا ومقره في العاصمة الأذرية باكو. ونستطيع أن نعرف على أهم جهود هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية في منطقة شمال شرق القوقاز بما يلي :

(١) الجهود الإغاثية :

إن من أهم أهداف الهيئة إغاثة المنكوبين والمتضررين، والعمل على تخفيف وطأة المصائب الذي ألم بهم، ومن هنا فإن الهيئة قد نشطت في المجال الإغاثي حيث افتتحت مكتباً فرعياً في العاصمة الداغستانية "محاج قلعة" وذلك عام ١٤١٤ هـ (١٩٩٤م)، وهي بذلك أول مؤسسة إسلامية عالمية تصل إلى المنطقة وتسهم في إغاثة المنكوبين والمتضررين. ومن أهم إنجازات الهيئة في المجال الإغاثي والصحي ما يلي:-

(أ) تقديم مساعدات إنسانية لجمعية المكفوفين في داغستان وذلك في شهر صفر من عام ١٤١٥ هـ (يوليو ١٩٩٤م)^(٢).

(١) انظر : د/ صالح بن غانم السدلان "الأنشطة الدعوية في المملكة العربية السعودية"، ص ٢٨٣ .

(٢) من وثيقة هيئة الإغاثة (مكتب محاج قلعة) بتاريخ ١٢ / ٥ / ١٤١٥ هـ (١٧ / ١٠ / ١٩٩٤م) .

(ب) بعد إصابة بعض مناطق داغستان بوباء الكوليرا عام ١٤١٥هـ (١٩٩٤م). قدمت الهيئة مساعدات طبية تم توزيعها على ثماني مستشفيات ومراكز صحية في المناطق المتأثرة بالوباء، وتشمل عشرة أطنان من الأدوية والمستحضرات الطبية، وقد كان لهذه المساعدات أثر طيب على المستوين الشعبي والرسمي^(١).

(ج) على إثر المشكلة الحدودية التي نشبت بين أنغوشيا وأوسيتيا الشمالية عام ١٤١٥هـ (١٩٩٤م) قامت الهيئة بإرسال مساعدات إنسانية للمسلمين الأنغوش الذين طردوا من قراهم وبيوتهم^(٢).

(د) مساعدة المتضررين من فيضانات بحر قزوين. فقد حدثت فيضانات لبحر قزوين في جمهورية داغستان أصابت جزيرة "تشيشين"، لم يحدث لها مثل منذ ما يزيد عن مائة عام، تضرر على إثرها الآلاف. وقد تمثلت مساعدات الهيئة في إرسال مواد غذائية عاجلة إلى المتضررين^(٣).

(هـ) بعد الاجتياح الروسي لجمهورية الشيشان ونزوح آلاف اللاجئين الذين قصفت قراهم وبيوتهم، حيث نزحوا إلى جمهوريتي داغستان وأنغوشيا، أسرعت الهيئة لإغاثة أولئك المتضررين المنكوبين، وقد تمثلت مساعداتها في التالي:

١- فتح ثلاثة مراكز في داغستان لاستقبال اللاجئين وتوزيع المواد الغذائية والملابس والأدوية عليهم.

(١) المصدر السابق .

(٢) من وثيقة هيئة الإغاثة (مكتب موسكو) بتاريخ ٢٨/٣/١٤١٥هـ (١٩٩٤/٩/٤م) .

(٣) من وثيقة هيئة (مكتب باكو) بتاريخ ٢٧/١/١٤١٦هـ (١٩٩٥/٦/٢٥م) .

٢- تقديم أكثر من سبعمائة طن من المواد الغذائية للاجئين الشيشان في كل من داغستان وأنغوشيا . وتوزع عشرات الحاويات من الملابس والمواد الطبية .

٣- فتح وتشغيل مستشفيات لمعالجة مرضى السل في داغستان .

٤- فتح وتشغيل سبع عيادات طبية في جمهوريتي داغستان وأنغوشيا . وقد حصلت الهيئة نتيجة ذلك على خطابات شكر مقدمة من حكومتي داغستان وأنغوشيا وقباردين بلقار وروسيا^(١) .

(هـ) تنفيذ برنامج إفطار صائم وبرنامج الأضاحي ، حيث يستفيد من هذين البرنامجين آلاف المحتاجين من المسلمين الشيشان والداغستان . وقد أنفق على برنامج إفطار الصائم لشهر رمضان من عام ١٤١٦هـ ما مجموعه ٦٩,٣٣٣ ألف دولار^(٢) .

(و) كفالة المئات من الأيتام الشيشان الذين فقدوا الأبوين في الحرب^(٣) .

(٢) الجهود التعليمية والدعوية :

لقد كان لهيئة الإغاثة الإسلامية العالمية جهود تعليمية ودعوية طبية في شمال شرق القوقاز- لاسيما في داغستان - فقد بلغ عدد المعاهد والمدارس الرئيسة التي أنشأتها أو كفلتها الهيئة ثلاثة، هي على النحو التالي:-

(أ) جامعة الإمام الشافعي الإسلامية في داغستان (بنين) .

^(١) من وثيقة لهيئة الإغاثة (مكتب موسكو) عام ١٤١٥هـ (١٩٩٦م) .

^(٢) من وثيقة لهيئة الإغاثة (مكتب باك) بتاريخ ١٨/٩/١٤١٦هـ (١٩٩٦/٢/٧م) .

^(٣) من وثيقة لهيئة الإغاثة (مكتب باك) بتاريخ ٢٧/١٠/١٤١٦هـ (١٩٩٦/٣/١٦م) .

(ب) مدرسة عائشة أم المؤمنين في داغستان (بنات) .

(ج) معهد زين العابدين في داغستان (بنين) .

وقد بلغ عدد الأساتذة المعلمين والمعلمات العرب ما يقرب من خمسة وعشرين معلماً ومعلمة عام ١٤١٦هـ (١٩٩٦م) ، أما عدد المعلمين والمعلمات المحليات فقد زاد عن المائة^(١) .

(٢) والجدول التالي يبين عدد الطلاب ، ونوعية التعليم للمؤسسات التعليمية سابقة الذكر:-

جدول رقم (٣) : بيان ببعض المؤسسات التعليمية المكفولة من هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية بـداغستان وعدد طلابها ونوعية تعليمها عام ١٤١٦هـ (١٩٩٦م)^(٢) .

الرقم	المؤسسة التعليمية	عدد الطلاب	نوعية التعليم
(١)	جامعة الإمام الشافعي الإسلامية (بنين)	٣٥٠	لغة عربية + علوم إسلامية + كمبيوتر
(٢)	مدرسة عائشة أم المؤمنين (بنات)	١٥٠	لغة عربية + علوم إسلامية + تدبير منزلي
(٣)	معهد زين العابدين	١٢٠	لغة عربية + علوم إسلامية

(١) من وثيقة هيئة الإغاثة (مكتب باك) بتاريخ ٢٧/١٠/١٤١٦هـ (١٦/٣/١٩٩٦م) .

(٢) المصدر السابق .

بالإضافة إلى ما سبق فإن الهيئة معلمين ودعاة ومحفظين لكتاب الله - تعالى -
منتشرين في مساجد المدن والقرى، وقد زاد عددهم عن مائتي معلم وداعية في منطقة
شمال شرق القوقاز^(١).

تقدم الهيئة في المدارس التي تكفلها كتباً لتعليم اللغة العربية والكتب الشرعية المقررة،
كما تقدم المصحف الشريف أو أجزاء منه لتعليم وحفظ القرآن الكريم. وتقوم الهيئة -
عند الحاجة - بطباعة وتوزيع بعض الكتب التعليمية المطلوبة في المدارس والمعاهد،
ككتاب "تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها" الذي وزع منه ما يقرب من سبعين ألف
نسخة، حيث استفادت منه جل المدارس والجمعيات الخيرية المحلية في المنطقة. وتسهم
الكتب الإسلامية المعتمدة المترجمة التي تقوم الهيئة بطباعتها وتوزيعها بدعم الجهود التعليمية
والتثقيفية، لا سيما مع خلو المنطقة من تلك المؤلفات التي هي في أمس الحاجة إليها^(٢).

ولمزيد من البيان نلقي بعض الضوء على أهم المؤسسات التعليمية التي كانت ترعاها
وتكفلها هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية وهي جامعة الإمام الشافعي الإسلامية .

* جامعة الإمام الشافعي الإسلامية :

تقع جامعة الإمام الشافعي الإسلامية في وسط العاصمة "محاج قلعة" في أهم وأجمل
شوارعها وهو شارع ليتينا، بالقرب من مبنى رئاسة الجمهورية ومجلس الوزراء .

^(١) من وثيقة هيئة الإغاثة (مكتب باك) بتاريخ ٢٧/١٠/١٤١٦هـ (١٦/٣/١٩٩٦م) .

^(٢) المصدر السابق .

ومرافق الجامعة في حالة جيدة ، حيث تشتمل علي الفصول الدراسية ومبنى الإدارة ، بالإضافة إلى المسجد والمكتبة والمطعم . وتجدر الإشارة إلى أن الجامعة منشأة قبل مجيء هيئة الإغاثة إلى المنطقة ، غير أن دعم الهيئة للجامعة علمياً وتربوياً ومادياً أسهم بشكل ملحوظ في تقدم الجامعة، وعلو المستوى العلمي والتربوي لخريجها .

أهداف الجامعة :

- (١) نشر العلم الشرعي المبني على ثوابت القرآن والسنة .
- (٢) تعليم اللغة العربية من أجل فهم القرآن الكريم وتعاليمه .
- (٣) تربية الشباب وتنشئته على تعاليم الإسلام .
- (٤) تأهيل الكوادر اللازمة للقيام بمهمة التعليم والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة^(١) .

أهم إنجازات الجامعة :

خطت جامعة الإمام الشافعي الإسلامية خطوات مميزة رغم حداثة استئناف العمل التربوي والتعليمي فيها ، فقد انتظمت مناهجها وأنظمتها الدراسية، مما انعكس ذلك بشكل إيجابي على التحصيل العلمي والتربوي للطلاب، وأكسبها سمعة طيبة تجاوزت حدود

(١) أفاد بذلك أحد أساتذة الجامعة عندما التقاة الباحث في العاصمة الروسية موسكو في شهر جمادى الأولى ١٤٢٠هـ (سبتمبر ١٩٩٩م) .

داغستان ، وجعل العديد من الصحف المحلية تتابع أخبارها وتشيد بجهود القائمين عليها ، كما حصلت الجامعة على اعتراف رسمي من قبل مجلس الوزراء^(١) .

إن من أهم إنجازات الجامعة أنها خرجت ما يقرب من خمسين طالباً ، وما يقرب من خمس عشرة طالبة ، يمتعون بقدر جيد من التحصيل العلمي الشرعي والتربوي ، ما يؤهلهم بكل جدارة واقتدار للقيام بواجب الدعوة والتعليم على علم وفهم وخلق - بإذن الله تعالى - يتحدث هؤلاء الخريجون العربية بكل طلاقة وكأنهم درسوها في موطنها^(٢) .

وضع الجامعة الآن :

اضطرب وضع الجامعة وضعف مستواها العلمي - بكل أسف - بعد أن غادرها الأساتذة العرب مع نهاية العام الدراسي ١٩٩٩ - ١٤٢٠هـ ، وتوقف الدعم المالي من هيئة الإغاثة الإسلامية ، وتقلص عدد المدرسين . ومعلوم أن أسباب ذلك تعود إلى حالة الحرب التي لحقت المنطقة ، مما ألحق الضرر الكبير بمؤسسات الدعوة الإسلامية في المنطقة .

ثانياً : الندوة العالمية للشباب الإسلامي :

الندوة العالمية للشباب الإسلامي هيئة إسلامية عالمية ، ذات شخصية اعتبارية مستقلة لخدمة الشباب المسلم . تهدف إلى خدمة الفكر الإسلامي ، وتعميق الشعور

(١) المصدر : تقرير مرفوع من إدارة جامعة الإمام الشافعي الإسلامية إلى المدير الإقليمي لهيئة الإغاثة الإسلامية العالمية - فرع موسكو - بتاريخ ٣٠ محرم ١٤١٦هـ (١٩٩٥/٦/٢٨م) - بتصرف - .

(٢) يحفظ الطلاب كتاب "ألفية ابن مالك" في النحو . ويحفظون قدراً جيداً من القرآن الكريم مما يمكنهم من إجابة العربية بطلاقة واقتدار ، وقد أثبت الطلاب ذلك عند اشتراكهم في مسابقات اللغة العربية التي نظمتها الدولة حيث كان نصيبهم في كل مسابقة الفوز بالمركز الأول . ذكره أحد الأساتذة عندما التقاه الباحث .

الديني بالتمسك بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وتصحيح أفكار واتجاهات الشباب المسلم، والتعاون والتنسيق في مجالات النشاط الإسلامي .

لقد شقت الندوة العالمية للشباب الإسلامي طريقها كيئناً كبيراً يضم بين جوانبه منظمات العمل الشبابي الإسلامي في العالم، وملتقى فكرياً يستمد خطته ووجهته من دعوة الإسلام، ومجالاً مناسباً للعمل من أجل شباب الأمة ومستقبله وسلامته كيانه ، وكان ذلك - بفضل الله - عام ١٣٩٢هـ (١٩٧٢م)^(١).

جهود الندوة الدعوية في المنطقة :

إن من أولى أهداف الندوة العمل على تسليح الشباب بالحجة والعلم، من هنا فقد حرصت الندوة على إنشاء المعاهد الشرعية العليا في منطقة شمال شرق القوقاز، وتحديدًا في جمهورية أنغوشيا . كما أن للندوة جهوداً دعوية وإغاثية أخرى . ومن أهم منجزات الندوة ما يلي :

(١) معهد البر الإسلامي :

تأسس المعهد عام ١٤١٥هـ (١٩٩٥م) بمدينة "ملغابيك" بجمهورية أنغوشيا . ومقر المعهد هو نفس مقر الحزب الشيوعي السابق ! وبفضل الله - تعالى - استطاع الأستاذ عيسى بن سلطان (مدير المعهد) أخذ هذا المبنى من الحكومة والعمل على صيائه وترميمه .

^(١) انظر: د/ صالح بن غانم السدلان "الأنشطة الدعوية في المملكة العربية السعودية" ص ٢٠٩ وانظر: "الموسوعة العربية العالمية" ٢٧٢/٢٤ .

بلغ عدد الطلاب في المعهد ١١٢ طالباً عام ١٤١٦هـ (١٩٩٦م). يسكن منهم ٧٧ طالباً في السكن الداخلي، أما الباقون فيبوتهم قرية من المعهد^(١).

أما الأساتذة فهم محليون وعرب، وقد بلغ عدد الأساتذة العرب أربع مدرسين. ومدة الدراسة في المعهد أربع سنوات من غير السنة التحضيرية التي يكون التركيز فيها على تعلم اللغة العربية^(٢).

ومن الجدير بالذكر أن المستوى العلمي لطلاب معهد البر متميز، وذلك نتيجة الجهود الكبيرة التي بذلها مدير الشيخ عيسى سلطانوف لرفع مستوى الكفاءة العلمية والدعوية لطلاب المعهد. أما المناهج الدراسية المقررة فبالإضافة إلى تعلم اللغة العربية والروسية، يحفظ الطالب جزءاً من القرآن الكريم في كل عام، ويتعلم علوم القرآن الكريم، وآيات الأحكام، وأحاديث الأحكام، ومصطلح الحديث، والفقه المقارن، وتجويد القرآن وتلاوته، بالإضافة إلى بعض المواد العلمية الأخرى.

ويذكر أن هذا المعهد قد أغلق عام ١٤١٨هـ (١٩٩٨م) بتحريض من بعض خصوم الدعوة الإسلامية ومن بعض المنتسبين للإدارة الدينية! وبإغلاق هذا المعهد خسرت المنطقة منبعاً من منابع الخير، يأوي إليه العطشى ويلتجئ إليه طلاب الهداية^(٣). وقد أتم

^(١) من تقرير عن زيارة ميدانية لمعهد البرقام بها بعض مسؤولي الندوة العالمية للشباب الإسلامي بتاريخ ٢٨ رجب ١٤١٧هـ (١٩٩٦/١٢/٩م).

^(٢) ذكره الأستاذ عمار البحر مدير مكتب الندوة العالمية في أنغوشيا، حيث التقاه الباحث في موسكو بتاريخ ٩ جمادي الأولى ١٤٢٠هـ (١٩٩٩/٨/٢٠م).

^(٣) التحق بعض طلاب معهد البر بعد إغلاقه بالمعهد الإسلامي، كما التحق البعض الآخر بالجامعات الإسلامية في بعض الدول العربية، وقد التقى الباحث العديد من هؤلاء الطلاب.

بعض طلاب المعهد حفظ القرآن الكريم كاملاً في سابقة أولى في جمهورية أنغوشيا، فكرمهم رئيس الدولة في حفل كبير .

(٢) معهد الملك فهد سابقاً (المعهد الإسلامي حالياً) :

أسس الأستاذ محمد بشير أوشوف معهداً إسلامياً للطلاب والطالبات بمدينة "سليوسفسك" الأنغوشية أسماه "معهد الملك فهد" تيمناً بخادم الحرمين الشريفين ، وذلك عام ١٤١٣هـ (١٩٩٣م)، وطلب من الندوة العالمية دعم جهود المعهد من أجل تحقيق رسالته، وبعد دراسة الطلب وافقت الندوة على دعم المعهد وتزويده ببعض الأساتذة العرب مع ضرورة إعادة النظر بمستوى المناهج الدراسية ، وضرورة تعزيزها وتقويتها، وقد بلغ عدد الطلاب ٩٧ طالباً، وعدد الطالبات ٧٨ طالبة عام ١٤١٦هـ (١٩٩٦م)^(١).

الكادر الإداري والمناهج الدراسية : يتكون الكادر الإداري من :

الأستاذ / محمد بشير أوشوف - مدير المعهد .

الأستاذ/ عبد العزيز (مصري الجنسية) مبعوث من جامعة الأزهر .

بالإضافة إلى أربعة أساتذة عرب بعثتهم الندوة العالمية، تم تعيينهم عام ١٤١٧هـ (١٩٩٧م) واثنان من المعلمات العربيات (زوجات للأساتذة) بعثتهم الندوة العالمية، و ثلاثة عشر أستاذاً محلياً^(٢).

(١) من تقرير عن المعهدين بعد زيارة ميدانية لبعض مسئولي الندوة العالمية بتاريخ ١٤١٧/٨/٢هـ (١٢/١٢/١٩٩٦م).

(٢) ذكر الأستاذ/ عمار البحر في لقاء بتاريخ ١٤٢٠/٥/٩هـ (٢٠/٨/١٩٩٩م).

مدة الدراسة بالمعهد ست سنوات، يتلقى فيها الطلاب والطالبات العلوم التالية:

- القرآن الكريم (تلاوة وحفظاً لبعض أجزائه) .

- الفقه (على مذهب الإمام الشافعي) .

- اللغة العربية، والنحو، والصرف .

- الحديث النبوي .

- اللغة الروسية، واللغة الإنجليزية .

وقد لوحظ على المعهد ضعف مستوى الأساتذة المحليين وضعف ضبط الجوانب

الإدارية^(١) . لم يستمر دعم الندوة العالمية للشباب الإسلامي للمعهد، لا سيما بعد

صدور إجراءات محلية بترحيل الأساتذة العرب بتاريخ ١٤١٩/٤/٧ هـ (١٩٩٨/٧/٣٠ م)

(م)^(٢)، وذلك بتحريض من خصوم الدعوة الإسلامية الروس والمحليين .

(٣) جهود دعوية وإغاثية أخرى :

لم تقتصر جهود الندوة العالمية للشباب على الجهود التعليمية بل تجاوزت ذلك إلى

جوانب أخرى ، نذكر منها ما يلي:

- تنظيم حملات إغاثية لنصرة المسلمين الشيعة .

(١) من تقرير عن المعهد بعد زيارة ميدانية لبعض مسؤولي الندوة العالمية في ١٤١٧/٨/٢ هـ (١٩٩٦/٢١/٢١ م) .

(٢) انظر : صحيفة "لواء الإسلام" باللغة الروسية ، العدد ١-٢ لشهري يناير وفبراير من عام ١٩٩٩ م . كما ذكر ذلك العديد من الدعاة الذين التقاهم الباحث في أنغوشيا .

- بناء عدد من المساجد في المنطقة ، ألحق ببعضها مراكز لتحفيظ القرآن الكريم .

- كفاية بعض الأئمة والدعاة ومعلمي القرآن الكريم .

- طباعة وتوزيع العديد من الكتب والكتيبات في شتى العلوم الإسلامية .

- مساعدة الطلاب للالتحاق بالجامعات العربية والإسلامية ، لا سيما جامعات المملكة العربية السعودية .

- إقامة مشروعات الأضاحي وإفطار الصائم .

ثالثاً : جمعية الإصلاح الاجتماعي الكويتية :

جمعية الإصلاح الاجتماعي مؤسسة إسلامية مقرها دولة الكويت تعني بشئون الدعوة الإسلامية ، وتعمل على نشرها داخل الكويت وخارجها بشتى الوسائل المتاحة بالحكمة والموعظة الحسنة . أنشأت الجمعية لجاناً عدة لتحقيق هدف نشر الدعوة الإسلامية في ربوع الأرض ، منها لجنة الدعوة الإسلامية .

وتهدف لجنة الدعوة الإسلامية في عملها الدعوي الخيري إلى تحقيق التالي:

(أ) تعميق معاني الإيمان بالله - تعالى - وإزالة رواسب الإلحاد والشرك .

(ب) بناء قيم وأخلاق الأمة على ثوابت القرآن الكريم والسنة المطهرة .

(ج) نشر تعاليم الإسلام وتسليح الشباب بالعلم النافع والعمل الصالح .

(د) العمل على رفع معاناة الشعوب المسلمة والنهوض بها من دركات الجهل والفقر

والتخلف .

ومن أهم منجزات لجنة الدعوة الإسلامية في منطقة شمال شرق القوقاز ما يلي:

(١) إنشاء معهد اللغة العربية والدراسات الإسلامية (جمهورية الشيشان):

يعد هذا المعهد الأول من نوعه في جمهورية الشيشان حيث يقع في العاصمة غروزني، وقد أنشئ بالاتفاق مع وزارة التربية الشيشانية من أجل تأهيل طلائع الشباب من الطلاب والطالبات للقيام بمهمة التعليم والتربية والدعوة في مدارس وزارة التربية. ويقوم على شئون المعهد خمسة من الأساتذة العرب ومجموعة من الأساتذة المحليين.

بدأ العمل في المعهد عام ١٤١٣هـ (١٩٩٣م) ثم توقف بعد قيام الحرب، واستؤنف العمل به بعد ذلك، حيث بلغ عدد طلابه عام ١٤١٨هـ (١٩٩٨م) ١٦٠ (مائة وستين) طالباً وطالبة، يدرسون المواد الشرعية الإسلامية واللغة العربية بعمق في أربع سنوات، يحفظون في كل عام جزء ونصف من القرآن الكريم، مع تعلم التلاوة والتجويد ومعاني الآيات القرآنية^(١).

(٢) إنشاء المدرسة الشيشانية الكويتية :

تقع المدرسة الشيشانية الكويتية في مدينة آرغون التي تبعد قرابة ١٥ كم عن العاصمة غروزني. ويبدأ الطلاب الالتحاق بالمدرسة من الصف الخامس (أي أنها مدرسة متوسطة) وقد تم إنشاؤها عام ١٤١٤هـ (١٩٩٤م).

^(١) زار الباحث المعهد خلال زيارته الميدانية للمنطقة والتقى بالأساتذة والطلاب، واطلع على المستوى العلمي الجيد الذي يتمتع به طلاب المعهد. كما أفاد بعض المعلومات من الأستاذ عمر الفاروق مدير مكتب لجنة الدعوة الإسلامية في الشيشان حيث التقاه الباحث في موسكو بتاريخ ٤/٥/١٤٢٠هـ (١٥/٨/١٩٩٩م).

مناهجها الدراسية هي ذات المناهج المعتمدة لدى الدولة، مضافاً إليها مناهج اللغة العربية من كتاب "تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها" إصدار جامعة أم القرى^(١)، وكذلك منهج متكامل للتربية الإسلامية تم إعداده وترجمته من قبل أساتذة عرب ومحليين. يضاف إلى ذلك مادة حفظ القرآن الكريم وتلاوته وتجويده وتعلم معانيه، حيث يحفظون في كل عام جزءاً من القرآن الكريم^(٢).

(٣) المركز النسائي الثقافي :

تم إنشاء المركز النسائي الثقافي عام ١٤١٧هـ (١٩٩٧م) في العاصمة الشيشانية، ويهدف إنشاؤه إلى نشر الوعي والثقافة الإسلامية في الأوساط النسائية، وتأهيلهم تربوياً وعملياً للقيام بمسؤولياتهن في البيت والأسرة. ويشمل برنامج المركز دورات تأهيلية لمدة ستة أشهر، تتعلم فيها المرأة فنون الطبخ والخياطة والتدبير المنزلي بالإضافة إلى مواد التربية الإسلامية واللغة العربية في ست ساعات يومياً.

وقد لاقى المركز إقبالاً متزايداً لدى النسوة، فقد التحق خلال الدورة الأولى ٦٥ متعلمة، وفي الدورة الثانية ٨٠ متعلمة^(٣).

^(١) جامعة أم القرى : صدر قرار إنشاء جامعة أم القرى في ١٤٠١/٦/٢٢هـ (١٩٨١/٤/٢٦م) وتضم الجامعة أكثر من ٥٠ قسماً للبنين والبنات ومعهد اللغة العربية لغير الناطقين بها. وتحتوي على ثماني كليات، كما تم إنشاء معهد للبحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي. انظر د/ صالح بن غانم السدلان "الانشطة الدعوية في المملكة العربية السعودية" ٩٧-٩٨.

^(٢) زار الباحث المدرسة واطلع على المستوى الجيد للطلاب. كما أفاد ببعض المعلومات الأستاذ عمر الفاروق مدير مكتب لجنة الدعوة في غروزني.

(٣) أفاد بذلك الأستاذ عمر الفاروق في لقاء مع الباحث بتاريخ ١٤٢٠/٥/٤هـ (١٩٩٩/٨/١٥م).

(٤) مشروعات وبرامج دعوية وإغاثية أخرى :

وبالإضافة إلى ما سبق فإن للجنة الدعوة الإسلامية مشروعات وبرامج دعوية كثيرة في شمال شرق القوقاز، منها ما يلي :

- بناء عدد من المساجد في الشيشان وأنغوشياً ألحق ببعضها مراكز لتحفيظ القرآن الكريم .

- كفاءة عشرات الأئمة والدعاة ومحفظي القرآن الكريم .

- إقامة مشروعات الأضاحي وإفطار الصائم في العديد من المساجد .

- تنظيم حملات عدة لإغاثة اللاجئين الشيشان عامي ١٤١٥-١٤١٦ هـ (١٩٩٦-١٩٩٧ م) .

- ترجمة وطباعة وتوزيع العديد من الكتب الإسلامية المعتمدة .

- توزيع مئات الأشرطة الإسلامية السمعية والبصرية (الفيديو) لا سيما تلك التي تعنى ببيان صور الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والرد على شبهات الملحدين في داغستان والشيشان .

- مساعدة الطلاب على الالتحاق بالجامعات العربية والإسلامية .

رابعاً : مؤسسة الحرمين الخيرية : -

هي أحد روافد الخير التي تنطلق من بلاد الحرمين الشريفين ، تعنى بالدعوة إلى الله وتعليم أبناء المسلمين ومساعدة الفقراء والمعوزين داخل المملكة وخارجها . ويشرف على أعمال المؤسسة معالي الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد .

وقد تأسست عام ١٤١٢هـ بمدينة الرياض ، وهي تسعى لتحقيق جملة من الأهداف منها ما يلي :

- (١) ترسيخ العقيدة في قلوب المسلمين بالكتاب والسنة .
 - (٢) نشر العلم الشرعي في المجتمعات الإسلامية .
 - (٣) التركيز على تعليم السنة الصحيحة وبيان أهميتها في فهم العقيدة والعبادة والسلوك .
 - (٤) المسارعة إلى إغاثة المسلمين عند نزول الكوارث والنكبات^(١) .
- ومن أهم منجزات وجهود المؤسسة في شمال شرق القوقاز ما يلي :-
- (أ) في المجال الدعوي :-

- (١) كفاية عدد ٢٥ داعية في الشيشان وذلك في عام ١٤١٧هـ (١٩٩٧م) .

(١) انظر : نشرة تعريفية بالمؤسسة بعنوان "مؤسسة الحرمين الخيرية" .

(٢) توزيع حقيبة للمرأة المسلمة تسمى "حقيبة العفاف" تشتمل على ما يلي:
لباس شرعي كامل للمرأة، المصحف الشريف، كتيبات دعوية وشرعية
تخص المرأة، شريط إسلامي توجيهي. وقد تم توزيع مئات الحقائب في
المنطقة، لا سيما في مخيمات اللاجئين الشيشان.

(٣) كفاءة معهد القضاء الشرعي بالقرب من العاصمة الشيشانية غروزني،
حيث يقوم على المعهد الشيخ محمد بن عبد الله السيف.

(٤) بناء وترميم بعض المساجد بعض المساجد الشيشان.

(٥) إقامة ولائم الإفطار ومشروع نحو الأضاحي سنوياً.

(٦) كفاءة العشرات من الحجاج إلى بيت الله الحرام في كل عام.

(ب) في المجال الإغاثي :

(١) إقامة مخيم متكامل في جورجيا يضم ٣٥٠ عائلة شيشانية، مع كفالتهم من
جميع النواحي الصحية والغذائية والدعوية.

(٢) إقامة مخيم متكامل في الأردن يضم مئات العوائل الشيشانية.

(٣) إقامة مخيم متكامل تركيا يضم ٢٥٠ عائلة شيشانية.

(٤) اعتماد ميزانية شهرية قدرها ٢٠٠ ألف ريال تخصص لتغطية مصاريف
الجرحي، وذلك ابتداء من شهر شوال ١٤٢٠ هـ^(١).

^(١) لقاء للباحث مع أحد مسئولي مؤسسة الحرمين الخيرية، وذلك بتاريخ ٢٠ محرم ١٤٢٢ هـ (١٤/٤/٢٠٠١م).

خامساً: اللجنة السعودية المشتركة لإغاثة كوسوفا والشيشان :

بهدف توحيد وتنظيم جهود المؤسسات الإسلامية في مجال العمل الإغاثي لنصرة المسلمين في كوسوفا والشيشان ، صدر الأمر السامي بتأسيس اللجنة السعودية المشتركة لإغاثة كوسوفا والشيشان .

وتركز جهود اللجنة في المجالات الإغاثية، حيث قامت بتوقيع مذكرة تفاهم مع الحكومة الروسية يتم بموجبها تقديم المساعدات الإغاثية للمهاجرين من شعب الشيشان. فأنشأت مكتب لها في جمهورية الأنغوش للإشراف على هذه المهمة الإنسانية وذلك في عام ١٤٢٠هـ .

لقد نفذت اللجنة أعمالها الإغاثية عن طريق جمعية الهلال الأحمر السعودي ، إذ أنها الجهة المسموح لها بالعمل الإغاثي في روسيا . وتتلخص منجزات اللجنة فيما يلي :

(١) إنشاء مخيم متكامل كبير لإيواء المهاجرين الشيشان في أنغوشيا عام ١٤٢١هـ .

(٢) توزيع مئات الأطنان من الأغذية والملابس والأغطية .

(٣) إنشاء أربعة مساجد بجوار المخيم .

(٤) إنشاء مدرسة داخل المخيم .

(٥) في مجال الرعاية الصحية أطلقت اللجنة حملة تطعيم في المخيمات ضد مرض السل، كما زودت المستشفيات بأنغوشيا بالأمصال الواقية من الأمراض المعدية .

- (٦) تأمين عدد ٦ سيارات إسعاف تعمل كعيادات متنقلة بين المخيمات .
- (٧) أنشأت اللجنة مركزاً صحياً في مدينة نزران بأنغوشيا لتقديم الخدمات الطبية للاجئين .
- (٨) توفير كميات كبيرة من الأدوية ، وتقديم الرعاية الصحية للمواليد ، وغير ذلك .
- سادساً: مؤسسات أخرى :

وهي كما يلي:

- (١) البنك الإسلامي للتنمية^(١) .
- (٢) لجنة مسلمي آسيا الكويتية .
- (٣) جمعية قطر الخيرية .
- (٤) جمعية إحياء التراث الإسلامي الكويتية .
- (٥) مجمع أبي النور الإسلامي بدمشق .
- ومن الإيجاز إلى التفصيل :
- (١) البنك الإسلامي للتنمية :
- لقد كان للبنك الإسلامي للتنمية إسهامات إغاثية وتعليمية في منطقة شمال شرق القوقاز ، ومن ذلك ما يلي :

^(١) البنك الإسلامي للتنمية: مؤسسة مالية دولية، أنشئت عام ١٣٩٣هـ (١٩٧٣م) عن مؤتمر وزراء مالية الدول الإسلامية. يهدف البنك إلى دعم التنمية الاقتصادية والتقدم الاجتماعي لشعوب الدول الأعضاء والجماعات الإسلامية وفقاً لمبادئ الشريعة الإسلامية . انظر : "البنك الإسلامي للتنمية - التقرير السنوي ١٤١٩هـ" ص ٦ ، ط شركة المدينة المنورة - جدة، ١٤١٩هـ (١٩٩٨ - ١٩٩٩م) .

- قام البنك بالتعاون مع هيئة الإغاثة الإسلامية بتوقيع مذكرة تفاهم بتاريخ ١٠/١١/١٤١٥هـ (١٠/٤/١٩٩٥م) بشأن تنفيذ منحة إغاثة مقدمة من البنك مخصصة للاجئين الشيشان ، لشراء وتوزيع مواد غذائية وطبية :

مبلغ ١٠٠ ألف دولار أمريكي^(١) .

- إرسال معونات إغاثة عاجلة لضحايا الزلزال ضرب داغستان عام ١٤١٥هـ (١٩٩٥م) بمبلغ ١٥٠ ألف دولار أمريكي^(٢) .

- إيفاد عشرات الطلاب من داغستان والشيشان والأنغوش في منح دراسية لاستكمال الدراسات الإسلامية وغيرها من التخصصات الحيوية كالطب والهندسة^(٣) .

(٢) لجنة مسلمي آسيا الكويتية^(٤) :

تركزت جهود اللجنة على الجوانب الإغاثة والتعليمية والدعوية، ونذكر منها ما يلي:

- تنظيم مؤتمرات عدة تعنى بواقع المسلمين من أجل النهوض بمستوياتهم الدينية والاجتماعية والاقتصادية.

^(١) انظر : وثيقة التفاهم بين البنك الإسلامي للتنمية وهيئة الإغاثة الإسلامية العالمية ، بتاريخ ١٠/١١/١٤١٥هـ (١٠/٤/١٩٩٥م) .

^(٢) انظر : " البنك الإسلامي للتنمية - التقرير السنوي ١٤١٩هـ " ص ٢٥١ .

^(٣) المصدر السابق ، ص ٢٥٩ .

^(٤) لجنة مسلمي آسيا مؤسسة خيرية كويتية تابعة للهيئة الخيرية الإسلامية العالمية تعنى بنشر الدعوة الإسلامية والعمل على رفع المعاناة والفقر والجهل عن المسلمين في قارة آسيا ذكره أحد مسؤولي اللجنة في لقاء مع الباحث .

- تنظيم حملات إغاثة للاجئين الشيشان بالتعاون مع المنظمات الإسلامية والعالمية .
- تنفيذ مشروعات الأضاحي وإفطار الصائم في داغستان والشيشان سنوياً .
- كفالة عشرات الطلاب من المنطقة للدراسة في المعهد الديني بدولة الكويت^(١) .

(٣) جمعية قطر الخيرية :

أسهمت الجمعية بجهود في المجالات الدعوية والإغاثية من خلال مكتب الجمعية الإقليمي الواقع في مدينة "باكو" عاصمة أذربيجان . فقد أنشأت عام ١٤١٩هـ (١٩٩٩م) معهداً في العاصمة الشيشانية يهدف إلى تأهيل المعلمين والدعاة . كما نظمت حملة لإغاثة اللاجئين الشيشان في حربهم ضد الروس عام ١٤١٥هـ (١٩٩٤م)^(٢) .

(٤) جمعية إحياء التراث الإسلامي الكويتية :

للجمعية جهود دعوية وإغاثية وصحية في شمال شرق القوقاز، منها على سبيل المثال ما يلي:

- كفالة عشرات الأسر الشيشانية التي شردتها الحرب عام ١٤١٥هـ (١٩٩٤م) .
- إقامة بعض المراكز الصحية لإسعاف الجرحى الشيشان في جمهورية جورجيا .

^(١) من لقاءات عدة للباحث مع مسؤولي اللجنة، ومشاركة للباحث في بعض المؤتمرات .

^(٢) ذكر ذلك الأستاذ/ عمار البحر في لقاء مع الباحث في العاصمة موسكو بتاريخ ٩ جمادى الأولى ١٤٢٠هـ (٢٠/١/٢٠٠٩م) .

- ترجمة بعض الكتب الشرعية إلى اللغة الروسية وتوزيعها، ومن أهمها كتاب "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان" للعلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي - رحمه الله - .

- كفاءة بعض المعلمين والدعاة في كل من داغستان والشيشان^(١) .

(٥) مجمع أبي النور الإسلامي بدمشق^(٢):

في لقاء للباحث مع الأستاذ "محمد كريم" مدير مكتب المنح الدراسية في مجمع أبي النور الإسلامي في العاصمة السورية "دمشق" تحدث الأستاذ عن جهود المركز الدعوية التي استهدفت منطقة شمال شرق القوقاز فقال:

"التواصل مع الإخوة الشيشان والداغستان بدأ منذ ما يقرب سبع سنين، وفي دمشق الآن ما يزيد عن ١٥٠ (مائة وخمسين) طالباً يدرسون في معاهد إسلامية ومعاهد تعليم اللغات، نصفهم في معهد أبي النور الإسلامي . ونحن نتابع هؤلاء الطلاب ليس فقط في الجوانب العلمية، وإنما نحرص على إعدادهم دعويًا وأخلاقيًا وإيمانيًا"^(٣) .

(١) ذكره أحد مسؤولي جمعية إحياء التراث الإسلامي في لقاء مع الباحث في دولة الكويت بتاريخ ١ محرم ١٤٢١ هـ (٥/٤/٢٠٠٠م) .

(٢) مجمع أبي النور بدمشق يقوم بجهود دعوية كبيرة ويشرف عليه مفتي الجمهورية العربية السورية .

(٣) أ/ محمد كريم مدير مكتب المنح الدراسية في مجمع أبي النور الإسلامي، في لقاء مع الباحث في العاصمة السورية بتاريخ ٢٧/٧/١٤١٨ هـ (٢٧/١١/١٩٩٧م) .

ومنذ عام ١٤١٣هـ (١٩٩٢م) ينظم القائمون على الجمع صيف كل عام دورة شرعية مكثفة لمدة ثلاثة أشهر لتأهيل الأئمة والخطباء والدعاة، يحضرها سنوياً ما يقرب من ٢٠٠ (مائتي) طالب من داغستان والشيشان والأنغوش^(١).

(٦) بالإضافة إلى ما سبق فإن هناك العديد من المؤسسات الإسلامية التي بذلت ولا زالت تبذل جهوداً طيبة في مجالات الدعوة أو الإغاثة في شمال شرق القوقاز، ومنها ما يلي:

(أ) المركز الإسلامي الداغستاني . ومقره العاصمة الداغستانية "محاج قلعة" ، وقد كان يرأسه الشيخ أحمد قاضي - رحمه الله - .

(ب) مركز القفقاس الإسلامي . ومقره جمهورية داغستان، ويرأسه الشيخ بهاء الدين محمد الأواري .

(ج) جمعية المصباح المنير . ومقرها العاصمة الداغستانية محاج قلعة .

(د) نقابة الأطباء المسلمين . ومقرها العاصمة الشيشانية، ويرأسها الدكتور إسلام حليموف، وزير الداخلية الشيشاني الأسبق .

(هـ) قناة القوقاز التلفازية ، وهي قناة إسلامية مقرها العاصمة الشيشانية، ويديرها الأستاذ "مولادي أودوغوف" وزير الخارجية الشيشاني السابق .

^(١) ذكر ذلك أ/ محمد كريم في لقاء مع الباحث .

المطلب الثالث:

الشخصيات العلمية والدعوية

يقيض الله - تبارك وتعالى - لأمته من يعيدها إلى دينه القويم وصراطه المستقيم رغم تلاطم الفتن واشتداد الخطوب والحن. وفي هذا المطلب يتناول البحث بعضاً من العلماء والدعاة في المنطقة الذين كانت لهم جهود متفاوتة في تجديد الإيمان، وبيان السنة ونشر العلم وإرجاع المسلمين إلى حقيقة دينهم وسمو شريعتهم معتمدين على القرآن الكريم والسنة المطهرة، وفهم واقع المسلمين ومصالحهم. ومن جملة أولئك العلماء والدعاة ما يلي :

أولاً : جمهورية داغستان :

(أ) العلامة الشيخ حسام الدين الطبرساني الكريخي .

(ب) الشيخ محمد نور الهركاني .

(ج) الشيخ الدكتور أحمد قاضي أخطايف - رحمه الله - .

ثانياً : جمهورية الشيشان :

(أ) الرئيس جوهر دودايف .

(ب) الرئيس سليم خان يندر باييف .

(ج) الشيخ أحمد خمزة .

ثالثاً : جمهورية الأنغوش :

(أ) الشيخ عيسى سلطان .

أولاً: جمهورية داغستان :

(أ) العلامة الشيخ حسام الدين الطبرساني الكريخي (داغستان):

العلامة الشيخ حسام الدين الطبرساني الكريخي له من العمر ثمانون عاماً وأخذ العلم على يد والده العالم ضياء الدين الكريخي الذي كان قاضياً ومفتياً لقومية الطبرسان الواقعة جنوب داغستان، وبالإضافة إلى القضاء والإفتاء فقد اشتغل والده بالتأليف، فله على سبيل المثال كتاب "صفة الصلاة وبيان القبلة".

نشأ العلامة الشيخ حسام الدين نشأة علمية فقهية على مذهب الإمام الشافعي، وحقق تبحراً عظيماً في علوم الشريعة، ولم تكن له أية انتماءات للطرق الصوفية المنتشرة في ذلك الإقليم. كان أخذ الشيخ العلم في العهد الشيوعي سرّاً حيث نهل من مكتبة والده العامرة، فأفاد رسوخاً في العلم وتبحراً في اللغة العربية، وقد تجنب التصادم والصراع مع الشيوعيين. انكب الشيخ على الفقه ومسائله وخلافاته - لاسيما تلك السائدة في ناحيتهم - حيث كتب عنها وألف فيها، فله كتاب في ثلاثة أجزاء بعنوان "المكتوبات الثلاثة" الأول: في بيان المزخرفات والمبتدعات. والثاني: يجيب فيه على المسائل الفقهية الواردة إليه من مخالفيه، كصلاة الظهر بعد صلاة الجمعة، وصلاة الجنازة على الميت، وكيفية توجيهه للقبلة. . الخ. والمكتوب الثالث بعنوان: "إيضاح المسائل المهمة التي اضطرب فيها عقول الجاهلين الضالين المضلين لغيرهم". يسكن الشيخ حسام الدين قرية كريخ مسقط رأسه الواقعة جنوب جمهورية داغستان^(١).

(١) ذكره الدكتور أحمد ياسين، وكذلك الأستاذ هانيء محمد المهدي عندما التقاهما الباحث .

(ب) الشيخ محمد نور الهركاني (داغستان) :

الشيخ محمد نور الهركاني عالم وداعية وشاعر مفوه، لاقى من الملاحدة صنوف الظلم والسجن والعذاب لبذله العلم ودعوته إلى الله .

ولد الشيخ محمد نور الهركاني في قرية هركان التابعة لمحافظة "خنزاق" الواقعة في الشمال الغربي لداغستان. كان والده - رحمه الله - من الأغنياء الأعيان، أما جده الشيخ سعيد الهركاني فقد كان عالماً متبحراً، ورث عنه الشيخ محمد نور مكتبة عامرة نهل منها العلم والفقه.

يقول الشيخ محمد نور : "تعلمت على يديه - أي جده - اللغة العربية والقرآن الكريم والفقه ، حيث درست على يديه كتاب كنز الراغبين في شرح منهاج الطالبين " للإمام الحلبي^(١) ، وكذلك كتاب "إعانة الطالبين" للإمام النووي^(٢)، وكتاب "تفسير

(١) الإمام الحلبي : (٧٩١-٨٦٤هـ) هو جلال الدين محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم الحلبي المصري الشافعي . مفسر فقيه متكلم أصولي نحوي منطقي . ولد بالقاهرة ونشأ بها ، وأخذ العلم عن علمائها حتى صار عالماً مجتهداً وكان مهيباً صداماً بالحق . عرض عليه القضاء الأكبر فامتنع . له مؤلفات عدة، منها "تفسير الجلالين" الذي أتمه جلال الدين السيوطي، وله "كنز الراغبين" في الفقه الشافعي، و"البدر الطالع" في أصول الفقه، و"الطب النبوي" وغيرها . توفي رحمه الله في القاهرة.

انظر : "الأعلام" ٣٣٣/٥ . انظر : "معجم المؤلفين" ٩٣/٣ .

(٢) الإمام النووي : (٦٣١-٦٧٦هـ) هو أبو زكريا يحيى بن شرف الحزامي النووي، الشافعي . ولد في نوى جنوب دمشق، درج في طلب العلم حتى صار عالماً زاهداً مجتهداً، ثم أخذ في التصنيف والإفادة والنصح، وصار علامة الفقه والحديث . وله تصانيف كثيرة في اللغة والفقه والحديث والتوحيد والقرآن، منها : المنهاج في شرح صحيح مسلم، ورياض الصالحين، والأذكار ، والإرشاد في علم الحديث، وتحرير الألفاظ ، وغيرها كثير . انظر : "الأعلام" ١٤٩/٨ . وانظر : "معجم المؤلفين" ٩٨/٤ .

الجلالين" للإمامين : جلال الدين السيوطي^(١) وجلال الدين الحلبي وغيرها^(٢).

(ج) الشيخ أحمد قاضي أخطايف (داغستان) :

الشيخ أحمد قاضي - رحمه الله - مؤسس حزب النهضة الإسلامي في جمهورية داغستان . وهو شخصية إسلامية تحظى بحب وتقدير الدعاة لكونه من العلماء العاملين الذين بذلوا جهوداً كبيرة في الحفاظ على الهوية الإسلامية للمجتمع الداغستاني إبان العهد الشيوعي الإلحادي.

يرى الشيخ أحمد قاضي أن السبيل للتغيير إلى الأفضل من أجل بناء مجتمع إسلامي في داغستان بعد انهيار الاتحاد السوفيتي يكون بأسلوب دعوي سلمي من خلال الاستفادة من هامش الحرية المتاحة. فبذل الشيخ جهوداً كبيرة لتوحيد جهود الدعاة إلى الله - تعالى - وجمعهم على كلمة سواء، وحظي الشيخ وبعض زملائه بعضوية البرلمان الداغستاني غير أن المنية باغتته عام ١٤١٨هـ (١٩٩٨م)^(٣). ويذكر أنه كان للشيخ جهود أخرى في مجال الدعوة إلى الله - تعالى - فقد أسس المركز الإسلامي الداغستاني في العاصمة "محاج

^(١) جلال الدين السيوطي: (٨٤٩ - ٩١١هـ) هو أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد المصري الشافعي. إمام حافظ مؤرخ أديب نشأ بالقاهرة يتيماً، وقرأ على جماعة من العلماء ، ولما بلغ أربعين سنة اعتزل الناس فأنف أكثر كتبه التي بلغت نحو ٦٠٠ مصنف . ومن مؤلفاته الكثيرة: الإكليل في استنباط التنزيل، الإتيان في علوم القرآن، وغيرها كثير. انظر : "معجم المؤلفين" ٨٢/٢. وانظر : "الأعلام" ٣٠١/٣ .

^(٢) ذكر الشيخ ذلك للأستاذ هاني محمد المهدي حيث نقله للباحث .

^(٣) انظر : د/ شيخ سعيدوف عمري "الإسلام في داغستان" التقرير المقدم إلى المؤتمر المنعقد في السويد في شهر مارس من عام ١٩٩٩م . وكذلك : د / عبد الحميد داغستاني في لقائه مع الباحث بتاريخ ٢٨ / ١١ / ١٤٢٠هـ (٣/٤) / ٢٠٠٠م .

قلعة"، كما أسس بالتعاون مع الشيخ بهاء الدين محمد الداغستاني جمعية ومدرسة دار الحكمة في مدينة غزليورت^(١).

ثانياً: جمهورية الشيشان :

(أ) الرئيس جوهر دودايف :

من المعلوم أن الرئيس جوهر دودايف قد نشأ في أحضان جيش الاتحاد السوفيتي السابق حتى وصل إلى موقع قيادي فيه، لكنه رغم ذلك لم ينس شعبه وأمه ودينه، فغداة انتخابه رئيساً للشيشان في ٢٠/٣/١٤١٢هـ (٢٧/١٠/١٩٩١م) أقسم اليمين على المصحف الشريف ، ولم يقسم على الدستور الروسي . ويذكر المقربون منه أنه اعتاد على قراءة القرآن الكريم، وكان يضعه دائماً أمامه حيث كان القرآن الكريم رفيق دربه أينما ذهب^(٢). لقد كان جوهر - رحمه الله - محباً للإسلام، فقد عمل على بناء أركان دولته الفتية على ذلك حيث نص دستور البلاد على تمتع جميع الفعاليات والأنشطة الدينية بدعم الدولة وتأييدها . وتم الإعلان عن تأسيس معهد الدولة للدراسات الإسلامية بالعاصمة، ودعمت الحكومة الشيشانية الجديدة المركز الإسلامي في العاصمة ، وافتتحت الدولة كل الجوامع والمساجد التي أغلقها الروس وقامت بترميمها حتى وصل مجموعها عام ١٤١١هـ (١٩٩١م) إلى أكثر من ٢٥٠ مسجداً^(٣).

(١) ذكره د/ عبد الحميد داغستاني في لقائه مع الباحث كما ذكره الشيخ عباس شقيق الشيخ أحمد قاضي .

(٢) انظر : محمود عبد الرحمن "تاريخ القوقاز - نسور الشيشان في مواجهة الدب الروسي" ص ١٣٩، ١٤٠ - باختصار.

(٣) انظر : المرجع السابق .

وانظر : سعيد بينو "الشيشان والاستعمار الروسي" ص ٢٣٣ .

وقامت السلطات الشيشانية - بمبادرة من جوهر دودايف - باتخاذ قرار إنشاء الجمهورية الإسلامية الشيشانية. وتم وضع النشيد الوطني الذي دل على معاناتهم وتصميمهم وتمسكهم بدينهم عندما جعلوا لازمة النشيد "لا إله إلا الله" ^(١)، ولم يقف الرئيس جوهر دودايف - رحمه الله - عند ذلك بل عمل علي تقريب الدعاة والأخيار إليه وجعلهم خاصته ومستشاريه وأعوانه، أمثال نائبه "سليم خان يندربايف" ، والدكتور "إسلام حليموف" والشيخ "فتحي" ^(٢) والأستاذ "مولادي أودوغوف" وغيرهم ^(٣).

(ب) الرئيس سليم خان يندربايف :

بعد موت الرئيس جوهر دودايف - رحمه الله - غدرأ علي يد الروس في ذي الحجة ١٤١٦هـ (١٩٩٦م/٤/٢١) تابع الرئيس المؤقت سليم خان عملية أسلمة الدولة والمجتمع، وأمر بإنشاء المحاكم الإسلامية ومعاهد لتدريس القرآن الكريم والشرعة الإسلامية واللغة العربية، وأقبل هو شخصياً على تعلم اللغة العربية، وجعلها مادة مقررة في المدارس الحكومية ^(٤).

ويذكر أن سليم خان كان داعية إلى الإسلام وعضواً في حزب النهضة الإسلامي ، وكانت له جهود مباركة في التعليم والدعوة سراً إبان الحكم السوفيتي . كما أنه أديب

^(١) انظر : مصطفى زنداقي "أضواء على جمهورية الشيشان" ص ٨ .

^(٢) الشيخ فتحي طالب علم فاضل وداعية أردني من أصل شيشاني .

^(٣) ذكره بعض من القاهم الباحث من الشيشان .

^(٤) انظر : محمود عبد الرحمن "تاريخ القوقاز . نسور الشيشان في مواجهة الدب الروسي" ص ٢٠٨ .

وشاعر في اللغتين الشيشانية والروسية، وقد صدر له تفسير وترجمة أدبية بليغة لمعاني القرآن الكريم باللغة الروسية أثنى عليها بعض الدعاة^(١).

(ج) الشيخ أحمد حمزة :

الشيخ أحمد حمزة من الدعاة العاملين بجد ونشاط في حقل الدعوة إلى الله في العاصمة الشيشانية "غروزني" رغم كونه مقعداً. درس الشيخ في أوزبكستان إبان الحكم الشيوعي في معهد الإمام البخاري بطشقند، ولم يكن الشيخ من طلاب المعهد غير أنه رحل إلى هناك طلباً للعلم، فعكف في مكتبة المعهد التي كانت تشتمل على ٢٥٠ (مائتين وخمسين) ألف كتاب، وطلب العلم على يد علماء أوزبكستان سراً، وكان ذلك في أعوام ٩٢ - ١٣٩٤ هـ (٧٢ - ١٩٧٤ م). يقول الشيخ أحمد حمزة: "أما أستاذي الأول الذي علمني العربية والنحو وبعض الفقه والتفسير، فكان اسمه قائم - رحمه الله تعالى - كان يعيش في قريتنا في الشيشان، ولما انتهى من تعليمي نصحتني بأن أرتحل إلى بقية العلماء الآخرين في الشيشان"^(٢).

هاجر الشيخ طلباً للعلم ولازم الشيخ "أبو بكر" - رحمه الله - حيث تقع قريته إلى الشرق من الشيشان، فأخذ عنه الفقه والتفسير ثم تحول إلى علماء آخرين في القوقاز وأوزبكستان حيث استقر به الأمر في مكتبة معهد الإمام البخاري بطشقند التي عكف على قراءة كتبها ثلاث سنين. وبعد عودته إلى بلده كان همه الأكبر الدعوة إلى الله تعالى

(١) ذكره بعض من التقاهم الباحث من الشيشان .

(٢) ذكره الشيخ أحمد حمزة في لقاء مع الباحث في العاصمة الشيشانية غروزني بتاريخ ٥ / ٦ / ١٤١٩ هـ (٢٥ / ٩ / ١٩٩٨ م).

والتعليم سراً . وبعد أن من الله على المسلمين بزوال الشيوعية اختير الشيخ رئيساً لمركز الرسالة الإسلامي في العاصمة غروزني، حيث ينشط الشيخ من خلال المركز في مجال المحاضرات والدروس والترجمة والتأليف وغير ذلك^(١) .

ثالثاً: جمهورية الأنغوش :

(أ) الشيخ عيسى بن سلطان :

ولد الشيخ عيسى في ٣ شعبان ١٣٦٩ هـ (١٩٥٠/٥/٢٠م) في قرية علي يورت بأنغوشيا . وتلقى بعض العلوم الشرعية سراً وهو شاب خلال فترة الحكم الشيوعي على يد الشيخ إبراهيم أرتشاكوف وغيره وفي عام ١٤١٠ هـ (١٩٩٠م) سافر إلى الجزائر طلباً للعلم حيث تخرج من كلية الشريعة قسم الفقه وأصوله، وبعد عودته لبلاده اجتهد في الدعوة والتعليم على بصيرة، فأنشأ معهداً إسلامياً في مدينة ملغابيك أسماه "معهد البر الإسلامي" بعد أن عرض الأمر على الندوة العالمية للشباب الإسلامي التي وافقت على دعم المعهد ببعض المعلمين والمناهج الدراسية وذلك في عام ١٤١٥ هـ (١٩٩٥م)^(٢) .

(١) ذكره الشيخ أحمد حمزة في لقائه مع الباحث . ولمزيد من الاطلاع على جهود الشيخ راجع: المطلب الأول من هذا الفصل : مركز الرسالة الإسلامي .

(٢) ذكره للباحث أحد تلامذه الشيخ ، وقد التقى الباحث مع الشيخ عيسى في مكة المكرمة خلال موسم الحج لعام

التحق بالمعهد الكثير من الطلاب ، وصار أنموذجاً فريداً في المنطقة حيث أصبح بعض طلابه حفظة لكتاب الله الكريم بعد ثلاثة سنوات فقط من إنشاء المعهد، كما أن بعضهم كان يحفظ ألفية ابن مالك في النحو ويجيد العربية .

كان الشيخ عيسى بن سلطان يدير المعهد ويدرس فيه مواد الفقه وأصول الفقه ومصالح الحديث .

المبحث الثاني :**مضمون الدعوة في شمال شرق القوقاز .**

ويشتمل على المضامين التالية :

المطلب الأول :

المضامين المتصلة بالجوانب العقدية والتشريعية .

**المضمون الأول : تثبيت معاني الإيمان الخالص بالله تعالى
والرد على شبهات الملحدين .**

**المضمون الثاني : التصدي لمظاهر الانحراف العقدي والغلو
في الصالحين .**

المضمون الثالث : التصدي لمظاهر إقامة الموالد .

المطلب الثاني :

المضامين المتصلة بالجوانب الأخلاقية .

المضمون الأول : مواجهة مظاهر الفساد والانحلال الأخلاقي .

**المضمون الثاني: الدعوة إلى وحدة الصف والتآخي ونبذ
العصبية العرقية .**

**المضمون الثالث: الاهتمام بالمرأة وتنشئتها على قيم
الإسلام .**

المطلب الأول :

المضامين المتصلة بالجوانب العقدية والتشريعية :

إن المراد بمضمون الدعوة في حقيقته هنا هو "عبادة الله بمفهومها الشامل الذي يستوعب كل خلية في النفس وحركة في الحياة ، أي الاعتقادات الصحيحة والأقوال الحقة والسلوك المستقيم"^(١) .

المضمون الأول :

تثبيت معاني الإيمان الخالص بالله تعالى والرد على شبهات الملحدين .

لا ريب أن المهمة الرئيسة للداعية إلى الله عز وجل وصل القلوب بالله - عز وجل - وتعريف الناس بربهم ، وإحياء خشيته في قلوبهم ، فهو الخالق المعبود بحق المتصف بصفات الكمال المنزه عن كل نقص . قال سبحانه: "هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم . هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون . هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم"^(٢) .

^(١) انظر: د/ سيد محمد ساداتي الشنقيطي "ركائز الإعلام في دعوة إبراهيم عليه السلام" ص ٣٨، ط (١) دار عالم

الكتب - الرياض ، ١٤١٥ هـ (١٩٩٤ م) .

^(٢) سورة الحشر: آية ٢٢ - ٢٤ .

فهو رب العالمين القائم على شئون خلقه المتكفل بما يصلحهم، وهو كاشف الضر عنهم. قال سبحانه: "إن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو" ^(١).

فمن أول مضامين دعوة الإسلام تثبيت معاني العقيدة في النفوس، حيث إن الإنسان في هذه الحياة يقوده اعتقاده واقتناعه، فالإنسان كما هو معروف يقاد من داخله، وإذا نبض هذا الداخل، واستضاء بالعقيدة الحق، داخلت نفسه بشاشة الإيمان وسرت فيه روح الحياة وتحركت طاقاته، وانطلقت حلقة بوقود إلهي رباني يكاد زيتة يضيء ولو لم تمسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ^(٢).

ومن المعلوم أن الشيوعيين قد أقروا مبدأ الإلحاد والمادية وجعلوه قوام دولتهم ومنهج رسالتهم. فالماركسية في نظرهم ليست مجرد نظام مادي اقتصادي بل اتجاه عقائدي شمولي، فالحزب الشيوعي السوفيتي يرى أن من أهدافه ومهامه العمل على إقناع الناس بعدم وجود قوة إلهية تسيطر على هذا الكون، وليس هناك ما يسمى بالبعث والنشور، فبعد الموت فناء نهائي لا بعث بعده ولا نشور. ويرون أن الديانات ما هي إلا آراء دينية خرافية تعبر عن أوضاع اقتصادية واجتماعية غير سليمة، وأنها ستختفي عند رفع مستوى الأوضاع الاقتصادية وتقويم الوعي الاجتماعي لدى الشعوب والأفراد. ويرون أن التعايش مع المؤمنين بالألوهية أمر مستحيل على المستوى الأيدلوجي العقائدي، إذ إن توافق الإيمان مع الإلحاد متعذر حتماً ^(٣).

^(١) سورة الأنعام: آية ١٧.

^(٢) انظر: د/ توفيق الواعي "الدعوة إلى الله . الرسالة - الوسيلة - الهدف" ص ١١٧، ط (٢) دار الإيقين - مصر،

١٤١٦ (١٩٩٥م).

^(٣) انظر: سعيد بنو "الشيخان والاستعمار الروسي ١٨٥٩ - ١٩٩١م" ص ١٧٨.

وقد بذل الشيوعيون كل جهدهم وسخروا كل إمكانياتهم لتربية الشعوب المسلمة - لاسيما الشباب في المدارس والجامعات - على الأخذ بعقيدة الإلحاد والظعن بعقيدة التوحيد الخالص لله عز وجل، وإثارة الشبهات والنقائص بالدين الإسلامي الحنيف.

فمن أقوالهم المشهورة "الدين أفيون الشعوب" - كما قال ماركس - وكذلك "الدين مسكر روحي" - كما قال لينين^(١) - وما فتىء الملاحدة يثيرون الشبهات على عقيدة الإسلام وشرائعه حتى تأثر بأقوالهم بعض أبناء المسلمين الذين نشأوا وتربوا في مدارسهم وجامعاتهم.

إن من مظاهر ذلك التأثير الكبير بشبهات الملحدين ما ذكره الدكتور أحمد ياسين^(٢) أن بعض الطلاب في جامعة داغستان يقولون: "نحن لا ننتمي إلى أي دين، ولا نعتقد أي معتقد". وهم من أبناء المسلمين! من هنا كان العمل على تثبيت معاني الإيمان الخالص بالله جل شأنه، والرد على شبهات أهل الإلحاد واجبا شرعيا يأخذ جانب الأولوية في مضمون الدعوة إلى الله عز وجل لدى القائمين على أمر الدعوة الإسلامية في شمال شرق القوقاز حتى لا يجلب ظلام الباطل أنوار الحق الزاهية البراقة الصافية.

ومن الوسائل التي استخدمها الدعاة هناك في ترسيخ هذا المضمون ما يلي:-

(١) سعيد بيتو "الشيشان والاستعمار الروسي ١٨٥٩ - ١٩٩١م".

(٢) الدكتور أحمد ياسين شاب عربي، ومسؤول مؤسسة طيبة الخيرية بداغستان.

(١) تدريس عقيدة التوحيد الصحيحة القائمة على ثوابت القرآن والسنة في المدارس الإسلامية. ومن ذلك تدريس كتاب "العقيدة الطحاوية" للإمام الطحاوي^(١)، وكتاب توحيد الخالق" للشيخ عبد المجيد الزنداني، وكتاب "الإيمان. حقيقته وأركانه" للدكتور محمد نعيم ياسين وهي كتب قيمة وموثقة .

(٢) تأليف ونشر بعض الكتب في تقرير الإيمان بالله - عز وجل - ونفي الإلحاد والشرك، ودفع الشبهات عن دين الله - عز وجل - باللغة الروسية وذلك من قبل بعض العلماء المحلين المجيدين للغة الروسية؛ وقد تم في هذا الباب ترجمة كتاب "الله جلال جلاله" للشيخ سعيد حوى ، وتوزيعه في المنطقة .

(٣) ترجمة ونشر وتوزيع بعض الكتيبات التي تناول بيان المعتقد الإيماني الصحيح .

(٤) تنظيم المؤتمرات العلمية التي تؤكد الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، وتبين عظمة عقيدة التوحيد الخالص بالله جل شأنه .

^(١) الإمام الطحاوي: هو الإمام المحدث الفقيه الحافظ أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي - نسبة إلى قرية بصعيد مصر - ولد عام ٢٣٩هـ . أخذ العلم ودرج فيه حتى أكملت معرفته بمذهب الإمام أبي حنيفة واقتدى به، ولم يمنعه ذلك من مخالفته لبعض أقوال الإمام وترجيح ما ذهب إليه غيره من الأئمة. وقد تخرج علي كثير من الشيوخ زاد عددهم على ٣٠٠ شيخ. أما تصانيفه فهي غاية في التحقيق والجمع وكثرة الفوائد وحسن العرض . توفي - رحمه الله - سنة ٣٢١هـ بمصر . انظر : ابن كثير "البداية والنهاية" ٧١/١٥ ، ق د/ عبد الله بن عبد الحسن التركي، ط ١ دار هجر الرضا ، ١٤١٩هـ (١٩٩٨م) . وانظر: ترجمة المؤلف في كتاب "شرح العقيدة الطحاوية" للعلامة ابن أبي العز الحنفي . ق: جماعة من العلماء ، ط ٩ المكتب الإسلامي - بيروت، ١٤٠٨هـ (١٩٨٨م) .

(٥) ترجمة وتوزيع الأشرطة المتلفزة (أشرطة الفيديو) لمحاضرات الشيخ عبد المجيد الزنداني وغيره من علماء الإسلام التي تثبت الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية، وقد كان لهذا الأمر أثره البالغ في طلاب الجامعات في المنطقة^(١).

(٦) إقامة عشرات المحاضرات والندوات، وكتابة المقالات في الصحف التي تؤكد عقيدة الإيمان بالله تعالى، وتدفع عن الإسلام شبهات المرجفين الملحدين.

(١) ذكر ذلك بعض من التقاهم الباحث .

المضمون الثاني:

التصدي لمظاهر الانحراف العقدي والغلو في الصالحين.

ويقصد بالانحراف العقدي تلك الأمور الاعتقادية التي انتشرت في المنطقة عبر سنوات طويلة، توهمها بعض المشايخ دون أن يكون لهم بها من الله برهان قاطع، وحجة بالغة، فانحرفوا بالدين أيما انحراف، وهم يحسبون أنهم على شيء .

ومن أمثلة هذه الانحرافات ما يلي :-

١- التوسل بالأنبياء والأولياء، والاستغاثة بهم في الملمات والشدائد .

٢- اعتقاد الكرامات والخوارق الخرافية لدى بعض مشايخهم .

٣- الغلو في الصالحين وفي الخضر عليه السلام .

ومن الإيجاز إلى التفصيل:-

(١) التوسل بالأنبياء والأولياء، والاستغاثة بهم في الشدائد:

إن ظاهرة التوسل والاستغاثة بالأنبياء والأولياء ، لم تكن وليدة اللحظة الحالية في المنطقة ، ولكنها ترجع إلى قرنين مضياً من الزمان حيث انتشرت تلك المظاهر المنحرفة مع

دخول الطريقة النقشبندية على يد مؤسسها هناك الشيخ محمد اليراعي^(١) الداغستاني المتوفي عام ١٢٥٤هـ، حيث يجيز اليراعي التوسل بالمشايخ، ويرى أن القصد من مدحهم هو التوسل بهم إلى جاه النبي صلى الله عليه وسلم ثم إلى الله سبحانه وتعالى.

وقال ما نصه: ". . . وفي قصدنا إهداء المدائح إلى مشايخنا الكرام، ساداتنا النقشبندية الفخام، بمدح كل واحد منهم توسلاً إلى جاه حبنا رسول الثقلين، ثم به إلى حضرة خالق الكونين"^(٢).

ومن المشايخ الداغستانيين المجوزين للتوسل بالأنبياء والأولياء في حياتهم وبعد مماتهم الشيخ حسن حلمي القحوي^(٣)، حيث يقول: "والذي تلقيناه من مشايخنا، وهم عن مشايخهم، وهلم جرا: أن ذلك جائز ثابت في أقطار البلاد، وكفى بهم أسوة، وهم الناقلون

(١) الشيخ محمد اليراعي: هو محمد بن مملا إسماعيل، بن ملاشيخ كمال بن نذر اليراعي الكوري الداغستاني. أول شيخ للطريقة النقشبندية. في داغستان، حصل العلوم والمعارف على علماء عصره، ثم عمل مدرساً للعلوم العربية الإسلامية في داغستان. وبعد تلقنه الطريقة النقشبندية من الشيخ خاص محمد الشرواني سنة ١٢٣٧هـ وصار مجازاً فيها اجتمع حوله المريدون. واستاءت منه الحكومة القيصرية لذلك، فطارده مع أهله وعياله، حتى لحق بالجهاد تحت راية الإمام شامل. وتوفي في قرية ثغور، ولا يزال قبره مزاراً هناك للداغستانيين. ولليراعي آثار وقصائد، منها المطبوع والمخطوط ومن أهم وأشهر آثاره كتابه "آثار اليراعي". انظر: هانيء المهدي -: "التصوف في داغستان في القرون الثلاثة الأخيرة". بحث غير منشور ص ٢٣٠.

(٢) انظر: حسن حلمي القحوي "البروج المشيدة بالنصوص المؤيدة" ص ١٣٦. ط (١) دار النعمان للعلوم، دمشق - ١٤١٧هـ (١٩٩٦م).

(٣) أحد مشايخ الطريقة النقشبندية بـداغستان، وقد توفي عام ١٣٥٦هـ.

لنا الشريعة، وما عرفنا إلا بتعليمهم لنا، فلو قدرنا أن المتقدمين كفروا - كما يزعم هؤلاء الأغبياء - لبطلت الشريعة المحمدية " (١) .

ويضيف الفحي قائلاً: "نعم، ينبغي تنبيه العوام على ألفاظ تصدر منهم تدل على القدح في توحيدهم، فيجب إرشادهم وإعلامهم بأن لا نافع ولا ضار إلا الله تعالى . لا يملك غيره ضراً ولا نفعاً إلا بإرادة الله تعالى، وقال تعالى لنبيه عليه السلام: "قل إني لا أملك لكم ضراً ولا رشداً" الجن: ٢١" (٢) .

هذا وقد توسل كثير من مشايخ الصوفية بداغستان في أشعارهم بالرسول - ﷺ - وبالصحابة وبأئمة الطريقة ، ومنهم الإمام نجم الدين الحزبي حيث أنشأ قصيدة في ديوان له بعنوان "في المناجاة بالتوسل" ، ولكنه قبل أن يتوسل ذكر في أول بيت في القصيدة أن النافع والضار هو الله سبحانه وتعالى . يقول الإمام نجم الدين :

هو الله ربي من يضر وينفع	ولا ثم من يعطي سواء ويمنع
سأنزل آمالي بربي موقناً	بأنه يقضي ما يشاء ويصنع
وأرجو رسول الله أحمد إنه	غداً لي في يوم القيامة يشفع
فما لي إلى ربي سواء وسيلة	ولا سنة إلا الشريعة تبع
وأبناؤه عند النوائب عدتي	بشوكهم كل الملمات أدفع
لهم أعين لم يغمضوها عن الورى	وأذن لصوت الاستغاثة تسمع

(١) انظر: حسن حلمي الفحي "البروج المشيدة" . ص ١٣٦ .

(٢) المرجع السابق .

أولئك أعواني فلا بأس فليقم لحربي عدوي كي يرى كيف يقم

ثم يذكر آل البيت فيقول :

وسائر أهل البيت حياً وميتاً هم شيعتي عني المكاره تمنع^(١)

هذه آراء بعض مشايخ داغستان في موضوعي التوسل والاستغاثة ، حيث نستطيع أن نوجزها بما يلي :

(١) إن الكثير منهم يميز التوسل بالنبي - صلى الله عليه وسلم - وبالأنبياء والصالحين مطلقاً .

(٢) الخلط الواضح عندهم بين موضوعي التوسل والاستغاثة رغم الفرق الكبير بينهما .

إن خطورة مظاهر الانحرافات العقيدية والغلو في الصالحين تتمثل في كونها تصرف الناس عن عقيدة توحيد الألوهية^(٢) . كما أنها تحجب عنهم حقيقة الدين ، وتعديل بهم عن الصراط المستقيم ، فضلاً على أنها تذهب بمعالم العبادة الصحيحة ، وتؤدي إلى موت السنن والمندوبات ، فتحل البدعة محل السنة .

(١) انظر: الشيخ محمد نور الهركاني، مخطوط بعنوان "الفتح المبين في آثار الإمام نجم الدين" مخطوط في مكتبة الشيخ الهركاني في حجاج قلعة بداغستان، اطلع الباحث على نسخة مصورة عنها لدى مكتبة الأستاذ هانيء محمد المهدي بمصر .

(٢) توحيد الألوهية :- هو إفرااد الله سبحانه وتعالى بالعبادة، بأن لا يتخذ الإنسان مع الله أحداً يعبد به ويتقرب إليه كما يعبد الله تعالى ويتقرب إليه . انظر: عامر عبد الله فالج "معجم ألفاظ العقيدة"، ص ١٠٨ ط (١) مكتبة العبيكان ، الرياض، ١٤٢٠ هـ (٢٠٠٠ م) .

وقد يقول قائلهم إن التوسل والاستغاثة بالأولياء على سبيل المجاز^(١) لا الحقيقة، وهذا القول فضلاً عن كونه يخالف الواقع، فإن الكثير من عامة الناس وبسطائهم - لا سيما أولئك المتأثرين بمشايخ الطرق الصوفية - يعتقدون أن الأولياء يدفعون بلاءً ويحلبون نفعاً لمن يستغيث بهم والعياذ بالله^(٢).

(٢) اعتقاد الكرامات والخوارق الخرافية لدى مشايخهم :

أما عن ظاهرة اعتقاد الكرامات والخوارق لدى مشايخهم، فهذا أمر سائد ومنتشر في المنطقة، حيث يعتقد أهل الطرق الصوفية بطيران مشايخهم إلى الأماكن المقدسة لاسيما في مواسم الحج، فيكونون آخر الداهيين وأول الآيين بزعمهم.

كما أن كتب الصوفية في المنطقة تتلىء بذكر ما يعتقدون أنه كرامات لمشايخهم وهي بلا ريب خرافات وأساطير، ومن ذلك مثلاً :

* ما ورد من أن أحد المريدين قصد شيخه في طلب آية منه (أي كرامة) قال: أولم تؤمن؟ فأجابه المريد: بلى ولكن ليطمئن قلبي. قال: اذهب إلى بيتك تجد امرأة تُجهّز، فإذا

(١) المجاز : جاء في القاموس المحيط: المجاز: خلاف الحقيقة . وجاء في المعجم الوسيط: المجاز من الكلام : ما تجاوز ما وضع له من المعنى . انظر : القاموس المحيط ٦٥١ ، وانظر : المعجم الوسيط ١ / ١٤٧ .

(٢) ناقش الباحث أحد أولئك المتأثرين بمشايخ الطرق الصوفية في أنغوشيا، فكان يقول : "نحن نعتقد اعتقاداً جازماً أن الأولياء يدفعون ضرراً ويحلبون نفعاً ، بل إن بعضهم يتصرف في شئون الكون والعباد ! " نعوذ بالله مما يقولون، وتعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

وُضعت في لحدّها فاستأذن قريبها، وارفع واحداً من تلك الأحجار ترآية. ففعل، فلما رفع الحجر إذا بالشيخ جالس عندها، فخر مغشياً عليه^(١).

* ما وقع لا مرأة مع ما يُسمى بقطب الأقطاب عبد القادر لعله يقصد الجيلاني^(٢) قال: "جاءت امرأة ذات يوم إلى حضرة الغوث والتمست منه الدعاء ليعطيها الله ولداً، فراقب وشاهد اللوح المحفوظ فلم ير لها ولداً مكتوباً فيه، فسأل الله أن يعطيها ولدين، فجاءه النداء من الله: ليس لها ولد مكتوب في اللوح وأنت تطلب ولدين! فسأل أن يعطيها ثلاثة أولاد، فجاءه النداء مثل الأول، فسأل الله أن يعطيها أربعة أولاد، فجاءه النداء مثله، فسأل أن يعطيها خمسة أولاد، فجاءه النداء مثله، فسأل أن يعطيها ستة أولاد، فجاءه النداء كالسابق، فسأل أن يعطيها سبعة أولاد، فجاءه النداء: يكفي يا غوث، لا تطلب الزيادة، فبهذه الإشارة، جاءت البشارة إليها بإعطاء الله لها سبعة أولاد. فأعطاه الغوث مقداراً من التراب. وكانت تلك المرأة حينئذ كاملة الصدمة والاعتقاد في حضرة الغوث، فوضعت ذلك التراب وعلقته في عنقها كالتعويذة، فأكرمها الله بسبعة أولاد ذكور، وبعد مدة فسد اعتقادها في حق الغوث، وقالت: ليس في التراب الذي أعطانيه الغوث أي فائدة تحصل منه. فبمجرد تفوهاها بهذا الكلام، مات أولادها، فجاءت إلى الغوث باكية، فتضرعت، فقالت: يا غوث: أغثني، فقال الغوث: كان ذلك الزمان زمانه. ففي هذا الزمان ليست فيه فائدة^(٣).

(١) انظر: حسن بن محمد الفحي "البرج المشيدة بالنصوص المؤيدة". ترجمة المؤلف في مقدمة الكتاب، بدون رقم للصفحة.

(٢) أمثال تلك الروايات مشكوك في نسبتها إلى الشيخ عبد القادر لعله الجيلاني رحمه الله.

(٣) انظر: حسن بن محمد الفحي "البرج المشيدة بالنصوص المؤيدة". ترجمة المؤلف في مقدمة الكتاب.

وتمثل هذه الخرافات والأساطير يلبس هؤلاء الغلاة من الصوفية على عامة الناس دينهم وعقيدتهم .

(٣) الغلو في الصالحين والخضر عليه السلام :

أما عن ظاهرة الغلو في أهل البيت والصالحين فقد تمثل ذلك في مدحهم لآل البيت ومغالاتهم في ذلك، وقد سبق أن أوردنا قصيدة لنجم الدين الحزبي، والتي منها قوله عن آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم .

وأبناؤه عند النوائب عدتي بشوكهم كل الملمات أدفع .

ومن أبرز الأمثلة على مغالاتهم في الصالحين أيضاً، اعتقادهم بحياة نبي الله الخضر^(١) عليه السلام.

ولقد كانت قضية حياة الخضر - عليه السلام - ولا تزال من القضايا المثارة في الوسط الداغستاني الصوفي، فلا يزالون يعتقدون أن سائر أقطاب وأولياء الصوفية يتلقون علمهم عن الخضر عليه السلام - وأنهم يلتقون به في الأماكن المختلفة بمحادثهم ويتحدثون معه ويرشدتهم.

(١) الخضر عليه السلام: هو المذكور في القرآن الكريم في قوله تعالى: "فوجدنا عبداً من عبادنا آتيناها رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علماً" وذلك في قصة موسى عليه السلام مع الخضر الواردة في سورة الكهف، آية ٦٥ . والعلماء مختلفون في الخضر: هل هونبي أو رسول أو ولي ؟ غير أن الكثير منهم يرجح نبوته . يقول العلامة محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - : . . . وبهذا كله تعلم: أن قتل الخضر للغلام، وخرقه للسفينة، وقوله: "وما فعلته عن أمري"، دليل ظاهر على نبوته . وعزا الفخر الرازي في تفسيره القول بنبوته للأكثرين . انظر : محمد الأمين الشنقيطي "أضواء البيان في إيضاح معاني القرآن" ٣ / ٣٢٦ ، ط دار الفكر - بيروت ١٤١٥هـ (١٩٩٥م) . وكذلك : "تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير" ٣ / ٨٨ . اختصره: محمد نسيب الرفاعي . ط مكتبة المعارف - الرياض ، ١٤١٠هـ (١٩٨٩م) .

وهذا الأمر ملاحظ أيضاً في التراث الصوفي الداغستاني، فلقد ورد عن الإمام شامل حكاية ذكر فيها -الخضر عليه- السلام، ويرى أنها كانت من الأسباب التي ساعدته لتبوأ منصب الإمامة في داغستان، وذلك حينما سئل كيف وصلت إلى درجة الإمامة؟ فقال: " إنه كان مرة وهو تلميذ في الجامع في إحدى القرى - وكان شهر الصيام - فلما كان الليل وبعد العشاء تفرقنا نحن التلاميذ خارجين من حجرة إلى داخل المسجد، وبيد كل واحد منا ثلاثة صرر (أي ثلاثة مقادير من الطعام) للتسحر بها، فدخل الجامع سائل فلم يتصدق عليه واحد من رفقائي، فدنوت منه في الظلام عند الباب ووضعت في يده صرتين وبقيت لي صرة واحدة، فدعا هذا السائل لي وقال: أعلى الله درجتك، فظننته الخضر عليه السلام^(١) .

كما ذكر الشيخ شعيب الباكلي حكاية عن الشيخ أحمد التلاي يروي فيها أنه التقى بالخضر عليه السلام ودله على مكان بيت الشيخ محمود الأملالي^(٢) .

وكانت للشيخ جمال الدين الغموقي مناجاة مع الخضر عليه السلام في شكل رسالة أرسلها إليه قبل هجرته إلى مكة ، يقول فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين، وعليه التكلان. من عبد الله الضعيف إلى نبي الله تعالى وحبيبه، وخليفة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وصفيه، سيد الأبدال

(١) انظر: عبد الرحمن بن جمال الدين الغموقي "التفصيل في أحوال الإمام شامل" مخطوطة غير مطبوعة موجودة لدى مكتبة الشيخ محمد نور المهركاني بـداغستان، اطلع الباحث على نسخة مصورة عنها في مكتبة الأستاذ هاني المهدي بمصر .

(٢) انظر: سيب بن إدريس الباكلي "طبقات الخواجكان النقشبندية" ص ٤٨٢ . ط (١) دار النعمان للعلوم، دمشق ١٤١٦ هـ (١٩٩٦ م) .

وعالم أهل الأرض خضر عليه السلام. - السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. زاد الله في علمك وعم بركتك على خلقه. آمين، أما بعد .

فيا سيدنا إنك قد بلغت الرسالة، وأديت الأمانة، وأوصلت سلام الله تعالى العزيز الغفار إلينا، وبينت لنا ما كان لنا عند الله تعالى من الدرجة والزلفى، ونصحتنا بالنصائح المليحة، ووعظتنا بالمواعظ البليغة، فرضي الله تعالى عنك، وجزاك عنا خير الجزاء، وإن شاء الله تعالى الكبير المتعال نجتهد في أمثال أمرك واجتناب نهيك بقدر الإمكان، فوالله العظيم ليس شك عليك ولا إنكار في حقك، فنعوذ بالله تعالى من ذلك، فنسألك بالله تعالى الذي خلقك وأكرمك واصطفاك أن تغفر عما صدر مني في حقك من ترك الأدب، وتجاوز عما فعلنا من الخطأ والزلل والنسيان، فإن الإنسان كله عصيان، فإني تبت عن جميع ما صدر مني من العصيان في حق الله تعالى وفي حقك، وأرجو من الله تعالى الكريم أن يقبل توبتي، فإنه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات. فالآن أسألك بالله تعالى الذي خلقك أن لا تقطع عني نظرك، ولا ترفع عني يدك ما دمت حياً، فإني رجل ضعيف عاص لله تعالى لا أجد علاجاً إلا التثبيت بذيلك المبارك في الدنيا والآخرة، فلا تخيب رجائي وكن لي شافعاً عند الله تعالى يوم القيامة، ومعيناً في الشدائد كلها في الدنيا والآخرة، ثم إني أستودعك بعد الله تعالى أهلي وأولادي إذا مت، وخاصة مباركنا "بهاء الدين" الذي سلمته إلي، وأمرتني باختياره من بين الأولاد .

ثم إني لما تفكرت في أحوال الناس ولم أجد فيهم خيراً إلا الفرار منهم عزمت الهجرة إلى دار الإسلام مع الأهل والعيال إن وفقني الله تعالى إلى ذلك، والباقي أن توصي لي بوصية حسنة لأعمل بها إن شاء الله تعالى، وأوصيك بالدعاء لي ولأولادي والسلام^(١).

(١) انظر: محمد المهالي "في وقائع الإمام شاميل" مخطوطة موجودة في مكتبة الشيخ محمد الهركاني بداغستان، اطلع الباحث على صورة عنها لدى الأستاذ هاني المهدي بمصر .

والحقيقة أن الخضر، هو العبد الصالح الذي ذكره الله تعالى في سورة الكهف، حيث رافقه نبي الله موسى -عليه السلام- وتعلم منه، واشترط عليه أن يصبر، فأجابه إلى ذلك، فقال له: وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً، وظل معه .

وهو عبد آتاه الله رحمة من عنده، وعلمه من لدنه علماً . ومشى موسى عليه السلام معه في الطريق، ورآه قد خرق السفينة فقال: أخرجتها لتغرق أهلها ؟ ... إلى آخر ما ذكر عنه في سورة الكهف . كان موسى عليه السلام يتعجب من فعله، حتى فسر له أسباب هذه الأمور، وقال له في آخر الكلام: "وما فعلته عن أمري ، ذلك تأويل ما لم تستطع عليه صبراً"^(١) يعني ما فعلت ذلك عن أمري، وإنما عن أمر الله تعالى .

وليس هناك دليل صحيح من القرآن والسنة وإجماع المحققين من الأمة أن الخضر حي، وقد أنكر حياته من الأئمة: الإمام البخاري^(٢)، وابن القيم^(٣)، وابن تيمية^(٤)، وغيرهم.

(١) سورة الكهف : آية ٨٢ .

(٢) الإمام البخاري : هو الإمام محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ، أبو عبد الله . حبر الإسلام والحافظ لحديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - صاحب "الجامع الصحيح" . ولد في بخارى ، ونشأ يتيماً ، وارتحل في طلب العلم، ودون كتابه الذي هو أصح كتاب بعد القرآن الكريم . توفي عام ٢٥٦هـ بجزيرة من قرى سمرقند . انظر : "سير أعلام النبلاء" ٣٩١/١٢، و "الأعلام" ٣٤/٦ .

(٣) ابن القيم : هو محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي ، أبو عبد الله شمس الدين . من أركان الإصلاح الإسلامي، وأحد كبار العلماء . مولده ووفاته في دمشق . تلمذ على شيخ الإسلام ابن تيمية، وهو الذي هذب كعبه ونشر علمه، وسجن معه في قلعة دمشق، وأطلق بعد موت شيخ الإسلام . ألف تصانيف كثيرة منها: أعلام الموقعين، والطرق الحكمية في السياسة الشرعية، وأحكام أهل الذمة، ومفتاح دار السعادة ومدارج السالكين، وغيرها . توفي - رحمه الله - عام ٧٥١هـ . انظر : "الأعلام" ٥٦/٦ .

(٤) ابن تيمية : هو أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام الحارثي الحنبلي، أبو العباس تقي الدين . الإمام المشهود له برسوخ القدم في علوم النقل والعقل . ولد في حران عام ٦٦١ هـ وتحول إلى دمشق، ونبع واشتهر وأصبح مرجعاً في الفتوى، وأفتى بمسائل أودى من أجلها وسجن أكثر من مرة ، ومات في السجن . كان - رحمه الله - آية في التفسير والأصول . له مؤلفات جمع كثير منها الشيخ عبد الرحمن بن قاسم في كتاب أسماه "مجموع الفتاوى" ، كما أن له : درء تعارض العقل والنقل ، وغيرها توفي عام ٧٢٨ هـ . انظر : "الأعلام" ١٤٤/١ .

فالخضر إن كان بشراً، فلن يكون خالداً، حيث ينفي ذلك القرآن الكريم والسنة المطهرة. قال الله تعالى: "وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون"^(١). فإنه لو كان موجوداً لجاء إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - ، والتزم الإسلام ديناً، وقد قال عليه الصلاة والسلام: "والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولا يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار"^(٢).

إنما يميل الناس دائماً إلى الغرائب والعجائب والقصص والأساطير، ويصورونها تصويراً من عند أنفسهم ومن صنع خيالهم، ثم يصفون عليها ثوباً دينياً، ويروج هذا بين بعض السذج، ويزعمون أن هذا من الدين، ولكن ليس هذا من الدين في شيء... والحكايات التي تحكى عن الخضر إنما هي خرافات ما أنزل الله بها من سلطان^(٣).

(١) سورة الأنبياء: آية ٣٤ .

(٢) رواه مسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - . انظر: صحيح مسلم المطبوع مع شرح النووي (٣٤١/١) كتاب

الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - ونسخ الملل بملته . حديث رقم ٢٤٠ .

(٣) انظر: د/ يوسف القرضاوي "فتاوى معاصرة" ١/ ١٩٣ ، ط الكويت ١٤١٦ هـ (١٩٩٦ م) .

المضمون الثالث :

التصدي لظاهرة إقامة الموالد .

مع دخول الطريقة الصوفية النقشبندية إلى المنطقة انتشرت فيها مجموعة من الخرافات والبدع، كتعظيم المزارات وزيارة القبور من أجل التبرك بأصحابها، وإقامة الموالد وحلقات الذكر والإنشاد، وبدعة إسقاط الذنوب عن الميت بدفع المال، وغيرها .

وقد تصدى كثير من الدعاة لظاهرة إقامة الموالد فجعلوها من مضامين دعوتهم يحذون الناس من الوقوع فيها ويبينون الحق والصواب في ذلك، ولا سيما مع انتشارها وكثرة تكرارها .

والمراد بالموالد هو الاحتفال بذكرى قدوم النبي - صلى الله عليه وسلم - على هذه الدنيا، أي مولده .

ومعلوم أن هذه الذكرى لم يحياها أحد من أصحاب القرون الأولى الفاضلة، كما لم يرد في النذب لها نص صريح من كتاب الله تعالى أو سنة نبيه الكريم - صلى الله عليه وسلم - بل استحدثها وابتدعها العبيديون ^(١) في القرون المتأخرة ، فهم أول من ابتدع فكرة الاحتفال بالمولد النبوي ، وجعلوه من الأعياد العامة ^(٢) .

(١) العبيديون : هم فرقة من فرق الرافضة يسمون العبيدين أو الفاطميين . يقولون بعصمة المعز معد بن تميم - الذي بنى القاهرة - من الذنوب والخطأ . وقد طعن جمهور الأئمة في نسبتهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم . وذكر العلماء أن مذهبهم شر من اليهود والنصارى، بل شر من مذهب غلاة الرافضة . انظر : "معجم ألفاظ العقيدة" ص ٢٨٠ .

(٢) انظر : علي بن نجيت الزهراني "الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين . وأثارها في حياة الأمة" ص ٣٨٣ وما بعدها . ط (٢) دار طيبة - مكة المكرمة ، ١٤١٨ (١٩٩٨م) .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "مع اختلاف الناس في مولده صلى الله عليه وسلم - فإن هذا لم يفعله السلف، مع قيام المقتضى له (وهو محبته - صلى الله عليه وسلم -) وعدم المانع منه، ولو كان هذا خيراً محضاً، أو راجحاً، لكان السلف - رضي الله عنهم - أحق به منا، فإنهم كانوا أشد محبة لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - وتعظيماً له منا، وهم على الخير أحرص، وإنما كمال محبته وتعظيمه في متابعتة وطاعته واتباع أمره وإحياء سنته باطناً وظاهراً"^(١).

ولقد تطرق العلماء الربانيون في شمال القوقاز لهذه البدعة قديماً وحديثاً وبنوا وجه الانحراف فيها، ومن أولئك الشيخ علي الغموقي والشيخ مسعود المهوقي^(٢) والشيخ أبو سفيان الغزائشي^(٣) في مطلع القرن الميلادي العشرين. أما من العلماء الربانيين المعاصرين

(١) شيخ الإسلام ابن تيمية "اقتضاء الصراط المستقيم" ص ١٢٣ - ١٢٤. ق : د / ناصر العقل . ط (٧) وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية ١٤١٩ هـ (١٩٩٩ م).

(٢) الشيخ مسعود المهوقي : هو أبو محمد مسعود المهوقي الداغستاني، تلقى العلوم والمعارف على يد علماء عصره في داغستان، فنبغ في اللغة العربية، وبرع في علومها، وكان له تفوق على أقرانه ، وصار من المصلحين والمفكرين الداغستانيين. تأثر بدعوة الشيخ علي الغموقي إلى الاجتهاد، وانضم إليه فدعا إلى الاجتهاد ونبذ التقليد ، وألف كتاباً في هذا الصدد أسماه "خرق الأسداد عن أبواب الاجتهاد". وقد توفي المهوقي - رحمه الله تعالى - في مطلع القرن العشرين الميلادي . انظر: هاني المهدي "أعلام وعلماء في تاريخ داغستان" ص ١٧٠ بحث مطبوع غير منشور .

(٣) الشيخ أبو سفيان الغزائشي : عالم ومفكر وأديب ومصلح اجتماعي داغستاني، حصل العلوم والمعارف على يد علماء عصره في داغستان، ثم سافر إلى المدن الروسية وتعلم فن الطباعة ، فرجع إلى داغستان وأنشأ مع صاحب له أول مطبعة إسلامية في شمال القوقاز بتمير خان شورة عاصمة داغستان سابقاً ، وتسمى مدينة "بيوناكس" حالياً . ألف الغزائشي عدة كتب باللغة القوموقية، والعربية ، من أهمها كتاب "الأصول الجديدة" وهو أول كتاب مدرسي في تاريخ داغستان لتعليم الأطفال القراءة والكتابة . سافر إلى مصر والتقى فيها بالشيخ رشيد رضا وكتب عنه مقالة بعنوان "نهضة الداغستانيين" . وقد توفي الغزائشي عام ١٣٥٠ هـ (١٩٣١ م) بالمعقل السياسي بشمال سيبيريا . انظر: هاني المهدي "أعلام وعلماء في تاريخ داغستان" . ص ٢٧٦ وما بعدها .

الأحياء فقد بين كثير منهم وجه الضلال والزيف لهذه البدعة المحدثه، ومن أولئك العلامة الشيخ حسام الدين الطبرساني، والشيخ عز الدين البوني، والشيخ بهاء الدين الأواري، والشيخ أحمد حمزة الشيشاني، والشيخ عيسى بن سلطان الأنغوشي وغيرهم الكثير من العلماء وطلبة العلم والدعاة .

ويصف الشيخ علي الغموقي - رحمه الله - ما يقع في الموالد من البدع والمنكرات فيبين أنه انتقل إلى المنطقة وهي مملوءة بالمفاسد والمنكرات، فتلقاها الناس بالقبول، وعكفوا عليها يعملونها ويصنعون لها الولائم، وينتخبون لإنشاد قصائدها من المنشدين أحسنهم صوتاً وأطربهم نغمة، فيستمعون لها ويتلذذون بنغمات الصوت دون أن يفهموا مما يسمعون شيئاً! . وربما يزيد فيه المتصوفة منهم تلاوة أسماء مشايخهم الذين ينتسبون إليهم، ومشايخ مشايخهم إلى آخر السلسلة، وإنشاد مدائحهم . . . ويحصل لهم عند سماعهم أسماء مشايخهم وألقابهم - التي ما أنزل الله بها من سلطان - من التواجد والوله والسكر مالا يحصل لهم مثله ولا قريب منه عند سماع كلام الله تعالى وحديث رسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم . وربما يزيدون فيه الرقص وضرب الدف على ذكر اسمه تبارك وتعالى، فيخاطبون الله بالعبادة^(١) .

ومن المنكرات في ذلك أن بعضهم يقدمونه - أي عمل المولد - على أداء ما عليهم من الديون اللازمة، فيعملونه ويصرفون فيه ما عندهم، ويؤخرون ما عليهم من الحقوق الواجبة لله تعالى أو لعباده، ويرجحون بذلك البدعة على الفرض، وربما يضطرون بعد ذلك إلى التضييق على أهلهم.

(١) انظر: الشيخ علي الغموقي، صحيفة "داغستان"، مقالة بعنوان "موالدنا"، عدد ٥٢ بتاريخ ١٨/١٢/١٣٣٣هـ (٢٦) ١٩١٥/١٠/م.

لقد بين بعض العلماء وطلبة العلم المعاصرين وجه الزيغ والضلال في الموالد، وما يرافقها من انحراف وغلو يذهب بمعالم الدين ويصرف الناس عن الصراط المستقيم. فلقه جرت مناظرات عدة بين الصوفية ومخالفهم في شمال القوقاز - لا سيما في داغستان - بين فيها العلماء والدعاة بدعية الموالد وبدعية ما يقع فيها، وأنها ليست من شعائر الدين - كما يزعم أولئك المتصوفة - وأكدوا أنه لا يجوز التقرب إلى الله تعالى بهذا الموالد لأسباب عدة، منها: ^(١).

١- كونه جعل شعيرة من شعائر الدين وقربة، من أنكرها فكأنما أنكر ركناً من أركان الدين، مع أن أهل القرون الثلاثة الأولى لم يعملوا به قط.

٢- كونه جعل عيداً للمسلمين في ذكرى ولادته صلى الله عليه وسلم بلا دليل قطعي الثبوت من كتاب الله تعالى أو من سنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

٣ - كونه وقع فيه التشبه باليهود والنصارى في أعيادهم (مثل ميلاد المسيح عليه السلام).

٤- تكراره كعبادة مستمرة لا بسبب ذكرى المولد فقط، وإنما لأسباب كثيرة متعددة فيفعل في الأسبوع وفي الشهر وفي السنة عشرات المرات.

٥- كونه في بعض الأماكن وسيلة لاختلاط الرجال بالنساء.

٦- كونه في بعض الأماكن تستعمل فيه آلات الموسيقى والطرب المحرمة.

(١) انظر: الشيخ علي الغموقي، صحيفة "داغستان"، مقالة بعنوان "موالدنا"، بتاريخ ١٦/٢/١٣٣٣هـ (١/٢).

٧- أصبح وسيلة للتفاخر بين الناس حتى من كان منهم بعيداً كل البعد عن الدين وحتى لو كان لا يصلي .

٨- تذكر فيه القصص والروايات المكذوبة التي لا أصل لها في ذكر مولده صلى الله عليه وسلم ، وذكر الملائكة ، والخور العين ، . الخ .

٩- الغلو والإطراء في المدح بما لا يقره الشرع ، وقد يصل الحد إلى ألفاظ تقترب من الشرك كطلب النجاة من النار من الرسول صلى الله عليه وسلم بذاته . وغيرها من الألفاظ .

١٠ - كونه جعل باباً للرزق في كثير من المدن والقرى ، يأكل به البعض بقراءته وإنشاده ، لا بقصد القرية إلى الله . فلقد أصبح في كثير من الأماكن باباً للرزق ، وصار مدح النبي صلى الله عليه وسلم يقدر بالنقود والدراهم ^(١) .

يقول العلامة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ^(٢) - رحمه الله - : "الاحتفال - أي بالمولد - لا أصل له ، لأنه لو كان من شرع الله لفعله النبي - صلى الله عليه وسلم - أو

^(١) رسالة الأستاذ محمد علي المدرس بقرية كوما في الداغستانية ، إلى الشيخ محمد مختار مفتي قومية القوموق ، قلاً عن : هاني المهدي " التصوف في داغستان في القرون الثلاثة الأخيرة " ص ٢٣٥ .

^(٢) محمد بن صالح العثيمين : هو العلامة الشيخ أبو عبد الله محمد بن صالح بن محمد بن عثيمين الوهبي التيمي ، ولد في عنيزة بنجد عام ١٣٤٧هـ ، حفظ القرآن ثم درج في طلب العلم حيث لازم الشيخ العلامة عبد الرحمن السعدي وأخذ عنه التوحيد والتفسير والحديث والفقه وأصوله والفرائض ومصطلح الحديث والنحو والصرف ، كما أخذ عن الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله - . تولى الشيخ محمد إمامة الجامع الكبير بعنيزة والتدريس بالإضافة إلى عضوية هيئة كبار العلماء بالملكة العربية السعودية ، وكان لفضيلة الشيخ نشاط كبير في الدعوة إلى الله - عز وجل - ، كما أن له أكثر من أربعين كتاباً أو رسالة مؤلفة في أحد علوم الشريعة الإسلامية . انظر : فهد بن ناصر السليمان "مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين" ٩/١ جمع : فهد بن ناصر السليمان ، ط (٢) دار الثريا ، الرياض ١٤١٤ هـ (١٩٩٤م) .

بلغه لأمته ، ولو فعله أو بلغه لوجب أن يكون محفوظاً لأن الله - تعالى - يقول : "إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون" من سورة الحجرات : أية ٩٠^(١) .

(١) انظر: "مجموع فتاوي ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين" ٢/٢٩٨.

المطلب الثاني :

المضامين المتصلة بالجوانب الأخلاقية.

المضمون الأول :

مواجهة مظاهر الفساد والانحلال الأخلاقي .

نظراً لانعزال المسلمين في الاتحاد السوفيتي السابق عن العالم الإسلامي ، وقهرهم تحت نير الاحتلال الروسي، وفرض سياسته المنحرفة ومبادئه الفاسدة عليهم، فقد نشأ جيل في المنطقة متأثر بتلك السياسة الغاشمة، وبهذه المبادئ المنحلة ، مما أشاع جواً من الانحلال الأخلاقي والفساد الاجتماعي داخل المجتمعات المسلمة في الاقليم .

ومن أبرز مظاهر هذا الفساد: شرب الخمر، والزنا، والقتل ، والسرقه ، وغير ذلك . . فالخمر تباع في الشوارع، حيث تصنع بكثرة في المنطقة، فهم يصدرون الخمر إلى البلاد الأوروبية والروسية. كما ينتشر الزنا ، فمظاهر العري والخلاعة تسود المنطقة. أما السرقة فهي في وضح النهار، والقتل العلني في الشوارع، والغش في الأسواق ولا شك أن هذا كله نتيجة طبيعة للبعد عن الدين والجهل به .

والجهل به، ولقد اهتم الدعاة على اختلاف مواقعهم (مدرسين، وكتاب، وخطباء، وغيرهم) بهذه الناحية اهتماماً بالغاً نظراً لخطورتها على أمن المجتمع وسلامته، فحاولوا معالجة هذه القضية من خلال تنشئة النشء الصغير تنشئة صالحة على آداب الإسلام، وتوجيه الشباب إلى مكارم الأخلاق ، وإصلاح حال المرأة بدعوتها للعفة والطمهارة . فأقاموا التحقيق ذلك المحاضرات في المنتديات ، وأصدروا الكتب والرسائل، مبرزين فيها

أن الدين هو حسن الخلق، موضحين الجواهر الحقيقية لأركان الإسلام، حيث تنهى الصلاة عن الفحشاء والمنكر، إذ يقول تعالى: "وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر"^(١) والزكاة تطهر القلوب وتزكي النفوس، يقول تعالى: "خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها"^(٢)، والصيام يعين على التقوى والصبر وكف الأذى عن الغير. "يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون"^(٣). وقوله صلى الله عليه وسلم "وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل: إني صائم"^(٤). والحج يعين على التحمل ويروض النفس على تجنب الفسق والجدال. قال تعالى: "فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج"^(٥).

ولا يزال موضوع مواجهة مظاهر الفساد ومحاصرة الانحلال الأخلاقي شغل الدعاة الشاغل في المنطقة، يتناوله الخطباء باستمرار في خطبهم والدعاة في وسائلهم، نسأل الله تعالى لهم التوفيق في عملهم والهداية لهم لغيرهم. إنه الهادي إلى سواء السبيل^(٦).

(١) سورة العنكبوت: آية ٤٥.

(٢) سورة التوبة: آية ١٠٣.

(٣) سورة البقرة: آية ١٨٣.

(٤) رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - . انظر: صحيح البخاري المطبوع مع فتح الباري (٥/

١٣٠) كتاب الصوم، باب (٢) فضل الصوم، حديث رقم ١٨٩٤. ورواه مسلم في صحيحه المطبوع مع شرح النووي

(٢١٧/٣) كتاب الصيام، باب أخلاق الصائم، حديث رقم ١٦٠.

(٥) سورة البقرة: آية ١٩٧.

(٦) ذكره العديد من القاهم الباحث أمثال: الشيخ موسى الأنوشي، والشيخ أحمد حمزة الشيشاني، والأساذ عمر

الفاروق، والدكتور أحمد ياسين وغيرهم.

المضمون الثاني :**الدعوة إلى وحدة الصف والتآخي ونبذ العصبية القبلية .**

لقد كان القوقاز قبل الفتح الإسلامي تقطنه شعوب متناحرة، وقبائل متنافرة، مختلفة العادات واللغات والتقاليد إلى أن جاءها الفتح الإسلامي فجمع شمل هذه الشعوب وتلك القبائل ووحدة صفوفها وكلمتها، وجعل اللغة العربية والدين الإسلامي قاسماً مشتركاً يجمعهم جميعاً .

وبقوا على هذا ردحاً طويلاً من الزمن إلى أن صاروا تحت الحكم القيصري الروسي، وبعدها أجبروا في الدخول تحت السيطرة الشيوعية فحاولت جمعهم على الإلحاد واللغة الروسية إلى أن انهارت الشيوعية، فبدأت مظاهر الفرقة والقومية والعصبية القبلية والفكرية تطل برأسها من جديد، وخاصة في منطقة شمال شرق القوقاز، تلك المنطقة المملوءة بالأعراق واللغات والعادات المختلفة .

فما أن انهار الاتحاد السوفيتي حتى صارت كل قومية أو قبيلة تتخذ منظمة عرقية لها وإدارة دينية خاصة بها، ولكل قومية مفتي خاص، فظهرت الاختلافات في تحديد أوائل الشهور العربية، لاسيما شهر رمضان المبارك ، وكذلك أيام العيدين الفطر والأضحى المباركين .

فداغستان - مثلاً - بالرغم من صغر مساحتها إلا أن أهلها يختلفون في أيام الصيام والأعياد ، حيث تجد قرية تصوم اليوم، والقرية التي خلفها في الجهة الأخرى من الجبل تصوم غداً ! وذلك لأن كل قرية تتبع مفتيها وشيخها، وإدارتها الدينية التابعة لها ^(١).

كما تبدو مظاهر الاختلاف والفرقة جلية في بناء كل قومية مساجد خاصة بها، ودعمها بأئمة من أبناء القومية ؛ وعدم قبول أبناء القوميات الأخرى في مدارس أو معاهد معينة، وإن تم قبولهم فيكون ذلك على مضض.

وقد كان الصراع ولا يزال محتملاً بين قوميتي القوموق والأوار على الصدارة الدينية في المنطقة، وفقد انفردت قومية القوموق بإدارة الجامعة الإسلامية (جامعة الإمام الشافعي) ، فتحكموا في قبول الطلاب الأوار ورفضوا قبولهم فيها ، فكانوا يفضلون قبول الطلاب الجنوبيين (من القوميات الصغيرة الأخرى) على الطلاب الجبيلين الأوار.

ولما بني المسجد المركزي بالعاصمة محاج قلعة بتمويل تركي، تنازعوا الصدارة والإمامة فيه، فكان للأوار إدارة المسجد، وكان للقوموق الإمامة ، ولما اشتدت المنازعات بينهم، قاموا بعزل الإمام القوموقي وطرده ^(٢).

ولا يزال التوتر على أوجه بين هاتين القبيلتين، فهم لا يسمحون بالتزاوج بين بعضهم البعض ، كما أن القوموق يضيقون ذرعاً بنزوح الأوار من الجبال إلى السهل (محاج قلعة) حيث يمارسون أعمال التجارة ، حتى رسخت أقدامهم فيها . ومما زاد في تفرقهم واختلافهم تلك العداوة الصارخة التي قامت بين المغالين من التيارين السلفي والصوفي، مما أدى إلى احتدام القتال بين بعضهم البعض في بعض القرى . ولهذا كانت الدعوة إلى وحدة

(١) ذكره بعض من التقاهم الباحث .

(٢) المصدر السابق .

الصف والتآخي ونزع العصبية القبلية قضية ومضموناً يشغل بال الدعاة، حيث وجه بعضهم جهده لمعالجته ^(١).

فمن جهود الدعاة في سبيل نزع العصبية العرقية وتحقيق الأخوة الإسلامية إنشاء لجنة محايدة لقبول الطلاب الأكفاء من جميع الأعراق وسائر القوميات في الجامعة الإسلامية بـداغستان . كما قاموا بعمل البرامج الطلابية كالرحلات والزيارات الاجتماعية المشتركة من أجل إذابة روح الفرقة والعصبية . وبذلوا جهدهم في المحاضرات والخطب واللقاءات العامة مذكّرين بأهمية توحيد المسلمين والاعتصام بجبل الله المتين، محذرين من التفرقة والاختلاف والتنازع، كما جاء في محكم التنزيل : " واعتصموا بجبل الله جميعاً ولا تفرقوا " ^(٢)، وقوله سبحانه: " وإن هذه أمتكم أمة واحدة " ^(٣)، وقوله: " ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات " ^(٤)، وقوله تعالى: " ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم " ^(٥)، مبينين لهم نهى الإسلام عن التفرقة والانقسام، مؤكدين أن الوحدة هي سبيل العزة والقوة التي تحفظ أهل الإسلام من كيد المتربصين وغدر الملحدين والصليبيين . منبهين على أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الشأن، والتي منها قوله صلى الله عليه وسلم : " لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض " ^(٦)، وذلك لكي يتضح لهم

(١) ذكره بعض من التقاهم الباحث .

(٢) سورة آل عمران، آية ١٠٣ .

(٣) سورة المؤمنون ، آية ٥٢ .

(٤) سورة آل عمران، آية ١٠٥ .

(٥) سورة الأنفال ، آية ٤٦ .

(٦) رواه البخاري ومسلم عن جرير بن عبد الله - رضي الله عنه - انظر : صحيح البخاري المطبوع مع فتح الباري (٢٨٩/٢) كتاب العلم، باب (٤٣) الانصات للعلماء ، حديث رقم ١٢١ . ورواه مسلم في صحيحه المطبوع مع شرح النووي (٢٤٢/١) كتاب الإيمان ، باب معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم : " لا ترجعوا بعدي كفاراً . . . " ، حديث رقم ١١٨ .

أن التنازع والشقاق والتفرقة إنما هي من صفات الكافرين الضالين ، ولا يجوز أن تكون من صفات المؤمنين بجال، لأن مقتضى الإيمان هو الوحدة الجامعة .

المضمون الثالث :

الاهتمام بالمرأة وتنشئتها على قيم الإسلام .

لقد عمل الغزو الشيوعي الفكري والثقافي والاجتماعي عمله في عقل المرأة المسلمة في شمال شرق القوقاز، بل وفي سائر مناطق الاتحاد السوفيتي السابق . حيث استطاع إخراج المرأة لمشاركة الرجل في الأعمال الصعبة الشاقة، فهي الآن تقود الحافلات والقطارات، وتقوم بأعمال نظافة الشوارع وأعمال الحفر والبناء، وتجهيز الطرق وتعييدها، مما أخرجها من أنوثتها، وغيّر من طبيعتها، فصارت نداً للرجل .

وما أن انهارت الشيوعية، وحل الغزو الثقافي والاجتماعي الأوربي الغربي للبلاد، حتى صارت المرأة المسلمة في روسيا بعمومها تقلد المرأة الغربية تقليداً أعمى، وتسير وراءها شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى فقدت شخصيتها وصارت أسيرة للغزو الفكري .

فبدأ السفور على أشده، والخروج من طاعة الرجل باسم الحرية المزعومة، وغدت المرأة المسلمة نهباً للطامعين، وسلعة رخيصة تباع وتشتري، خاصة بين التجار ورجال الأعمال . فكم من مشاجرات ومنازعات وحوادث قتل صارت بسببها، وكم خراب للبيوت وشتات للأسر حدث من أجلها . لذا فقد وجه الدعاة أنظارهم واهتماماتهم للمرأة المسلمة في المنطقة، وعملوا على تنشئتها على قيم الإسلام، مستخدمين في ذلك منهج التيسير والتدرج .

فمن دعيت إلى الصلاة فاستجابت وأدتها، وأخرت ارتداء الحجاب شكر لها الدعاة ذلك، ودعوها للخطوة الأخرى . ومن غطت منهن رأسها، ولم تغط الرقبة، أثنا على هذه

الخطوة، ودعوها للخطوة الأخرى . ومن لم تستجب منهن، صبروا عليها، وكرروا دعوتها حتى يفتح الله قلبها للهداية^(١).

ومن خلال تجربة الدعاة هناك وجدوا أن المرأة رقيقة القلب، ومرهفة المشاعر، سريعة الدين والحشية من الله عز وجل^(٢) فكان إقبالها على الدين سريعاً للولوج في حياة طيبة ، حيث يقول تعالى: "من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون"^(٣).

وقال أيضاً: "أنني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض"^(٤).

لذا رأت المرأة المسلمة هناك بعد هدايتها أنه تحتم عليها العمل لدينها كالرجل تماماً، وأنها ليست أقل من المرأة اليهودية والنصرانية والشيوعية التي تعمل لخدمة عقيدتها، وتبذل جهدها ووقتها ومالها لنصرتها، ولا تبالي ما يحدث لها من أجل دينها وعقيدتها .

(١) ذكره أحد المعلمين الدعاة العرب حيث يدرس هو وزوجته علوم القرآن الكريم والعربية.

(٢) مثال على سرعة استجابة النساء حادثة محل شارع لبنين، فقد حكى أحد مدرسي الجامعة الإسلامية العرب حكاية تدل على مدى سرعة استجابة النساء لأوامر الإسلام: ففي شارع لبنين بالعاصمة "محاج قلعة" محل لبيع ملابس النساء ، وقد غلق على واجهة المحل صورتان كبيرتان لفاتنتين عاريتين، فأخذ هذا الأخ لوحين كبيرتين إحداهما للكعبة المشرفة، والأخرى للحرم المدني الشريف، وطلب من الفاتنتين اللتين تعملان في المحل تبديل الصورتين العاريتين بصورتين الكعبة والحرم المدني . مبيناً لهما مضار الخلعة والسفور على الشباب والمجتمع بكلام هادي راعى فيه مشاعرهما وواقعتهما الإليم، وحثهما على الالتزام بأداب الإسلام وخاصة أنهما مسلمتان، فبادرتا بنزع الصورتين العاريتين، وطلبنا منه أخذ صورتين الكعبة والحرم المدني لتعليقهما في بيتيهما، كما طلبنا الوسائل التي تعينهما على التعرف على الإسلام من خلال الكتب والمجلات والأشرطة وغير ذلك .

(٣) سورة النحل: آية ٩٧ .

(٤) سورة آل عمران: آية ١٩٥ .

فأقبلت على دراسة اللغة العربية والعلوم الإسلامية والفقه في الدين، ثم عملت بعد ذلك في مجال الدعوة، فحرصت على توعية بنات جنسها، ودعوتهن إلى الالتزام بتعاليم الإسلام وقيمه. فأصبح منهن من عملت على تكوين أسرة مسلمة، بعد أن أكرمها الله بالزواج من شاب صالح، فكانت زوجة صالحة وأماً وفية، تشجع زوجها وتبته، متخذة من أمهات المؤمنين ونساء الصحابة- رضوان الله تعالى عليهن- أسوة وقدوة. كما أن منهن من ذهبن للدعوة والتعليم في قراهن فكن خير معلمات وداعيات إلى الله تبارك وتعالى^(١).

أما عن الوسائل التي استخدمها الدعاة في منطقة شمال شرق القوقاز للاهتمام بالمرأة وإصلاحها، فهي كما يلي:-

* إنشاء مدارس خاصة للفتيات وتزويدها بالمعلمات العربيات^(٢).

* عمل دورات للفتيات وإعداد برامج ثقافية وتربوية وترفيهية لهن ترفع من مستواهن الثقافي والدعوي، ويشرف على ذلك المعلمات العربيات.

* إمداد بعض مدارس الفتيات بالزبي الإسلامي (الحجاب والجلباب) من قبل الهيئات الخيرية، وتوزيعه في البرامج الثقافية والترفيهية كهدايا عليهن.

* عمل برنامج مشغل خياطة لتفصيل الزي الإسلامي، بهدف نشر ارتداء الجلباب والحجاب الإسلامي في المنطقة، وقد تحقق ذلك بفضل الله، فما من قرية أو مدينة أو سوق أو مدرسة أو جامعة في المنطقة إلا فيه هذا المظهر الإسلامي^(٣).

(١) ذكره بعض من التقاهم الباحث.

(٢) هؤلاء المدرسات زوجات المعلمين العرب في المنطقة عموماً.

(٣) ذكره بعض الدعاة المحليين، والدعاة العرب حيث يعمل زوجاتهم في مجال التعليم والدعوة.

المبحث الثالث :

وسائل الدعوة وأساليبها في شمال شرق القوقاز .

ويشتمل على مطلبين كما يلي :-

المطلب الأول :

وسائل الدعوة في المنطقة .

المطلب الثاني :

أساليب الدعوة في المنطقة .

المبحث الثالث :

وسائل الدعوة وأساليبها في شمال شرق القوقاز :

إن المراد بوسائل الدعوة في هذا المبحث هي "ما يتوصل به إلى الدعوة" ^(١) ويحقق أهدافها ، أو بمعنى آخر هي "القناة الموصلة للغاية ، أو الأداة المستخدمة في نقل المعاني والأفكار للناس" ^(٢) .

أما المراد بأساليب الدعوة هنا فهي "صيغ التبليغ في دعوة الناس" ^(٣) ، أو بمعنى آخر هي "مجموعة الطرق العملية المتبعة في عرض الأفكار والتي يتعلمها الداعية ويطبقها أثناء تبليغ الدعوة إلى الناس" ^(٤) .

^(١) انظر: د/ محمد أبو الفتح البيانوني "المدخل إلى علم الدعوة" ص ٤٩ .

^(٢) انظر: د/ سيد محمد ساداتي الشنقيطي "ركائز الإعلام في دعوة إبراهيم عليه السلام" ص ٤٣ في الهامش .

^(٣) انظر: المرجع السابق ، ص ٤٨ في الهامش .

^(٤) انظر : د/ محمد عبد القادر أبو فارس "أسس الدعوة ووسائل نشرها" ص ٩٠ ، ط (١) ، دار الفرقان -

عمان، ١٤١٢هـ (١٩٩٢م) .

المطلب الأول :**وسائل^(١) الدعوة في المنطقة :**

لا بد للمرء في سبيل تحقيق أهدافه، والوصول إلى غاياته من استخدام الوسائل والأساليب الشرعية التي تعينه على ذلك، فإن الله عز وجل قد ربط الأسباب بالمسببات، وأمر بالأخذ بالوسائل والأساليب المؤدية إلى الغايات. قال تعالى: "يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله"^(٢).

والدعاة إلى الله تعالى هم أولى الناس بابتغاء الوسائل والأساليب التي تقربهم إلى الله تعالى، وتصل بدعوتهم إلى الناس، تمشياً مع سنن الله في الأرض، حيث جعل المولى من سنن الهداية إرسال الرسل الكرام، وتنزيل الكتب، وهو القادر على أن يهدي الناس جميعاً دون هذه الوسائل وتلك الأساليب.

ومن هنا كان لزاماً أن نتطرق للحديث عن وسائل الدعوة الإسلامية الفعالة وأساليبها في منطقة شمال شرق القوقاز في سبيل استجلاء حقيقة الواقع الإسلامي هناك .

(١) الوسائل : جمع وسيلة . والوسيلة: المنزلة، والدرجة، والقرية، والوصلة . قال تعالى: "أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة". سورة الإسراء: آية ٥٧ . وجاء في لسان العرب: "الوسيلة ما يتقرب به إلى الغير". انظر: "لسان العرب" ٧٢٤،/١١ "والقاموس المحيط" ١٣٧٩ .

(٢) سورة المائدة: آية ٣٥ .

لقد كانت الفرصة مواتية للدعاة إلى الله تعالى وللهيئات الإسلامية بعد انهيار الاتحاد السوفيتي للعمل على النهوض بواقع المسلمين في القوقاز، فالتحذوا الوسائل الدعوية المعينة على تحقيق غايتهم وبلوغ مأربهم.

ومن أبرز الوسائل الدعوية التي استخدمها الدعاة في المنطقة هناك ما يلي :

- (١) إنشاء المدارس والمعاهد الأهلية الإسلامية .
- (٢) بناء المساجد والمراكز الإسلامية .
- (٣) إعداد الدعاة .
- (٤) ترجمة وإصدار الكتب والنشرات .
- (٥) إنشاء المستوصفات الطبية .
- (٦) تقديم الإغاثات والمساعدات العاجلة .
- (٧) الاستفادة من وسائل الإعلام .
- (٨) إقامة الندوات والمؤتمرات المحلية .
- (٩) إرسال البعثات الطلابية .
- (١٠) إقامة المخيمات التربوية الصيفية .
- (١١) الاحتفال بالأعياد الإسلامية والمناسبات المختلفة .

ومن الإيجاز إلى التفصيل:-

(١) إنشاء المدارس والمعاهد الأهلية الإسلامية :

أدرك القائمون على أمر الدعوة الإسلامية في المنطقة أن المدخل الرئيس في سبيل النهوض بواقع المجتمعات المسلمة في المنطقة إنما يكون برفع الجهل وتعليم اللغة العربية والعلوم الإسلامية، ذلك أن الجهل هو مركز داء هذه الأمة، وهو التربة الخصبة لبذور العلل فيها . من هنا حرص القائمون على أمر الدعوة على إنشاء المدارس والمعاهد والكليات، وانتخبوا لها من أفضل العناصر في العالم الإسلامي ومن المحليين للتدريس فيها ، لأن المعلم القدوة له أثره البالغ في شخصية الناشئة والشباب، لما يتمتع به من مكانة عظيمة في نفس الطالب، وخاصة تلك الآداب الرفيعة والقيم الحميدة والقدوة الحسنة والعلم النافع والتي بها تتحقق مثالية التربية والتعليم في الناشئة والشباب .

لقد شهد الكثير بتميز المؤسسات التعليمية الإسلامية التي أقامتها المؤسسات الخيرية العربية في شمال شرق القوقاز ^(١) ، وذلك لاهتمامها بالمعلم القدوة المحلي والعربي، وحرصها على نوع ومستوى المناهج الدراسية التي تدرس في تلك المؤسسات التعليمية .

وكان من أهم أهداف إنشاء تلك المؤسسات التعليمية ما يلي:

* تنشئة الشباب على مفاهيم وقيم الإسلام الصحيحة عقيدة وشرعة وأخلاقاً .

* تعليم اللغة العربية والعلوم الإسلامية .

^(١) زار الباحث بعضاً من تلك المدارس والكليات ، واطلع على المستوى الجيد لطلابها ومعلميها .

* تحفيظ القرآن الكريم وتعلم معانيه .

* إعداد الكوادر اللازمة من أبناء المنطقة وتأهيلها للقيام بواجب الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى .

وفي سبيل العمل على تحقيق تلك الأهداف ، بذل القائمون على أمر تلك المؤسسات وسعهم لإنشاء ودعم العديد من المدارس والمعاهد والكليات، كما بذلوا وسعهم في سبيل إنشاء عشرات المراكز التي تعنى بتحفيظ القرآن الكريم في المنطقة .

والجدول التالي يبين أبرز المدارس والمعاهد التي أنشئت أو دعمت في المنطقة وبيان المؤسسات الداعمة .

جدول رقم (٤) : أبرز المدارس والمعاهد الإسلامية في المنطقة.

تسلسل	المدرسة أو المعهد أو الجامعة	المكان	المستوى	المؤسسة المنشأة أو الداعمة	إنشاء أو دعم
(١)	جامعة الإمام الشافعي	العاصمة الداغستانية	ثانوي وجامعة (بنين)	هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية	دعم بالمعلمين والمناهج
(٢)	مدرسة أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها)	العاصمة الداغستانية	متوسط (بنات)	هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية	إنشاء كامل ودعم
(٣)	مدرسة البوني الإسلامية	منطقة بوتليخ بداغستان	متوسط (بنين وبنات)	هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية	إنشاء كامل ودعم
(٤)	مدرسة عندي الإسلامية	قرية عندي بمنطقة بوتليخ بداغستان	متوسط (بنين وبنات)	هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية	إنشاء كامل ودعم
(٥)	معهد الشهيد حسن أفندي	منطقة كريل بداغستان	متوسط (بنات)	هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية	الدعم بالمناهج
(٦)	مدرسة كوالي الإسلامية	منطقة غنيب بداغستان	متوسط (بنين وبنات)	هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية	إنشاء ودعم
(٧)	مدرسة دار الحكمة (تم إغلاقها)	منطقة كزليورت بداغستان	متوسط (بنين)	مؤسسة سار الخيرية	إنشاء كامل ودعم

(٨)	مدرسة تلوخ	منطقة بوتلخ بداغستان	متوسط (بنين وبنات)	هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية	نصف دعم
(٩)	كلية اللغة العربية والدراسات الإسلامية	العاصمة الشيخانية	جامعة (بنين)	لجنة الدعوة الإسلامية الكويتية	إنشاء كامل ودعم
(١٠)	المدرسة الشيشانية الكويتية	مدينة غودرمس الشيخانية	متوسط (بنين وبنات)	لجنة الدعوة الإسلامية الكويتية	إنشاء كامل ودعم
(١١)	معهد الملك فهد (المعهد الإسلامي حالياً)	أنغوشيا	ثانوي (بنين)	الندوة العالمية للشباب	إنشاء كامل ودعم
(١٢)	معهد البر الإسلامي (تم إغلاقه)	أنغوشيا	ثانوي (بنين)	الندوة العالمية للشباب	إنشاء كامل ودعم

(٢) بناء المساجد والمراكز الإسلامية :

اهتم الدعاة في داغستان والشيشان والأنغوش ببناء المساجد اهتماماً كبيراً، فالمسجد هو رمز لهذا الدين، فهو مكان العبادة، ومحض التربية، ومدرسة الإيمان. من هنا فقد حرص دعاة الإسلام كل الحرص على إعادة مئات المساجد التي حوت إلى مرافق خدمية زمن الإلحاد والشيوعية، فقاموا - بمساعدة المؤسسات الإسلامية العربية - بإعادة ترميمها وتجهيزها بما يلزم لاستقبال روادها من المؤمنين، كما قاموا ببناء عشرات المساجد الجديدة .

لقد أصبح صوت الأذان مدوياً خمس مرات في اليوم - بفضل الله تعالى - في المدن والقرى، وأصبح عباد الله يرتادونها بلا خوف ولا ملاحقة وتضييق .

أما المراكز الإسلامية فلا يزال عددها محدوداً في المنطقة، ويبدو أن ذلك عائد لأسباب عدة منها: قلة الكوادر المؤهلة من الدعاة أصحاب الخبرة بالعمل المؤسسي، والنظرة غير الإيجابية التي ينظر بها المسؤولون الرسميون تجاه تلك المراكز والقائمين عليها .

ومن أهم المراكز الإسلامية في المنطقة "المركز الإسلامي" بـداغستان، وكان يرأسه الدكتور أحمد قاضي - رحمه الله - ، وكذلك "مركز الرسالة" في العاصمة الشيشانية غروزني، ويرأسه الشيخ أحمد حمزة - يحفظه الله - .

أما عن أهم الأعمال والأشطة التي تقوم بها المراكز ما يلي:-

- إعداد دورات في العلوم الشرعية للطلاب والطالبات .

- إقامة محاضرات في التوعية الشرعية للطلاب والطالبات .
- إقامة المسابقات في حفظ القرآن الكريم سنوياً .
- إصدار الكتيبات والنشرات والأشرطة السمعية والمرئية للتوعية .
- إرشاد المؤسسات بما يلزم من بناء مساجد وكهالة أيتام ونحو ذلك .
- تربية الشباب والنشء على قيم الإسلام وآدابه . وغيرها من النشاط^(١) .

(٣) إعداد الدعاة .

الداعية إلى الله عز وجل هو حجر الزاوية في عملية الدعوة، فكان لابد من إعداده إعداداً متكاملاً يؤهله للقيام بإشرف الأعمال وأجلها، كما قال ربنا سبحانه: "ومن أحسن قولاً مما دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين" ^(٢) .

ولقد كانت بعض المؤسسات والهيئات الإسلامية تحرص على إعداد الدعاة إعداداً علمياً وتربوياً ودعواً، ثم بثهم في القرى والمناطق المختلفة في المنطقة مع تعهدهم ورعايتهم علمياً وتربوياً وثقافياً، وكهالتهم مادياً . فكان الداعية يقوم بالتدريس والإمامة والخطابة في مسجد القرية، ويعايش الناس ويعمل على حل مشكلاتهم، والإجابة على استفساراتهم في أمور دينهم، ويهتم بالنشء الصغير، حيث كان على كل داعية تجهيز مجموعة من الأشبال للاشتراك بهم في المخيم الصيفي التربوي للأطفال بالمنطقة . وكانت الهيئات تحرص على

(١) ذكره للباحث الشيخ أحمد حمزة وآخرون .

(٢) سورة فصلت : آية ٣٣ .

إقامة دورات تدريبية لهؤلاء الدعاة للنهوض بمستواهم العلمي والثقافي، وتنمية قدراتهم ومهاراتهم في فن الدعوة إلى الله تعالى.

فعلى سبيل المثال قامت هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية وحدها بإعداد ٧٢ داعية في داغستان، وعدد ٢٠ داعية - تقريباً - في الشيشان والأنغوش، كما قامت جمعية الإصلاح الكويتية، والندوة العالمية للشباب الإسلامي، وجمعية قطر الخيرية وغيرهما بإعداد مجموعات أخرى من الدعاة ورعايتهم وكالتهم^(١).

(٤) ترجمة وإصدار الكتب والنشرات :

لا ريب أن الكتاب أحد أهم مصادر التلقي والتعليم، فهو الركن الركين، والمرجع الأمين؛ وكم عانى العلماء والدعاة من النقص الشديد في الكتب ولا سيما في سنوات الحكم الشيوعي؛ وأمام هذا النقص الشديد في الكتب الشرعية، كان طلاب العلم يلجأون إلى تقسيم الكتاب الواحد أقساماً عدة، يأخذ كل طالب قسماً منها بالتناوب، وربما نسخ الكتاب باليد كي يتسنى لأكبر عدد ممكن من طلبة العلم الإطلاع عليه^(٢).

ومع الانفتاح على العالم الخارجي والتواصل مع العالم الإسلامي، أصبح لزاماً على المؤسسات والأفراد العمل على ترجمة وإصدار الكتب الموثقة التي تيسر على طلاب العلم التحصيل والتزود من علوم الإسلام. ومع تضافر الجهود أثمرت الأعمال نتائج لا بأس بها - رغم تأخرها بعض الشيء -.

(١) ذكره العديد من القاهم الباحث .

(٢) ذكره بعض من القاهم الباحث .

لقد جاءت ترجمة وإصدار الكتب والنشرات تقوياً لما هو سائد في المجتمع من مفاهيم وتصورات خاطئة حول الإسلام، حيث يظن البعض أن هذا الدين إنما هو أداء لبعض الشعائر وحسب، وأنه لا يمثل منهجاً حضارياً، ولا قيماً سامية. فالإسلام - في نظر أولئك - لا علاقة له بالمجتمع المدني، ولا تأثير له في الحياة. كما أنها جاءت تقوياً للمعتقدات المنحرفة والعبادات البدعية التي يظن كثير من الناس أنها من الدين وهي ليست من الإسلام في شيء.

لقد كان للترجمة وإصدار الكتب والنشرات أثرها الفاعل في مواجهة الفكر الإلحادي، حيث لا يزال بعض الأساتذة في الجامعات يؤمنون بأن الطبيعة هي الخالقة، وأن الكون جاء صدفة! ومنهم من يؤمن بعدم وجود العدل في الكون - والعياذ بالله - فهو ينفي يوم الحساب! وغير ذلك من المعتقدات الباطلة التي هي من تأثير الشيوعية البائدة. فكان للكتب والنشرات أثرها الواضح على معتنقي تلك الأفكار وغيرهم، حتى قال أحد الأساتذة في إحدى الجامعات الحكومية بعد قراءته إحدى الرسائل: "ما كنا نتوقع أن يكون للإسلام علاقة بالحياة بهذا الشكل، وأن يكون له دور فاعل في حياتنا العقلية والنفسية والروحية والمادية!" (٢).

والجدول التالي يبين بعضاً من الكتب والرسائل والنشرات التي ترجمت أو ألقت ووزعت في المنطقة.

(١) انظر: بيان بعض الكتب والرسائل التي ترجمت أو ألقت في شمال شرق القوقاز، وذلك في الجدول رقم (٢) ص

(٢) ذكره أحد الاخوة الدعاة عندما التقاه الباحث.

(٥) إنشاء المستوصفات الطبية :

وجاء إنشاء هذه المستوصفات من أجل علاج مرضي المسلمين بالمنطقة ورعايتهم صحياً. وقد استطاع الأطباء - بفضل الله تعالى - توظيف هذه الوسيلة، واستخدامها لبث روح الإيمان في نفوس أبناء المنطقة وربطهم بدينهم وعقيدتهم وحثهم على طلب الشفاء من الله تعالى لكونه سبحانه هو وحده الشافي، وأنه سبحانه ما خلق داء إلا وخلق له دواء، وكان ذلك يبعث الأمل في نفوس المرضى ويقوي الإيمان بالله عز وجل في قلوبهم.

ومن هذه المستوصفات مستوصف الدكتور عائشة بمحاج قلعة بداغستان، وكان ذلك بتمويل هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية، هذا بالإضافة إلى الأدوية التي كان توزعها المؤسسات الخيرية على المستشفيات والوحدات الصحية التابعة للحكومة.

كما أنشأت هيئة الإغاثة مستوصفاً في غروزني، ملحقاً به صيدلية لصرف الدواء بأسعار مخفضة لمواطني هذه الجمهورية. وقامت لجنة الدعوة الإسلامية التابعة لجمعية الإصلاح الاجتماعي الكويتية بجهود كبيرة في المجال الطبي، حيث وقفت إلى جانب الشعب الشيشاني في محنته الأولى مع الأوستين ثم في محنته الثانية مع الروس، فقامت بتزويد بعض مستشفيات الشيشان بالدواء والمعدات الطبية. كما قامت مؤسسات إسلامية أخرى بجهود مماثلة في المجال الطبي كالندوة العالمية للشباب، وجمعية إحياء التراث الإسلامي الكويتية وغيرها.

(٦) تقديم الإغاثات والمساعدات العاجلة .

لقد كان للإغاثات والمساعدات التي قدمتها الهيئات الإسلامية الخيرية في المنطقة أثرها الكبير في الدعوة إلى الله - سبحانه وتعالى - فقد أشعرت المسلمين هناك بكيان المسلمين وبجسدهم الواحد، وصدق فيهم قول النبي - صلى الله عليه وسلم - : " ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى" ^(١) . وقوله - صلى الله عليه وسلم - "المسلم للمسلم كالبنين يشد بعضه بعضاً" ^(٢) . فقد أحسوا بقرب إخوانهم المسلمين العرب منهم، ونهضتهم السريعة للوقوف بجانبهم عند الشدائد . وقد تجلّى ذلك في حادث فيضان بحر قزوين عام ١٤١٦ (١٩٩٦م) والذي غرقت فيه العديد من القرى شمال داغستان، وفسدت أطنان من المحاصيل الزراعية، ونفقت أعداد هائلة من الماشية . فهب مكتب هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية لنجدتهم بإيواء المشردين وكسوتهم وتخفيف دموعهم .

كذلك بادرت الهيئة وجمعية قطر الخيرية معاً بإتخاذ ضحايا حادث السيول الذي وقع في المناطق الجبلية جنوب داغستان . هذا فضلاً عن المساعدات العظيمة التي قدمتها هذه الهيئات والجمعيات للشعبين الأنغوشي والشيشاني من اللاجئين بعد محنتهم في حرب

^(١) رواه البخاري عن النعمان بن بشير - رضي الله عنه - . انظر : صحيح البخاري المطبوع مع فتح الباري (١٣/

٥٣٧) كتاب الأدب، باب (٢٧) رحمة الناس والبهائم، حديث رقم (٦٠١١) .

^(٢) رواه البخاري عن أبي بردة بن أبي بردة - رضي الله عنه - قال: "المؤمن للمؤمن . . . " . انظر : صحيح

البخاري المطبوع مع فتح الباري (٥٥١/١٣) كتاب الأدب، باب (٣٦) تعاون المؤمنين بعضهم بعضاً ، حديث رقم

الأنغوش والأوستين، والشيشان والروس، وكان لهذا أثره الكبير في التأليف بين قلوب العجم والعرب، وثناء الحكومات المحلية على الهيئات الإسلامية وكسب احترامها وتقديرها.

(٧) الاستفادة من وسائل الإعلام :

لا يخفى على أحد ما لوسائل الإعلام من التأثير الفعال على الفرد والمجتمع ، وقد استخدم الدعاة هذه الوسيلة في المنطقة على قدر إمكانياتهم المتاحة في تصحيح مفاهيم ومعتقدات خاطئة عن الإسلام والمسلمين، ونشر الوعي، وإحياء الشعائر الدينية، وعرض البرامج الهادفة ، والأنشطة الدينية التي تقام في الجمهوريات كافتتاح المساجد وتنظيم المسابقات ، وغيرها .

فمثلاً: عرض كل من التلفزيون الداغستاني والشيشاني فيلم " الرسالة " ، وفيلم "الهجرة"، "وتاريخ بداية الإسلام"^(١) للتعريف بحياة النبي - صلى الله عليه وسلم - و"تاريخ بداية الإسلام"؛ لجهل الكثير من الناس هناك بدينهم .

كما كان التلفاز منبراً لتذكير شعوب المنطقة أجمعها بحلول شهر رمضان المبارك من كل عام، وبعيدى الفطر والأضحى المباركين، وتهنئة المسلمين بهما . بالإضافة إلى تلاوة آيات من القرآن الكريم ؛ وبعض الدروس القصيرة لبعض المشايخ، لا سيما في شهر رمضان .

كما عرض التلفاز الأنغوشي برنامج المخيم الصيفي الذي أقيم لطلاب "معهد الملك فهد" بإحدى المنزهات هناك عام ١٤١٤هـ (١٩٩٤م)، وكان لهذا أثره العظيم على الناس

(١) ملاحظة : قد تشمل بعض تلك الأفلام على بعض الأخطاء والمخالفات الشرعية ، لذا يجب الانتباه والحذر .

في بيان مظاهر الحياة الإسلامية داخل المخيم، وكان للتلفزيون أثره في إشعار الناس بالجو الإيماني والروحي والأخوي في المخيم عبر الأثير^(١).

(٨) إقامة الندوات والمؤتمرات المحلية .

بعد انهيار الشيوعية ووقوف المجتمعات المسلمة في القوقاز على مفترق طرق، فإن الندوات والمؤتمرات المحلية تسهم بشكل فاعل في رسم معالم الطريق وتنوير المجتمعات بالنهج الذي ينبغي أن تسير عليه، لا سيما بين أوساط النخب الفكرية ؛ من هنا فقد حرص بعض الدعاة على إقامة الندوات والمؤتمرات المحلية بهدف دعوة المجتمع إلى منهج الإسلام، وبيان معالم منهج القرآن .

وقد كانت تلك الندوات والمؤتمرات إحدى الوسائل الدعوية الفاعلة في هداية العديد من أبناء المنطقة، ومن أمثلة ذلك عقد سلسلة من الندوات العلمية أقامها أفراد من الدعاة في جامعة غروزني الحكومية عام ١٤١٤هـ (١٩٩٤م) .

وكان الهدف منها بيان عظمة الإسلام كونه ديناً شاملاً لمظاهر الحياة جميعاً، فقد حملت عناوين بعض تلك الندوات : "الإسلام والمجتمع"، "الإسلام والسياسة"، "الإسلام والمرأة"، "الإسلام والشيوعية" .. إلخ. وقد كان أثر هذه الندوات واضحاً على المسلمين وغيرهم، مما جعل إحدى الملمات الروسيات في الجامعة تعلن إسلامها بعد ندوة من تلك الندوات .

(١) ذكره بعض من التقاهم الباحث .

كما كان لبعض الدعاة ندوات ومحاضرات ومؤتمرات حول الإسلام وحول اللغة العربية في كل من أكاديمية العلوم في جامعة داغستان، وفي النادي العربي بكلية الاستشراق في العاصمة الداغستانية، وفي جامعة الشيشان قبل الغزو الروسي، نذكر بعضاً منها كما يلي:

* مؤتمر دولي أقامته أكاديمية العلوم بجامعة داغستان حول شخصية الإمام شامل عام ١٤١٤هـ (١٩٩٤م).

* ندوة حول الإعجاز العلمي في القرآن الكريم نظمتها أكاديمية العلوم بجامعة داغستان عام ١٤١٥هـ (١٩٩٥م).

* ندوة حول المرأة المسلمة ودورها في المجتمع أقامها النادي العربي بكلية الاستشراق بداغستان عام ١٤١٥هـ (١٩٩٥م).

* سلسلة من الندوات أقامها بعض الدعاة في جامعة الشيشان قبل الغزو الروسي تناولت عظمة الإسلام، وصلاحيه شريعته لكل زمان ومكان.

لقد تركت هذه الندوات والمؤتمرات وأمثالها أثراً واضحاً في واقع المجتمع بشمال القوقاز ولا سيما في الجامعات على الطلاب والأساتذة على حد سواء؛ بل وعلى بعض صناع القرار، وعلى أولئك الذين كانوا يمثلون رموز الفكر الإلحادي ومناهضة الدين الإسلامي زمن الشيوعية والإلحاد.

(٩) إرسال البعثات الطلابية :

انطلاقاً من قول الله تعالى: "فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون" ^(١) قامت المؤسسات والهيئات الخيرية

^(١) سورة التوبة: آية ١٢٢.

بإرسال طلاب من المنطقة في بعثات دراسية إلى الجامعات الإسلامية وكفالة بعضهم مادياً . فعلى سبيل المثال قامت هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية بكفالة أكثر من مائة طالب من المنطقة في جامعة الأزهر . وتزكية ما يقرب من مائة آخرين للدراسة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، وجامعة أم القرى بمكة المكرمة، والجامعة الإسلامية في المدينة المنورة^(١) .

كما قامت الندوة العالمية للشباب الإسلامي وجمعية الإصلاح ولجنة مسلمي آسيا الكويتية، وكذلك جمعية قطر الخيرية وغيرها بكفالة مئات الطلاب للدراسة في المعهد الديني بدولة الكويت ، ومعهد اللغة العربية لغير الناطقين بها في قطر، والجامعة الإسلامية في ماليزيا وغيرها .

والإضافة إلى هذه الجهود المباركة يقوم الأزهر سنوياً بكفالة مئات الطلاب حيث يبحثون عن طريق الإدارات الدينية بالمنطقة، حتى قارب عدد طلاب المنطقة أربعمائة طالب عام ١٤٢٠هـ (٢٠٠٠م) في الأزهر . ولا شك أن الهدف من ابتعاث هؤلاء الطلاب للدراسة إعدادهم وتأهيلهم علمياً وفكرياً وثقافياً وروحياً وأخلاقياً، للقيام بواجب الدعوة والتربية والإصلاح والتعليم والإرشاد في بلادهم عند عودتهم إليها بإذن الله تعالى^(٢) .

(١) ذكره أحد الدعاة في المنطقة .

(٢) زار الباحث العديد من طلاب المنطقة الدارسين في جامعة الأزهر وجامعات المملكة العربية السعودية والكويت .

(١٠) إقامة المخيمات التربوية الصيفية :

إن إقامة المخيمات الصيفية للنشء والشباب سنوياً تأتي بهدف إعدادهم علمياً، وتربوياً، وثقافياً، وتربوياً، ورياضياً. وكان لهذه المخيمات آثارها الإيمانية والأخلاقية والعلمية الواضحة التي تسهم في تنشئة الشباب على قيم الإسلام وأخلاقه.

ففي المخيم يتعلم الأطفال والشباب أركان الإيمان والإسلام ويدرجون على الأخذ بالآداب الإسلامية، إضافة إلى تعلم الأبجدية العربية، وحفظ بعض من قصار سور القرآن الكريم.

وكان من أبرز المظاهر الإسلامية في المخيم خروج الأطفال مجموعات، وكل مجموعة لها مرب يتطلقون إلى الطهارة والوضوء ثم الصلاة يصيحون بشعارات إسلامية باللغة الروسية مثل: "المسلمون أمة واحدة و"المؤمنون إخوة" و"شعارنا الحب في الله" . . . وغيرها.

ولا ريب أن تلك المخيمات التربوية تترك آثارها الواضحة على الفتية بعد عودتهم إلى بيوتهم حيث يحافظ الكثير منهم على إقام الصلاة، والتخلق بأخلاق القرآن، ويرددون أدعية الطعام (التسمية والحمد) ودعاء النوم. مما ينعكس إيجاباً على أهل البيت جميعاً، ويضفي على المنزل طابعاً إسلامياً.

ولقد كانت المخيمات التربوية فرصة كبيرة لاحتكاك شباب المنطقة ببعضهم البعض حيث يتعارفون، ويتآخون فيما بينهم من خلال البرامج الرياضية والترفيهية المشتركة، مما يزيل روح العصبية القبلية بينهم، ويصبحون إخواناً في دين الله تعالى متحابين متناصحين.

فالمخيمات التربوية تعرض لهؤلاء الفتية النموذج المصغر للحياة الإسلامية المنظمة والهادفة، فكانوا يخرجون منها متأثرين جداً حيث تبعث في نفوسهم حب الالتزام والتمسك بالدين .

ولم تكن تلك المخيمات تخلو من بعض الأطفال الروس ممن ليسوا بمسلمين لكنهم علي فطرتهم النقية . وكثيراً ما ترك تلك المخيمات التربوية أثرها عليهم، فقد حدث أن قال أحدهم ، وعمره ١٣ سنة : عندما أعود إلى بيتي سأواصل الصلاة التي تعلمتها، وأدعو أُمي إلى الإسلام، وأخبرها بأن الإسلام دين النظافة والتعاون والمحبة^(١) .

(١١) الاحتفال بالأعياد الإسلامية والمناسبات المختلفة :

إن تعظيم شعائر الله تعالى وإظهارها قد حثت عليها الشريعة الإسلامية الغراء، فقد قال الخالق سبحانه "ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب"^(٢) .

ومن التعظيم لشعائر الإسلام الاحتفال بعيدي الفطر والأضحى المباركين، حيث كان الدعاة يتخذون منها وسيلة وفرصة الاتصال الدعوي بالناس لتقوية وتدعيم العلاقات مع أهل المنطقة عند تهنئتهم بالعيد وإهدائهم الأضاحي التي تمولهم بها المؤسسات والهيئات الخيرية . فبعد انهيار الشيوعية لم يكن القوم معادين على الاحتفال بالعידين المباركين، وكانت أيامهما عندهم كأيامهم العادية حيث يمارسون وظائفهم، وكأنه لا عيد عندهم، وكأنهم ليسوا مسلمين؛ فأخذ الدعاة على عاتقهم مسؤولية الإعلام والإعلان عن الأعياد، والتهنئة بهما عبر التلفزيون ووسائل الإعلام الأخرى، مع إقامة صلاة العידين ، والاحتفال

(١) ذكره أحد الدعاة الذين أسهموا في إعداد تلك المخيمات التربوية .

(٢) سورة الحج : آية ٣٢ .

بيوم العيد بإظهار البهجة والفرحة واللهو المباح ودعوة الناس إلى مظاهر الفرح، وبث ذلك على شاشات التلفزة مما جعل المسؤولين في داغستان يعلنون عام ١٤١٥ هـ (١٩٩٥م) أيام العيدين عطلاً رسمية في الدولة^(١).

وكما أحيا الدعاة إلى الله تعالى الأعياد الإسلامية كان لشهر رمضان المبارك النصيب الأوفر من الإحياء والتعظيم، لا سيما وأن فيه ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر. لذا فقد قسم بعض الدعاة أنفسهم على مساجد المدن في المنطقة يحيون ليالي الشهر الكريم بالصلاة والتجهد، مذكّرين الناس بفضائل الشهر الكريم، وضرورة استثماره بالعبادة والطاعة، محيين سنة الاعتكاف في المساجد في العشر الأواخر من الشهر الفضيل. وكان للاعتكاف آثاره في تنمية الجانب الروحي وتقوية الجانب العبادي.

بالإضافة إلى ذلك كان للحث على أداء صدقة الفطر الأثر الكبير في غرس روح التكافل والتراحم فيما بين المسلمين.

وبعد شهر رمضان يتم التجهيز لموسم الحج، فكانت تعقد دورات التوعية في مركز الرسالة بالشيشان وفي الجامعة الإسلامية بـداغستان وغيرها عن كيفية أداء مناسك الحج، مستخدمين فيها الوسائل التعليمية كاللوحات وعروض الفيديو.

إن مسلمي منطقة شمال شرق القوقاز هم أكثر مسلمي روسيا أداءاً لفريضة الحج، فنصاب روسيا سنوياً من الحج يقارب ٢٠ ألف حاج بينهم ١٧ ألفاً من داغستان وحدها، والباقيون من عموم روسيا^(٢).

(١) ذكره بعض من التقاهم الباحث.

(٢) ذكره أحد من التقاهم الباحث.

ومن ضمن المناسبات التي أحيها بعض الدعاة أيضاً: الاحتفال بالأعراس، ففي مطلع التسعينات الميلادي كان لا يمكن أن يتم عرس في المنطقة بدون خمر ورقص مع النساء، حتى ولو كان صاحب العرس مسلماً ملتزماً بعيداً عن مظاهر الانحلال والفجور فإن ذلك يتم رغماً عنه في بعض الأحيان، وإلا اتهم بالتزمت والتخلف ! فكان من الواجب إيجاد البديل الإسلامي . من هنا عمل بعض الدعاة على تكوين مجموعة للإنشاد في الأفراح الإسلامية، حيث يحيون الليالي فيفرحون الناس، ويدخلون البهجة في نفوسهم في حدود الشرع وآداب الإسلام . وكان لهذا أثره في نفوس الناس حيث تعجب بعضهم وقال : لأول مرة أرى عرساً ناجحاً لا تدار فيه الخمرة، وقال آخر : لأول مرة نشعر بلذة الفرح في الإسلام .

تلك هي أهم وسائل الدعوة الإسلامية التي سلكها الدعاة إلى الله - تعالى - في المنطقة من أجل تثبيت أركان الدعوة في تلك الأصقاع.

المبحث الثالث :

أساليب^(١) الدعوة في المنطقة .

- (١) استخدام الأدلة العلمية العقلية في الرد على شبهات الملحدين .
 - (٢) إبراز تميز الإسلام وشموليته وسمو شريعته وأخلاقه .
 - (٣) استخدام أسلوب الحكمة في التصدي للبدع والمنكرات .
 - (٤) مراعاة سنة التدرج في التغيير .
 - (٥) إحياء دور المسجد .
 - (٦) تقوية الصلة مع بعض الجهات الحكومية المحلية .
 - (٧) الاهتمام بالتخطيط المرحلي والاستراتيجي للدعوة .
- ومن الإيجاز إلى التفصيل:-

(١) الأساليب : جمع أسلوب ، وهو في اللغة : الطريق ، ويقال سلكت أسلوب فلان في كذا: أي طريقته ومذهبه وأسلوب الكاتب طريقته في كتابته . ويقال أخذ فلان في أساليب القول: أي في أفانين منه انظر : "لسان العرب" ١/٤٧٣ ، و"القاموس المحيط" ١٢٥، من "المعجم الوسيط" ١/٤١١ .

أما أسلوب الدعوة اصطلاحاً : فهي طريقة الداعي في دعوته . والأساليب الدعوية : هي الطرق التي يسلكها الداعي في دعوته . انظر : "المدخل إلى علم الدعوة" ص ٤٧ .

(١) استخدام الأدلة العقلية العلمية في الرد على شبهات الملحدين:

إن في استخدام الأدلة العقلية والحقائق العلمية الحديثة يتجلى فضل الإسلام على الأديان الأخرى، وتفوقه على سائر المذاهب، وجمعه بين المادة الروح. وقد رأى الدعاة أنه لا بد في المنطقة من استخدام هذا الأسلوب، لكون الناس قريبو عهد بالإلحاد، حيث لا زال في المنطقة بقية ممن يحملون الفكر الإلحادي، غير متأثرين بانتهاء الاتحاد السوفيتي و الانفتاح على العالم، فهم لا يعترفون بالدين، ولا بوجود الخالق سبحانه، وأن وجود الإنسان في الكون من قبيل الصدفة باعقادهم.

إن طبيعة النفس البشرية مهيئة لقبول الدين، والتصديق بالإيمان، والإقرار بالتحديد، إذا يقول المصطفى - صلى الله عليه وسلم - "كل مولود يولد على الفطرة...^(١) وتلك الفطرة هي الدين، قال الله تعالى: "فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله"^(٢).

فالإنسان مفلور على معرفة الله تعالى والإقرار بوجوده. من هنا كان الدعاة يوجهون أنظارهم للنظر في الطبيعة والنفس البشرية، حيث يقول الله تعالى: "قل انظروا ماذا في السماوات والأرض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون"^(٣)، وقال جل شأنه: "وفي أنفسكم أفلا تبصرون"^(٤).

(١) متفق عليه. الحديث مروي عن أبي هريرة - رضي الله عنه - . انظر: صحيح البخاري المطبوع مع فتح الباري، كتاب الجنائز، باب (٩٢) ما قيل في أولاد المشركين، حديث رقم ١٣٨٥ . ورواه مسلم في صحيحه المطبوع مع شرح النووي، كتاب القدر، باب كل مولود يولد على الفطرة، حديث رقم ٢٢ .

(٢) سورة الروم آية ١٠٣ .

(٣) سورة يونس: آية ١٠١ .

(٤) سورة الذاريات: آية ٢١ .

وكان للهيئات الخيرية، ولبعض أفراد الدعاة جهد مشكور في هذا الشأن لتوفيرهم الوسائل اللازمة لاستخدام أسلوب الأدلة العلمية في إقرار التوحيد والرد على شبهات هؤلاء الملحدين ودحضها، وذلك من خلال المؤتمرات الدولية التي عقدت في موسكو حول الإعجاز العلمي في القرآن والسنة^(١) وقد صحح هذا المؤتمر كثيراً من المفاهيم المغلوطة لدى ملحدي المنطقة، خاصة بين أساتذة الجامعات^(٢).

وقامت الجامعة الإسلامية في داغستان بترجمة كتاب "الله جل جلاله" للشيخ سعيد حوي، الذي يقيم فيه الأدلة والبراهين القوية على وجود الخالق - جل وعلا - لدحض نظريات الملحدين. وقد تم توزيعه على جامعات المنطقة وعلى كثير من الأفراد.

كما أنشأ الدكتور أحمد قاضي - رحمه الله - (رئيس حزب النهضة الإسلامي السابق) جريدة الحضارة الإسلامية، حيث عالج فيها بعضاً من قضايا الإلحاد، وكان ذلك سبباً في تحول بعض من أساتذة الجامعات إلى دعاة للفكر الإسلامي بعدما كانوا دعاة للفكر الشيوعي الإلحادي مدافعين عنه مناصرين له^(٣).

(٢) إبراز تميز الإسلام وشموليته وسمو شريعته وأخلاقه :

كان لابد للقوم في المنطقة من معرفة هذه الميزة التي يتميز بها الإسلام على غيره من الأديان. فبعد انهيار الشيوعية، تسابق دعاة بعض الأديان والفرق إلى المنطقة وتنافسوا

(١) عقد في مدينة موسكو مؤتمرات عدة حول الإعجاز العلمي في القرآن والسنة في الفترة من ١٤١٤هـ إلى ١٤١٨هـ (

١٩٩٤-١٩٩٨م) نظمتها : مؤسسة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ودعي إليها العديد من المؤسسات والأفراد

ولاسيما العلماء من المسلمين وغيرهم.

(٢) ذكره العديد من التقاهم الباحث.

(٣) ذكره الأستاذ هانيء محمد المهدي وآخرون.

في دعوة الناس إلى مذاهبهم - ولا سيما دعاة التنصير والبوذية - فكان لزاماً على دعاة الإسلام أن يجذّوا السير ويسرعوا الخطى في إبراز تميز الإسلام عن سائر الأديان ، وسمو شريعته الربانية السماوية عن سائر شرائع البشر الأرضية .

لقد بينَّ الدعاة للناس هناك أن الإسلام هو الدين الخاتم الشامل، الذي ما ترك صغيرة ولا كبيرة في حياة الإنسان وشؤون الكون إلا أشار إليها، وأن شريعته من أجل الشرائع وأقدرها على حل مشكلات البشرية ومعضلاتها في أمور الحكم والسياسة والاقتصاد وغيرها .

أفهمهم أن الإسلام ليس مجرد دين للعبادة داخل المسجد فحسب ، بل هو دين شامل وبرنامج كامل يعنى بشؤون الحياة جميعاً، انطلاقاً من قول الله تعالى: "قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين"^(١) ولم يقتصر الدعاة في المنطقة في سبيل إبراز الجانب الأخلاقي للإسلام على الناحية النظرية، بل حاولوا أن يكونوا قدوة حسنة عملية في هذا الجانب، انطلاقاً من قوله تعالى: "لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة"^(٢) ، حيث جعل الله - عز وجل - الأسوة العملية في الرسل والصالحين من عباده ، فالناس يتأثرون بالحكاة والقدوة أكثر من تأثرهم بالسماع والقراءة .

فكان الدعاة يحرصون على إظهار الابتسامة وطلاقة الوجه، جلباً للود ، ونقياً للكبر^(٣)، واقتداءً بحال النبي - صلى الله عليه وسلم - حيث روي عن جرير - رضي

(١) سورة الأنعام آية ١٦٢ .

(٢) سورة الأحزاب : آية ٢١ .

(٣) ذكره بعض من التقاهم الباحث .

الله عنه - أنه قال: "... ولارآني - أي النبي صلى الله عليه وسلم - إلا تبسم في وجهي" ^(١).

(٣) استخدام أسلوب الحكمة في التصدي للبدع والمنكرات.

يعرف أسلوب الحكمة بأنه وضع الشيء في موضعه ^(٢).

فهو أسلوب لا يستغني عنه داعية في أي مكان، وهو أسلوب له فضله وأهميته، نص عليه القرآن الكريم في كثير من آياته، وحث عليه النبي الكريم - صلى الله عليه وسلم - في أقواله وأفعاله، يقول تعالى: "ومن يؤتي الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً" ^(٣)، وقال عز من قائل: "ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة" ^(٤)، وقال المصطفى - صلى الله عليه وسلم - : "لا حسد إلا في اثنتين، رجل آتاه الله مالاً، فسلطه علىهلكه بالحق، ورجل آتاه الله الحكمة، فهو يقضي بها ويعلمها" ^(٥).

وإذا كان أسلوب الحكمة يتوجب على دعاة الإسلام مراعاته في كل مكان، فإن ذلك أوجب في إقليم شمال شرق القوقاز، ذلك لكون المنطقة تموج بالأعراق والمذاهب والتيارات، ففيها الجهلاء والأعداء والملاحدون والمتعصبون والمعادون والمغالون، لذا كان

^(١) رواه البخاري. انظر: صحيح البخاري المطبوع مع فتح الباري (٦١٧/١٣) كتاب الأدب، باب (٦٨) التبسم والضحك، حديث رقم ٦٠٨٩.

^(٢) انظر: د/ محمد أبو الفتح البيانوني: "المدخل إلى علم الدعوة"، ص ٢٤٥.

^(٣) سورة البقرة: آية ٢٩٦.

^(٤) سورة النحل: آية ١٢٥.

^(٥) رواه البخاري عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - . انظر: صحيح البخاري المطبوع مع فتح الباري (٢/٢).

(٢١٩) كتاب العلم، باب (١٥) الاغتياب في العلم والحكمة، حديث رقم ٧٣.

لزماً على الدعاة انتهاج الحكمة. فالأساليب والوسائل التي تصلح للدعوة في جزيرة العرب - مثلاً - ، ليس بالضرورة أن تكون صالحة في شمال شرق القوقاز.

لابد لمن يخوض غمار هذا الواقع الاجتماعي المعقد أن يكون حكيماً في تشخيص الأسلوب المناسب لكل فئة أو جماعة، حكيماً في معالجته، مراعيًا الفروق الفردية بين الناس.

فمن الناس من يستخدم معهم الأسلوب العاطفي مثل كبار السن والشيوخ وبعض الشباب ، ومنهم من يستخدم معهم الأسلوب العقلي والجدلي كالمفكرين والملاحدين من أساتذة الجامعات، ومن على شاكلتهم. فكان من الحكمة مخاطبة كل فئة من هؤلاء على قدر عقولها قال علي بن أبي طالب ^(١) - رضي الله عنه - "حدثوا الناس بما يعرفون ، أتحبون أن يكذب الله ورسوله" ^(٢).

وكما أن الحكمة تقتضي مخاطبة الناس على قدر عقولها، فإن الحكمة تقتضي أيضاً بيان الحق بالرفق واللين وتجنب الصدام والمواجهة والعنف مع أصحاب البدع وغلاة

^(١) علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - : هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب القرشي الهاشمي . ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصهره، أبو الحسن أمير المؤمنين، رابع الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين، وأحد الشجعان الأبطال، ومن أكابر الخطباء والعلماء بالقضاء ، وهو أول الناس إسلاماً بعد خديجة رضي الله عنها - ، ولد بمكة عام ٢٣ قبل الهجرة، وربى في حجر النبي - صلى الله عليه وسلم - ولم يفارقه، وكان اللوء بيده في أكثر المشاهد . قتل - رضي الله عنه - غدراً على يد عبد الرحمن بن ملجم المرادي عام ٤٠ هـ ، واختلف في مكان قبره . وقد روى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ٥٨٦ حديثاً . انظر: ابن الأثير "أسد الغابة في معرفة الصحابة" ٨٧/٤ وكذلك : القرطبي "الاستيعاب في معرفة الأصحاب" ١٩٧/٣ ، وكذلك : الزركلي "الأعلام" ٢٩٥/٤ .

^(٢) رواه البخاري . انظر صحيح البخاري المطبوع مع فتح الباري (٣٠٠/٢) كتاب العلم، باب (٤٩) من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا .

الصوفية . ويذكر الدعاة في هذا الشأن موقفاً وقع في جمهورية أنغوشيا، فقد أقامت إحدى المؤسسات الإسلامية مخيماً تربوياً صيفياً لطلاب معهد الملك فهد عام ١٤١٥هـ (١٩٩٥م)، ومعلوم أن الأنغوش تنتشر فيهم الطريقة القادرية بشدة وعصبية ، وكان موقع المخيم التربوي بالغرب ومن قرية تنتشر فيها الطريقة، ومسؤول القرية شيخ قادري . فقدم الشيخ للمخيم يتعرف أحواله من فيه، وتحدث مع بعض الأساتذة بالمخيم عن التصوف والصوفية، فلم يرقه حديثهم عن التصوف ، وبدت عليه علامات الغضب ؛ ولما التقى بمسؤول المخيم سأله الشيخ: أنت في طريقه . . ؟ قال له: نعم . فقال له: وما هي ؟ فقال: إنها الطريقة الحمديدية . وبحضرة التورية^(١) استطاعوا اتقاء السوء الذي كان من الممكن أن يأتيهم من مسؤول القرية .

(٤) مراعاة سنة التدرج في التغيير :

معلوم أن التدرج سنة الله تعالى في صنع الكون وتدبير شؤنه ، فهو - سبحانه - خلق السموات والأرض في يومين، وقدر فيها أوقاتها في أربعة أيام . كما أنه - سبحانه - جعل نمو الإنسان على مراحل متدرجة داخل بطن أمه وخارجة . قال سبحانه : "ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين، ثم جعلناه نطفة في قرار مكين، ثم خلقنا النطفة علقة ، فخلقنا العلقة مضغة، فخلقنا المضغة عظاماً، فكسونا العظام لحماً ، ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين"^(٢) .

(١) التورية : السر ، وتسعمل في إظهار شيء مع إرادة غيره . يقال: وريت الخبر: جعلته ورائي وسرته . ووريت الشيء: أخفيته . وفي الحديث: " . . ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة إلا وري بغيرها " رواه البخاري . انظر : صحيح البخاري المطبوع . (١٣٩/٧) كتاب الجهاد والسير، باب من أراد غزوة فوري بغيرها ، حديث رقم ٢٩٤٧ .

(٢) سورة المؤمنون : أية ١٢-١٤ .

فهذا داخل بطن أمه، أما خارج بطنها فقد اقتضت سنة الله الكونية أن يتدرج الإنسان في هذه الحياة على مراحل، حيث يخرج للحياة رضيعاً في المهد ثم يكون طفلاً فصيباً فشاباً فرجلاً ثم شيخاً هرمًا. وكما أن التدرج يكون سنة إلهية كونية، فهو أيضاً سنة ربانية تشريعية. فقد نزل الله القرآن منجماً على قلب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولم ينزل دفعة واحدة، ذلك لكي تتلقاه القلوب بالقبول والتسليم. من هنا كان لزماً على دعاة الإسلام الأخذ بهذا الأسلوب ومراعاة هذه السنة الكونية الربانية، وإلا صار الإفساد في أعمالهم أكثر من الإصلاح، والهدم أكثر من البناء، ولا سيما في منطقة القوقاز حيث القوم حديثو عهد بكفر والحاد، وخمر وموبقات، وتصوف وخرافات.

لقد أدرك جل الدعاة في المنطقة أهمية الأخذ بهذه السنة الكونية، فكان لهم - بعد فضل الله - الفضل في نقل كثير من القوم من الإلحاد إلى الإيمان، ومن ارتكاب المنكرات إلى التزام الصالحات، ومن الخرافة والغلو في الصالحين إلى التوحيد الخالص لله رب العالمين.

فلقد نشأ في المدارس والمعاهد الإسلامية والمساجد جيل من الشباب على علم وبصيرة، التزم كثير منهم بآداب الإسلام وأخلاق القرآن وسنة محمد - صلى الله عليه وسلم - خير الأنام. غير أن الطريق لا تزال طويلة، ومحفوفة بالمكاره والأخطار.

وبالتدرج استطاع كثير من الدعاة والمعلمين التأليف بين قلوب الطلاب مختلفي الأعراق والأصول، وذلك من خلال برامج تربوية تعليمية واجتماعية وترفيهية هادفة. فالحاضرات والدروس العلمية، وكذا الرحلات الترفيهية والزيارات الاجتماعية الهادفة، أذابت مظاهر الشحناء والتنافر، والعداء والتباغض بين مختلف الأعراق والقبائل، وجعلت الكثير من أولئك الشباب إخوة في الله متحابين متناصحين متباذلين. وصدق المصطفى الكريم -

صلى الله عليه وسلم - : "الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تنكر منها اختلف" (١).

(٥) إحياء دور المسجد ورسالته :

إن مكانة المسجد في الإسلام عظيمة، ومنزله رفيعة، فقد جعل الله أول بيت وضع للناس في الأرض المسجد، فهو أول البيوت وأشرفها. قال تعالى: "إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين" (٢).

يقول العلامة الشيخ عبد الرحمن السعدي (٣) - رحمه الله - : " . . إنه أول البيوت التي وضعها الله في الأرض لعبادته، وإقامة ذكره، وأن فيه من البركات، وأنواع الهدايات، وتنوع المصالح والمنافع للعالمين شيء كثير، وفضل عزيز " (٤).

(١) متفق عليه. رواه البخاري عن عائشة - رضي الله عنها - ، ورواه مسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - .
انظر : صحيح البخاري المطبوع مع فتح الباري (٤٥٥/٨) كتاب أحاديث الأنبياء، باب (٢) الأرواح جنود مجندة، حديث رقم ٣٣٣٦ . وانظر: صحيح مسلم المطبوع مع شرح النووي (١٤١/٦) كتاب البر، باب الأرواح جنود مجندة، حديث رقم ١٥٩ .

(٢) سورة آل عمران، آية ٩٦ .

(٣) العلامة الشيخ عبد الرحمن السعدي : هو أبو عبد الله عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر آل سعدي من قبيلة تميم. ولد في عنيزة بالقصيم عام ١٣٠٧ هـ ، نشأ يتيماً ، وحفظ القرآن الكريم وأتقنه وعمره ١١ سنة، ثم اجتهد في تحصيل العلم حتى نال الحظ الأوفر منه، ولما بلغ من العمر ٢٣ سنة جلس للتدريس فكان يعلم ويتعلم، ويقضي جميع أوقاته في ذلك. كان أعظم اشتغاله وانتفاعه بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم حتى صار له اليد الطولى في علم الأصول والتوحيد والتفسير والفقه وغيرها . وبعد عمر طويل دام قرابة ٦٩ عاماً انتقل إلى رحمة ربه عام ١٣٧٦ هـ في مدينة عنيزة بالقصيم . رحمه الله رحمة واسعة .

(٤) عبد الرحمن بن ناصر السعدي "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان" ٢٤٣/١ ، ط (١) مؤسسة الرسالة - بيروت ، ١٤١٥ هـ (١٩٩٥ م) .

وفي منطقة شمال القوقاز لم يكن للمسجد دوره وأثره بعد سنوات الشيوعية العجاف، حيث لم يكن المسجد في المنطقة يزيد عن كونه مكاناً للعبادة يقصده عدد محدود من الشيوخ لأداء الصلوات اليومية . من هنا فقد أخذ الدعاة على عاتقهم إحياء دور المسجد وأثره الفاعل في حياة الناس، فعمدوا إلى دعوة الشباب والفتية إلى الاهتمام بأداء الصلاة وإقامتها مع الجماعة في المساجد، ونظموا البرامج النافعة والمناشط القيمة في بيوت الله تعالى إحياء لرسالة المسجد، وإعلاء لشأنه ومكاته، ومن تلك البرامج والمناشط ما يلي:-

- تنظيم حلقات تحفيظ القرآن الكريم وتعليم العربية.
- إقامة مسابقات حفظ كتاب الله العزيز.
- إحياء سنة الاعتكاف في المساجد في رمضان.
- إقامة ولائم إفطار الصائم.
- توزيع صدقة الفطر من خلال المساجد .
- تنظيم بعض الدروس والمحاضرات في بعض المساجد الكبيرة.
- عقد قران الزواج في بعض المساجد الكبيرة.

وقد أدى ذلك إلى إيجاد روح من التآلف والأخوة والمودة بين المسلمين في المنطقة، وبذلك برزت رسالة المسجد الحقيقية التي تسهم في توعية المسلمين وجمعهم في صف واحد وعلى قلب رجل واحد^(١).

^(١) لاحظ الباحث ذلك عند زيارته المنطقة ، كما ذكره العديد من الدعاة .

(٦) تقوية الصلة مع بعض الجهات الحكومية :

كثيراً ما تتوجس الحكومات المحلية في المنطقة من نشاط المؤسسات الإسلامية والدعاة، وإن كثيراً من ذلك التوجس ليس له رصيد من الواقع، بل هو مبني على الظنون والشكوك . ومن أجل تبديد تلك الظنون عملت بعض المؤسسات وكذا بعض الدعاة على إقامة علاقات ودية ، وبناء جسور من الثقة مع بعض الجهات الحكومية وشبه الحكومية، بهدف خدمة المسلمين ، ودرءاً الفتنه وتبرير الظنون ؛ فلقد قدمت المؤسسات الإسلامية المنطقة لتكون عامل بناء لا معاول هدم في صرحها .

من هنا حرصت هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية ، وجمعية قطر الخيرية، وجمعية الإصلاح الاجتماعي، والندوة العالمية للشباب الإسلامي، وغيرها على التعاون مع السلطات المحلية، ومع الإدارات الدينية في كثير من المجالات الدعوية والإغاثية والتربوية والتعليمية وغيرها . فقد نظمت المؤسسات الإسلامية العديد من الحملات الإغاثية في داغستان والأنغوش بالتعاون مع السلطات المحلية . كما تم افتتاح العديد من المساجد بالتعاون مع السلطات المحلية . كما تم افتتاح العديد من المساجد بالتعاون مع الإدارات الدينية، بالإضافة إلى تنظيم بعض مسابقات حفظ القرآن الكريم، وكذا افتتاح بعض المدارس بالتعاون مع الإدارات الدينية والسلطات المحلية . غير أن تلك الصلة ما لبثت أن توترت مع قيام الحرب الروسية الشيشانية صيف عام ١٤١٩هـ (١٩٩٩م) ، حيث اتهمت روسيا المؤسسات الإسلامية بدعم المجاهدين الشيشان، وانتهى الأمر بطرد القائمين على تلك المؤسسات ، مما حرم المنطقة هناك من خير عظيم، وجهود طيبة مباركة .

(٧) الاهتمام بالتخطيط^(١) المرحلي والاستراتيجي للدعوة :

إن المراد بالتخطيط الدعوي: "التنبؤ بما سيكون عليه حال الدعوة في المستقبل ، مع الإعداد والاستعداد له"^(٢) .

ولاشك أن التخطيط للدعوة قد حث عليه الإسلام، بل إننا نجد أن الدعوة الإسلامية في مهداها الأول قد ارتكزت على تخطيط محكم دقيق يلتقي مع المفاهيم العلمية الحديثة لمعنى التخطيط ، وقد ورد في القرآن الكريم من النصوص الهادية إلى ذلك في شتى مناحي الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وفي حالاتي السلم والحرب ،^(٣) ومن تلك النصوص القرآنية قوله تعالى: "وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ."^(٤) . يقول الشيخ محمد

(١) التخطيط لغة: من الفعل خط ، ويقال خط على الشيء، أي رسم علامة ، ويقال: خطط الأرض والبلاد، أي جعل لها خطوطاً وحدوداً . انظر: لسان العرب"، ص ٨٥٨ .

والتخطيط اصطلاحاً: مرحلة التفكير والتنبؤ والتحليل التي تسبق القيام بأي عمل . انظر : عبد المولى الطاهر " التخطيط للدعوة الإسلامية . دراسة تأصيلية " رسالة ماجستير: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض، ١٤١٥هـ (١٩٩٥م) .

(٢) المرجع السابق ص ١٥١ .

(٣) انظر تفصيل ذلك في ، "التخطيط للدعوة الإسلامية . دراسة تأصيلية" ص ٢٨ وما بعدها . التأليف : عبد المولى الطاهر .

(٤) سورة الانفال : آية ٦٠ .

رشيد رضا - رحمه الله - :^(١) "الإعداد هو تهيئة الشيء للمستقبل"^(٢).

وإن المتأمل لسورة يوسف - عليه السلام - ليبصر ذلك التخطيط المحكم في قوله تعالى: "قال تزرعون سبع سنين دأباً فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلاً مما تأكلون، ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمت لهن إلا قليلاً مما تحصنون، ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون"^(٣)، ولاشك أن في قصة يوسف - عليه السلام - درس بليغ للداعية لما يجب عليه من التخطيط المحكم لحماية الدعوة وحماية الوطن. والعمل على الدفع بعجلة الدعوة، وذلك بالتنبؤ لما قد يحدث والعمل على تفادي أخطار المستقبل بالتخطيط الموجه. وترجع أهمية التخطيط في أنه يساعد الداعية على تحقيق الأهداف القريبة والبعيدة بسرعة وكفاءة، كما أنه يعطيه رؤية للمتغيرات من حوله، ويمكنه من معرفة المشاكل المتوقعة حتى يستعد لها، ويعمل على تلافيها، كما يعطيه أيضاً نوعاً من الثقة والأمان النفسي، فيجتهد في أداء مهمته في ارتياح وطمأنينة، فيحقق أهدافه ويعمل على استغلال الطاقات البشرية والإمكانات المادية أفضل استغلال^(٤).

(١) الإمام محمد رشيد رضا : ١٢٨٢ - ١٣٥٤ هـ (١٨٦٥ - ١٩٣٥ م) هو محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين، البغدادي الأصل، الحسيني النسب. صاحب مجلة "المنار"، وأحد رجال الإصلاح الإسلامي. من علماء الحديث والأدب والتاريخ والتفسير. ولد ونشأ في طرابلس الشام وتعلم فيها ثم رحل إلى مصر فلزم الشيخ محمد عبده، ثم أصبح مرجع الفتيا. وللشيخ جهود كبير في الدعوة والإصلاح، فقد أنشأ مجلة "المنار" وأنشأ مدرسة الدعوة والإرشاد بمصر. وله "تفسير القرآن الحكيم" و"الوحي المحمدي" و"يسر الإسلام وأصول التشريع العام" وغيرها. توفي بالقاهرة رحمه الله. انظر "الأعلام" ١٢٦/٦.

(٢) محمد رشيد رضا "تفسير القرآن الحكيم" المشهور بـ "تفسير المنار" ٦١/٨، ط (١) دار المعرفة - بيروت، ١٣٤٩ هـ (١٩٣١ م).

(٣) سورة يوسف : الآية ٤٧ - ٤٩.

(٤) انظر: عبد المولى الطاهر "التخطيط للدعوة الإسلامية. دراسة تأصيلية" ص ١٩ وما بعدها.

وبالرغم من عدم وضوح أهمية التخطيط لدى كثير من أفراد الدعاة المحليين في المنطقة، غير أن الهيئات والمؤسسات الإسلامية قد اهتمت بهذا الأسلوب الهام وعينت به، فوضعت الخطط الدعوية اللازمة التي تغطي الجوانب الدعوية كافة، وتعنى بجميع شرائح المجتمع وشعوبه، قدر الإمكانيات والطاقة. فعلى سبيل المثال خططت هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية لبناء ٢١٧ (مائتين وسبعة عشر) مسجداً موزعة في عموم مدن المنطقة وقراها، مع دعم تلك المساجد بما يلزم من الأئمة والدعاة المؤهلين. كما خططت الهيئة ولجنة الدعوة الإسلامية والندوة العالمية للشباب وغيرها لإنشاء مدارس ومعاهد إسلامية عدة في المنطقة، وتزويدها بما يلزم من الأساتذة الدعاة العرب الأكفاء، بهدف سد النقص الكبير في الطاقات الشرعية المؤهلة، وكان لها تحقيق قدر جيد من ذلك .

كما خططت المؤسسات الإسلامية لإرسال بعثات دراسية للمئات من طلاب المنطقة - لاسيما المتميزين منهم - وذلك للدراسة في الجامعات العربية والإسلامية، ليعودوا إلى قومهم بعد بضع سنين يدعون إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة .

هذا في مجالات الدعوة والتعليم ، أما في مجال الرعاية الاجتماعية والإغاثية فقد قامت المؤسسات على وضع الخطط للإغاثات العاجلة بهدف تنفيس الكرب وتفريج الضر عن بعض ما يقع للمسلمين هناك من كوارث وحروب . وعملت على كفالة الأيتام ومساعدة المحتاجين وإنشاء بعض المراكز الطبية وإغاثة اللاجئين وغير ذلك^(١) .

وهكذا جاء تخطيط المؤسسات الإسلامية في المنطقة مراعيًا للجوانب الدعوية والتعليمية والاجتماعية والصحية، وذلك شعورًا من القائمين على تلك المؤسسات بأهمية التخطيط المرحلي والاستراتيجي في الدعوة .

(١) انظر تفصيل ذلك في : فصل الجهود الدعوية ، المبحث الأول : القائمون بالدعوة ، جهود المؤسسات ص ٢٠٤ .